

رواية

المرأة في المقصورة العاشرة

THE WOMAN
IN CABIN 10

أحرزت
المركز الأول
في قائمة
الكتب الأفضل مبيعاً
وفق صحيفة
نيويورك تايمز

روث وير

مكتبة ياسمين

جليب

المرأة في
المقصورة العاشرة
روث وير

The Woman in Cabin 10
RUTH WARE

جليس

شركة جليس للنشر والتوزيع

☎ 0096560393960

✉ info@jalees.net

🌐 jalees.net

📷 @jalees_bookstore

🐦 @jalees_net

تصميم غلاف وإخراج : ضحى الملاح

إشراف عام : د. حمود طاهر

ر.د.م.ك : 9789921772739

إهداء إلى النور، مع حبّي.

في حلمي، انجرفت الفتاة، أسفل الأمواج المتلاطمة يصحبها صدح طائر النورس في أعماق بحر الشمال البارد الذي توارت شمسهُ. اكتست عيناها الضاحكتان بلون أبيض وانتفخت بالماء المالح، فيما تجعدت بشرتها الشاحبة، وتمزقت ثيابها بالصخور الناتئة لتقطع إلى خرق.

إلا إن شعرها الأسود الطويل هو ما ظل يطفو على الماء فحسب وكأنه إشنيايات لطحالب بحر قاتمة اللون، تتشبث بالأصداف وشباك الصيد، تغتسل على الشاطئ في لفائف مثل الحبل المفتل حيثما رقدت مرتخية، وامتلات أذني بهدير الموج على الحصى.

استيقظت والرغبة تغشاني، واستغرقت برهة من الوقت لأتذكر أين كنت، واستغرقت وقتاً أطول لأدرك أن ذاك الهدير لم يكن جزءاً من حلمي، بل حقيقة.

كانت الغرفة مظلمة، وبنفس الضباب الرطب الذي شعرت به في حلمي، وما إن سحبت نفسي لأجلس شعرت بنسيم بارد على خدي. بدا وكأنه ضوءاً صادرة من الحمام.

نهضت عن الفراش وأنا أرتجف قليلاً فإذا بالباب مغلق، لكن بينما كنت أسير نحوه استطعت سماع تزايد الهدير، ومعه ارتفعت خفقات قلبي. وما إن استجمعت شجاعتي فتحت الباب على مصراعيه. ففجعت الغرفة الصغيرة بضوء منضج الاستحمام وأنا اتحسس مكان مفتاح الكهرباء. غمر الضوء الحمام.. وحينها رأيتهَا.

كتب على المرأة المليئة بالبخار المكثف، بأحرف بطور 15 سنتيمتراً تقريباً، كلمات، «كفي عن التقصي».

الجزء الأول

الجمعة، الثامن عشر من سبتمبر

1

أولى الإشارات أن شيئاً ما ليس على ما يرام أنني استيقظت في الظلام لأجد القطة تخمش وجهي، حتماً أنني نسيت غلق باب المطبخ الليلة الماضية. وهو عقاب على عودتي إلى المنزل ثملة.

زمجرت، «اغربي عني»، فمأّت دليلاً ونطحتني برأسها. حاولت أن أدس وجهي بين الوسادة لكنها ظلت تحتك بأذني، وفي النهاية استدرت ودفعتها عن الفراش بقسوة.

هبطت بأرجلها على الأرضية مع صوت «ضغاء» ساخط فسحبت الغطاء فوق رأسي. لكن أمكنني حتى عبر الأغشية أن أسمعها وهي تخدش العوارض السفلية للباب، وتقعقه في إطاره.

كان الباب مغلقاً.

نهضت وقلبي يخفق بقوة، وقفزت دليلاً على فراشي بقليل من الابتهاج. فضممتها إلى صدري، وأسكنت حركتها لأنصت.

نسيت بالتأكيد غلق باب المطبخ، أو ربما حتى أغلقته دون أن أوصده بطريقة ملائمة. لكن فتح باب غرفة فراشي للخارج.. وهي أحد طرائف التصميم الغريب لشقتي. محال أن تكون قد حبست نفسها بالداخل إذن، حتماً أغلقه شخص ما.

جلست متجمدة وأنا أقرب جسد دليلاً الدافئ اللاهث إلى صدري وأحاول أن أنصت.

لا شيء.

وبعدها، بعد تنهد ارتياح، خطر على بالي.. إنها قد تكون اختبأت تحت فراشي، وأناي أغلقت الباب عليها معي عندما وصلت إلى الباب. لم أتذكر إغلاق باب غرفة نومي، لكني ربما أرجحته دون وعي

عندما دلفت إلى الداخل. وللأمانة، فكل شيء بداية من محطة قطار الأنفاق تيوب وما تلاها كان ضبابيا بعض الشيء. إذ بدأ الصداع يلم بي في طريقي للمنزل والآن بدأ هلعي يضمحل حتى أنني استطعت استشعار عودته مرة أخرى في قاعدة جمجمتي، احتجت بحق أن أتوقف عن الشرب في منتصف الأسبوع. كنت على ما يرام في العشرينيات من عمري، لكنني لا أستطيع الآن التخلص من صداع الثمالة كما اعتدت.

بدأت دليلة في التلوي بين ذراعي، وغرزت مخالباها بساعدي، وأفلتها عندما مددت يدي نحو عباءتي وتحزمت بها. ثم انتشلتها استعدادا لألقي بها في المطبخ.

عندما فتحت باب غرفة النوم، وجدت رجلاً واقفاً هناك.

ولا مغزى من التساؤل كيف يبدو شكله، فصدقوني قد راجعت هذا مع الشرطة قرابة خمس وعشرين مرة. ظلوا يسألوني، «لا يوجد أي قطعة جلد حول معصميه؟». لا، لا ولا. ويرتدي قلنسوة، ومتلفعا بوشاح على أنفه وفمه، وكل شيء آخر كان مطلقا، باستثناء يديه.

وعلى هاتين اليدين كان يرتدي قفازين من المطاط، وهذه التفصيلة هي ما أوقعت الخوف في قلبي. فهذين القفازين قال، أعرف ما أفعله. قال، جئت مستعداً. قال، ربما أبتغي أكثر من مجرد مالك. وقفنا هناك لثانية طويلة، نواجه بعضنا، وعيناه اللامعتان تحدقان إلى عيني.

تسابقت آلاف الأفكار بداخل عقلي: أين جوالي بحق الجحيم؟ لماذا تناولت كل هذا القدر من الشراب ليلة أمس؟ لو كنت مستفيقة لسمعت

دخوله. يا إلهي، أتمنى لو أن جودا كان هنا.
 وأهم شيء.. هذين القفازين. يا إلهي، هذين
 القفازين، كانا احترافيين جداً، طبيين جداً.
 لم أتحدث، ولم أتحرك. لكنني وقفت هناك فحسب،
 بينما تتسع علي عباءتي المهلهلة، وارتجفت. تملصت
 دليلاً من بين يدي التي لم تبد أي مقاومة وانطلقت
 إلى المطبخ عبر الردهة.

قلت في نفسي، رجاء، رجاء لا تؤذني.

يا إلهي، أين جوالي؟

ثم رأيت شيئاً بين يدي الرجل. حقيبة يدي.. حقيبة
 يدي الجديدة من نوع بيريري، مع أن تلك التفصيلة
 بدت غير مهمة في حينها. كل ما كان يهم في تلك
 الحقيبة، أن جوالي بداخلها.

تجعدت عيناه بطريقة جعلتني أعتقد أنه ربما
 يبتسم أسفل الوشاح، وشعرت بالدماء تنسحب من
 رأسي وأصابعي، وتتجمع وسط جسدي، كنت على
 استعداد للقتال أو الفرار، أيهما أقرب.

تقدم خطوة للأمام.

فقلت، «لا..». أردتها أن تبدو لهجة أمرة، لكنها
 صدرت مثل استجداء، كان صوتي ضعيفاً
 ومصرصراً ويرتعش من الخوف بطريقة مثيرة
 للشفقة: «ل..».

لكنني لم أكمل، فقد صفع باب غرفة النوم في
 وجهي فلطم خدي.

وللحظة طويلة وقفت متجمدة ويدي على
 وجهي، فقدت القدرة على النطق من الصدمة والألم.
 وشعرت بتجمد أصابعي كالثلج، لكنني شعرت بشيء
 دافئ ورطب على وجهي، وتطلب الأمر لحظة لأدرك
 إنه دم، وأن الحشوة الداخلية على الباب قد جرحت

خدي.

أردت أن أهرع إلى الفراش، وأدس رأسي أسفل الوسائد ثم أبكي وأبكي. لكن صوتاً قبيحاً داخل رأسي ظل يقول، إنه مازال بالخارج. ماذا إن عاد؟ ماذا لو عاد إليك؟

سمعت صوتاً من خارج الردهة، سقط شيء، وشعرت بدفعة من الخوف كان ينبغي لها أن تحمسنني للتحرك، لكنها شلتني عوضاً عن هذا. لا تعد، لا تعد. أدركت أنني كنت أحبس أنفاسي وأجبرت نفسي على الزفير بارتجاف لوهلة، ثم أرغمت يدي ببطء شديد أن تمتد صوب الباب.

سمعت صوت ارتطام مرة أخرى بالردهة في الخارج -تحطم زجاج- وبدفعة أمسكت مقبض الباب وثبت نفسي، وإذا بأصابع قدمي العارية تغرز في الأرضية الخشبية المنثغرة القديمة، على استعداد للإبقاء على الباب مغلقاً لأطول فترة ممكنة. جثمت هناك وأنا أضم ركبتي إلى صدري، في محاولة لكتم شهقاتي بعباءتي، بينما أنصت إليه وهو ينهب الشقة وأنا أتضرع للرب أن دليلاً قد هربت إلى الحديقة بعيداً عن الأذى.

وفي النهاية، بعد وقت طويل جداً، سمعت الباب الأمامي يفتح ويغلق. جلست هناك وأنا أبكي داخل ركبتي، غير قادرة على تصديق إنه رحل بالفعل. وإنه لن يعود لإيذائي. شعرت بتخدر يدي وتصلبهما على نحو مؤلم، لم أجرؤ على ترك مقبض الباب.

رأيت مجدداً هاتين اليدين القويتين بين القفازين المطاطين الباهتين.

لا أعرف ما كان ليحدث بعد ذلك، ربما كنت لأمكث هناك طوال الليل، غير قادرة على الحركة. لكنني سمعت دليلاً بالخارج وهي تموء وتخدش الجانب

الآخر من الباب.

«دليلة»، قلتها بصوت أجش، كان صوتي مرتعشاً إلى درجة أنني لم أجد مثل نفسي. «أه، دليلة».

وعبر الباب سمعت خرخرتها، صرير منشار كهربائي، وكأنني استفقت ولم يعد الطير على رأسي. تركت أصابعي المتشنجة تتراخي عن مقبض الباب، ولويتها بتألم، ثم نهضت وأنا أحاول أن أثبت قدمي المرتعشتين، ثم أدت مقبض الباب.

وقد استدار، في الواقع استدار بسهولة شديدة، دون أدنى مقاومة بين يدي، دون تحريك المغلاق بوصة واحدة. لقد أزال عمود دوران المقبض من الجهة الأخرى.

سحقاً.

سحقاً، سحقاً، سحقاً.

صرت محاصرة.

2

تطلب الأمر مني ساعتين لأفتح باب غرفة نومي عنوة. لم يكن عندي خط هاتف أرضي لذلك لم تكن لدي طريقة لطلب المساعدة، والنافذة كانت مغطاة بالقضبان الحديدية للأمان. كسرت أفضل مبرد أظافر لكي انتزع المغلاق، لكنني في النهاية تمكنت من فتح الباب وغامرت بالخروج إلى الردهة الضيقة. لا يوجد إلا ثلاث غرف في شقتي -المطبخ وغرفة النوم وحمام صغير- وبإمكانك أن تستشف مدى اتساعها من خارج غرفة نومي، لكنني لم أستطع التوقف عن التحديق على عتبة الباب، بل وحتى أتفقد الخزانة المرفقة التي أحتفظ فيها بمكنستي الكهربائية، لأؤكد إنه قد رحل بحق.

كان رأسي يدق ويديا ترتعشان بينما أشق طريقتي صعوداً على السلم ووصولاً إلى شقة جارتي. وجدت نفسي أنظر خلفي على الشارع المظلم في انتظار ردها. كانت الساعة الرابعة فجراً على ما أعتقد، وتطلب الأمر وقتاً وكثيراً من الطرق لكي أوقظها. سمعت تأففاً مع وقع قدمي السيدة جونسون وهي تنزل من سلمها، وكان وجهها وهي توارب الباب مزيجاً من الارتباك والخوف بعض الشيء، لكن عندما رأني متقرصة على عتبة الباب في عباءتي والدماء على وجهي ويدي، تغيرت تعبيراتها على الفور وفتحت سلسلة المغلاق.

«يا له من يوم! ماذا حدث؟».

«تعرضت لسطو».

واجهت صعوبة في التحدث، لا أعرف إن كان السبب في نسيم الخريف البارد، أم الصدمة، لكنني أخذت أرتجف رغماً عني وقرقفت أسناني بقوة حتى إنني لوهلة تصورتها وهي تتحطم في دماغي.

غير أنني دفعت تلك الفكرة بعيداً.

«أنت تنزفين!» امتلأ وجهها بالأسى. «أه، يا إلهي بارك لي روعي، ادخلي، ادخلي».

صحبته إلى غرفة المعيشة وفيها سجادة عليها نقشة البيزلي بمنزلها الصغير، وهي غرفة ضئيلة ومظلمة و دافئة إلى درجة كئيبة، غير إنه بدا الآن ملاذاً.

«اجلسي، اجلسي». أشارت إلى الأريكة القטיפية الحمراء ثم جثت على ركبتيها بتعب وبدأت تعبت بالنار الغازية. تأججت النار وتغيظت، وشعرت بالحرارة ترتفع درجة ما إن نهضت على قدميها بتألم مجدداً. «أعددت لك بعض الشاي الساخن».

«أنا بخير بأمانة يا سيدة جونسون. هل تعتقدين..».

لكنها بدأت تهز رأسها بصلابة. «لا شيء يضاهاى الشاي الحلو الساخن عندما تتعرضين لصدمة».

لذلك جلست، ويدي المرتجفتان متشبثتان بركبتي، بينما سمعت جلبة في المطبخ الصغير وعادت بقدحين على صينية. مددت يدي للخزينة وارتشفت ثم جفلت من الحرارة على جرح يدي. كان حلو المذاق إلى درجة أنني لم أعد أذوق الدم المتحلل في فمي، وهي نعمة على ما أفترض.

لم تحتس السيدة جونسون شرابها، لكنها راقبتني وجبينها مقطب من الأسى.

«هل..». تلعثم صوتها. «هل أذاك؟».

عرفت ما كانت تعنيه. هزرت رأسي، لكنني تناولت رشفة أخرى حارقة قبل أن أثق بقدرتي على الحديث.

«لا. لم يلمسني، لقد صفع باباً في وجهي، وهذا ما

سبب الجرح على خدي. ثم جرحت يدي وأنا أحاول الخروج من غرفة النوم، إذ حبسني داخلها». تذكرت بسرعة خاطفة وأنا أعالج المغلاق بمبرد الأظافر ومقص. كان جودا يستفزني دومًا لعدم استخدامي الأدوات الملائمة للعمل.. كما تعرف، عدم فتح سداة بطرف سكين طعام، أو نزع إطار عجلة باستخدام مجراف حديقة. وفي عطلة نهاية الأسبوع الماضي ضحك على محاولتي إصلاح رأس المنضح بشريط لاصق، وأمضى فترة العصر بأكملها يحاول بشق الأنفص إصلاحها مستخدمًا مادة راتنجات الايبوكسي اللاصقة. لكنه رحل إلى أوكرانيا ولا يمكنني التفكير فيه الآن. فإن فعلت سوف أبكي، وإن بكيت الآن، ربما لا أنقطع أبدًا عن البكاء.

«أه، يا حبيبتي المسكينة».

ابتلعت ريقِي.

«شكرًا على الشاي يا سيدة جونسون.. لكني جئت بحق لأطلب منك شيئًا، هل يمكنني استخدام هاتفك؟ لقد أخذ جوالي بحيث لا أجد أي طريقة أمامي لاستدعاء الشرطة».

«بالطبع، بالطبع. احتسي شايك، وها هو هناك». أشارت إلى منضدة جانبية مغطاة بمفرش كروشيه، ووضع عليها ما يبدو وأنه آخر هاتف بقرص في لندن خارج متجر إيزلينجتون للتحف العتيقة. وطوغًا فرغت من قدحي ثم رفعت سماعة الهاتف. وللحظة حام إصبعي فوق الرقم «تسعة» لكنني تنهدت حينئذ، لقد رحل، ما الشيء المنطقي الذي بإمكانهم فعله الآن؟ فلم تعد حالة طارئة على أي حال.

عوضًا عن هذا اتصلت برقم (101) للحالات غير

الطارئة، وانتظرت حتى يرد علي أحدهم.
ثم جلست وفكرت أنني لا أمتلك تأميناً، وفي القفل
المعزز الذي لم أركبه، والفوضى التي حدثت تلك
الليلة.

كنت ما أزال أفكر في تلك الساعات الأخيرة وأنا
أشاهد صانع الأقفال وهو ينزع هذا المغلاق الرديء
الملحق ببابي الأمامي ويبدله بقفل محكم ملائم،
واستمعت لمحاضرتة عن أمان المنزل والمزحة عن
بابي الخلفي.

«ليس في هذا اللوح إلا الخشب المضغوط يا
حبيبتي، يمكنني فتحه بركلة واحدة. أتريديني أن
أبين لك؟».

قلت بسرعة، «لا. لا شكراً، سوف أصلحه، أنت لا
تصلح الأبواب أليس كذلك؟».

«لا، لكن لدي صديقي يفعل هذا، سأعطيك رقمه
قبل أن أرحل. أما الآن، فاجعلي زوجك يضع لوح
أبلكاش بسمك ثمانية عشر ملم على هذا الباب، فلا
تريدين تكرار ما حدث ليلة أمس».

رددت مصدقة على كلامه، «لا». لأقول ما هو
واضح.

«يقول أحد زملائي في الشرطة إن بضع سرقات
تتكرر، ويعود نفس الأشخاص لأجل المزيد».

«عظيم»، قلتها بصوت خافت. ما وددت سماعه
فحسب.

«ثمانية عشر ملم، أتريديني أن أدونها لزوجك؟».

«لا شكراً، لست متزوجة». وعلى الرغم من
مبايضي، بإمكانني تذكر رقمين بسيطين.

«أها، صحيح، فهمتك. حسناً، ها أنت ذا»، قالها
وكانه أثبت شيئاً ما. «إن إطار الباب هذا ليس متيناً

أيضًا. فستودين أحد قضبان لندن كي تعززه، وإلا يمكنك أن تحصلي على أفضل قفل، لكن إن كسروه من الإطار فستعودين لنفس الوضع كما قبل. لدي أحدها في الشاحنة والذي قد يلائمك، هل تعرفين تلك الأشياء التي أتحدث عنها؟».

قلت بغرابة، «أعرف ما تتحدث عنه، قطعة معدنية توضع فوق القفل، أليس كذلك؟» شككت إنه كان يستنزفني للحصول على ما بإمكانه مني، لكنني لم أبه عند تلك النقطة.

«اسمعي»، نهض، وهو يضع إزميله في جيبه الخلفي، «سأضع قضبان لندن، وسأضع قطعة غليظة من الأبلكاش على الباب الخلفي مجانًا، لدي بعض منه في الشاحنة بالحجم المناسب تقريبًا. ارفعي من معنوياتك يا حبيبتي، لن يعود من هذا الطريق بأي وسيلة».

ولسبب ما لم تكن كلماته مطمئنة.

بعد أن رحل، أعددت لنفسي شايًا ورتبت الشقة. شعرت مثل دليلة عندما اقتحم قط الشقة عبر فتحة دخول القطة من الباب وتبول في الردهة.. لقد طافت بكل غرفة لساعات وهي تحك نفسها بقطع الأثاث وتبول في أركانها، لاستعادة نطاقتها.

لم أصل إلى درجة التبول على الفراش، لكنني شعرت بانتهاك نفس النطاق، وبالحاجة لاستعادة ما انتهك. انتهك؟ هكذا تردد صوت منخفض في رأسي. رجاء يا أميرة الدراما.

لكنني شعرت بالانتهاك، إذ بدت شقتي الصغيرة مخربة.. متسخة وغير آمنة. حتى عندما وصفت ما حدث للشرطة شعرت أنها بلوى.. أجل رأيت المقتحم، لا، لا يمكنني وصفه. ما الذي كان في الحقيقة؟ أه، كما تعرف، حياتي: المال والجوال

ورخصة قيادة وأدوية، تقرينا كل شيء نافع بداية من مجفل الرموش ووصولاً إلى بطاقة سفري.
مازال صدى الصوت النشيط والموضوعي لمتلقي مكالمات الشرطة يتردد في رأسي.
«ما نوع الجوال؟».

قلت بتبرم، «ليس بشيء قيم، مجرد أيفون قديم، لا أتذكر الطراز، لكن باستطاعتي البحث عنه».
«شكراً، ربما نستفيد من أي شيء يمكنك تذكره من حيث الصناعة بالضبط والرقم التسلسلي. وقد ذكرت أدوية.. ما أنواعها إذا لم تمنعي من سؤالي؟».
فوراً أصبحت في حالة دفاعية. «ما علاقة تاريخي الطبي بهذا؟».

«لا شيء». هكذا قال بصبر. وبانزعاج أيضاً.
«إن بعض الأدوية لها قيمة فحسب إذا بيعت في الشارع».

أعرف أن الغضب الذي اعتراني جراء أسئلته لم يكن منطقيًا.. إذ كان يؤدي وظيفته فحسب. لكن اللص هو الذي ارتكب الجريمة، لماذا أشعر إذن أنني من يخضع للتحقيق؟

كنت في منتصف الطريق إلى غرفة المعيشة مع الشاي عندما سمعت طرقاً على الباب.. كان شاق الارتفاع في هذا الصمت، ويتردد صداه بثبات حتى إنني تعثرت ثم تجمدت في مكاني، شبه واقفة وشبه جاثمة على عتبة الباب.

مرت علي ذكرى خاطفة وناشزة للوجه الذي يعتمر القلنسوة والأيدي في القفازين المطاطين.

لكن عندما طرق الباب بصوت مكتوم مجدداً نظرت للأسفل وأدركت أن كوب الشاي صار حطاماً الآن على بلاط الردهة، وانتفعت قدمي بالسائل

الذي أخذ يبرد سريعاً.

سمعت طرق الباب مجدداً.

فصرخت، «مهلاً!» وأنا أشعر بحرق واني على وشك البكاء. «أنا آتية! هلا توقفت عن طرق الباب اللعين!».

«معذرة يا سيدتي»، هكذا قال الشرطي عندما فتحت الباب أخيراً. «لم أكن متأكداً أنك سمعت». ثم قال -بعد أن رأى بقعة الشاي والقطع المكسورة لكوبي- «عجبنا، ماذا حل هنا إذن. اقتحام آخر؟ هاها!».

حينما فرغ الشرطي من كتابة تقريره كان وقت العصر، وعندما غادر فتحت حاسوبى المحمول. كان معي في غرفة نومي، وهو الجهاز الوحيد الذي لم يسرقه اللص. وبخلاف عملي الذي لم أحتفظ بنسخة احتياطية من معظمه، كان يحتوي على كافة كلمات سري فيه، بما في ذلك -وقد جفلت عندما فكرت في هذا- ملف مفيد اسمه «أشياء مصرفية». لم أضع فعلياً قائمة بأرقام التعريف الشخصية، لكن كل شيء آخر تقريباً كان فيه.

ومع طوفان البريد الإلكتروني المستلم في صندوق الوارد، لمحت عنوان «هل تخططين للمجيء اليوم؟» وأدركت باندفاع أنني نسيت تماماً مكالمتهم في مجلة «فيلوسيتي».

فكرت في إرسال بريد إلكتروني، لكنني في النهاية تذكرت ورقة نقدية بعشرين جنيهاً استرلينياً احتفظت بها في علبة حفظ أوراق الشاي أموالاً طارئة لسيارات الأجرة، ثم سرت متجهة إلى أحد متاجر الهاتف المحتمالة عند محطة تيوب. وتطلب الأمر بعض المساومة، لكن في النهاية باع لي الرجل شريحة جوال رخيصة بنظام الدفع عند

المكالمة مقابل 15 جنيهاً استرلينياً وجلست في المقهى بالوجهة المقابلة ثم اتصلت بمحررة القصص الرئيسية جين، والتي يقع مكتبها مقابل مكتبي.

أخبرتها عما حدث، وجعلت الأمر يبدو أكثر مرخاً وهزلاً مما حدث بالفعل. واعتمدت بشدة على صورتني وأنا أحاول فك القفل بمبرد الأظافر، لكن لم أخبرها عن القفازين أو الشعور العام برعب العجز أو الذكريات الحيوية الرهيبة التي تعاودني.

«سحقاً!» كان صوتها على الطرف الآخر من الخط المشوش مليئاً بالهلع. «أنت بخير؟».

«أجل، نوعاً ما. لكنني لن آتي اليوم، يجب أن أنظف الشقة». مع إنها لم تكن بهذه الدرجة من السوء في الواقع، إذ كان تنظيمه جيداً بالثناء بالنسبة إلى، مجرم كما تعرفون.

«يا إلهي، لو، أيتها المسكينة، اسمعي، أتريدني مني أن أكلف شخصاً آخر ليحل محلك في هذا الشيء الخاص بالأنوار الشمالية؟».

ولو هلة لم تكن لدي أي فكرة عما تتحدث عنه.. ثم تذكرت. «أرورا بوريليس»، سفينة فندقية فارهة تجوب أنحاء الأودية الخلالية بالنرويج، وبطريقة أو أخرى كنت ما أزال غير متأكدة من الكيفية، لقد كنت محظوظة بما فيه الكفاية لانتشل إحدى دعواتها الصحفية القليلة في رحلتها الأولى.

كانت ميزة عظيمة، على الرغم من العمل لصالح مجلة سياحية، إلا أن عملي المعتاد كان قص ولصق النشرات الصحفية، وأن أعثر على صور للمقالات التي ترسلها مديرتي روان من وجهات السفر الفارهة. كان يفترض أن تذهب روان، لكن لسوء الحظ بعد أن قالت نعم اكتشفت أن الحمل لا يتفق معها - على ما يبدو قيء مفرط - واستقرت

الرحلة البحرية عندي وكأنها هدية كبيرة، مفعمة بالمسؤوليات والاحتماليات. كانت تضع ثقتها في، وإن كان هناك أشخاص في مناصب أعلى مني بإمكانها أن تحاييهم، وأعرف أنني إذا ما استغللت مواهبي في تلك الرحلة ستكون نقطة كبيرة لصالحني عندما يتعلق الأمر بأن أحل محل روان في إجازة أمومتها، وربما -ربما فحسب- أحصل على الترقية التي ظلت تعدني بها على مر السنوات القليلة الماضية.

كما إنها في عطلة نهاية الأسبوع تلك، يوم الأحد في الواقع، وسأغادر بعد يومين.

قلت، «لا»، فشعرت باندعاش من نفسي نظراً للحزم في صوتي. «لا، بالتأكيد لا أريد الانسحاب، أنا بخير».

«أنت متأكدة؟ ماذا عن جواز سفرك؟».

«كان في غرفة النوم، لم يعثر عليه». حمداً للرب. «هل أنت متأكدة تماماً؟» قالتها مجدداً، واستطعت سماع القلق في صوتها. «إنها مهمة كبيرة.. ليس لك فحسب، بل أعني للمجلة، لو كنت تشعرين أنك لست على مستوى الحدث، فلن ترغب روان..».

قلت مقاطعة إياها، «أنا على مستوى الحدث»، محال أن أدع تلك الفرصة تتفلت من بين أصابعي. لو فعلت ربما تصبح آخر فرصة لدي. «أعدك، أريد أن أفعل هذا بحق يا جين».

«حسناً». قالتها على مضض. «إذن في تلك الحالة، لننطلق بكامل قوتنا، أليس كذلك؟ لقد أرسلوا ملفاً صحفياً صباح هذا اليوم لذلك سأرسله إليك بالبريد السريع إلى جانب تذاكر قطارك، ولدي ملاحظات روان في مكان ما، أعتقد أن الشيء الرئيسي المطلوب فعلاً أن تشيدي بهم بلطف على القارب،

لأنها تأمل أن تجذبهم كمعلمين، لكن ينبغي أن يوجد بعض الأشخاص المثيرين للاهتمام بين الضيوف الآخرين، لذلك إن كان في استطاعتك إنجاز أي شيء آخر إلى جانب الملفات، فهذا أفضل بكثير».

«بالتأكيد». التقطت القلم من على طاولة القهوة الطويلة وبدأت أدون ملاحظات على منديل. «وذكريني ما موعد مغادرته؟».

«ستغادرين على قطار الساعة العاشرة والنصف من محطة كينجز كروس.. لكني سأرافق كل شيء في الملف الصحفي».

«هذا رائع، شكراً يا جين».

قالت، «لا تقلقي». استشعرت الحزن قليلاً في صوتها، وتساءلت إن كانت تخطط لتعمل مكاني. «اعتني بنفسك يا لو، مع السلامة».

كان وقت الشفق عندما مشيت بإجهاد للعودة إلى المنزل، شعرت بتأذي قدمي وألم في خدي وأردت أن أعود للمنزل لأنتقع في حمام ساخن طويل.

عم الظلام قبو شقتي كما حاله دوماً، وفكرت مجدداً إنه ينبغي علي تركيب ضوء أمان، حتى أتمكن من رؤية مفاتيحي في حقيبة يدي، لكن حتى في تلك العتمة لما استطعت رؤية الخشب المتناثر حول القفل حيث اقتحم، أما المعجزة فعدم سماعي له. قال هذا الصوت الضئيل المقزز في رأسي، حسناً، ماذا تتوقعين في نهاية المطاف، لقد شربت حتى الثمالة.

بيد أن القفل المعزز بدا صلباً إلى حد مطمئن حينها، ومن الداخل أوصدته مجدداً، ركلت حذائي ومشيت بسأم عبر الردهة نحو الحمام، وتساءلت بشدة وأنا أفتح الصنابير وهبطت على المرحاض لأنزع بناطلي الضيق. ثم حلت غري قميصي...

لكني توقفت.

عادة ما أترك باب الحمام مفتوحاً.. إذ أكون أنا ودليلة فحسب، والجدران عرضة للرطوبة، كونها أسفل مستوى الأرض. كما أنني لا أشعر بحالة رائعة مع المساحات المغلقة، وتبدو الغرفة باللغة الصغر عندما تسدل ستائر النافذة. ومع أن الباب الأمامي موحد وقفل لندن في موضعه، تفقدت النافذة وأغلقت باب الحمام قبل أن أنتهي من نزع ملابسِي. كنت متعبة.. يا إلهي، منهكة من التعب. تخيلت نفسي وأنا أغط في النوم بحوض الاستحمام وأنزلق تحت الماء، ويعثر جودا على جسدي العاري المنتفخ بعد أسبوع... هزرت نفسي. يجب أن أتوقف عن التعامل بعاطفية مسرحية مقبلة، كان طول حوض الاستحمام قرابة متر وعشرين سنتيمتراً تقريباً، وأعاني بالفعل لكي أتمكن من شطف شعري، ناهيك عن الفرق.

كان حوض الاستحمام ساخناً بما فيه الكفاية حتى إنه ألم جرح خدي، وأغمضت عيني وحاولت تخيل نفسي في مكان آخر، مكاناً مختلفاً تماماً عن تلك المساحة الباردة التي تبعث على رهاب الأماكن الضيقة، بعيداً عن لندن النجسة التي تعج بالجرائم. بحيث أتمشى على شاطئ بحر الشمال البارد ربما، وفي أذني الصوت الناعم ل... ماذا... هل ستكون دول البلطيق؟ بالنسبة لصحفية مسافرة فأنا سيئة إلى درجة يرثى لها في الجغرافيا.

لكن الصور المتطفلة ظلت تطاردني، إذ قال صانع الأقفال «... بضع سرقات تتكرر». وأنا منكمشة في غرفة نومي، وقدماي مثبتتان على ألواح الأرضية. مع مشهد يدين قويتين مغلفتين بالمطاط الباهت، ويظهر الشعر الأسود الطويل خلال تلك الصورة...

سحقًا، سحقًا.

فتحت عيني، لكن لم تسعفني العودة إلى الواقع تلك المرة. عوضًا عن هذا رأيت جدران الحمام الرطبة تحوم حولي، وتتكالب عليّ...

أنت تفقدين صوابك مجددًا، هكذا قال الصوت المفاجئ بداخلي. بإمكانك أن تشعرني بهذا، أليس كذلك؟

اخرس، اخرس، اخرس، اخرس. اعتصرت عيني وأغمضتهما مجددًا ثم بدأت أعد، عن عمد، لأجبر تلك الصورة على الإقلاع عن مخيلتي. واحد، اثنان، ثلاثة. شهيق. أربعة، خمسة، ستة. زفير. واحد، اثنان، ثلاثة. شهيق. أربعة، خمسة، ستة. زفير.

في النهاية تلاشت تلك الصور، لكنها أفسدت عليّ حمامي، وتملكني فجأة شعور الرغبة في الخروج من تلك الغرفة عديمة الهواء. نهضت ووضعت منشفة حولي فيما لففت شعري بمنشفة أخرى وذهبت لغرفة النوم حيث ظل حاسوبى المحمول.

شغلته، وفتحت موقع جوجل، وكتبت: «ما نسبة عودة سارقي المنازل».

ظهرت صفحة عليها روابط وضغطت على إحداها عشوائيًا ثم تفحصتها إلى أن وصلت لفقرة تقول: «عندما يعود سارق المنزل.. تشير الإحصائيات في كافة أنحاء البلد أنه على مدار اثني عشر شهرًا، تكون سرقة المنازل حوادث متكرر بنسبة 25 إلى 50% تقريبًا؛ وأن 25 إلى 35% من الضحايا متكررين. أما الأرقام التي جمعتها قوات الشرطة البريطانية فتشير إلى أن 28 إلى 51% تكون سرقات منازل متكررة خلال شهر واحد، من 11 إلى 25% خلال أسبوع واحد».

عظيم. لذا على ما يبدو أن صديقي الكنيب صانع

الأقفال كان يفهم المشكلة فعلياً، ولا يزعجني.. مع أن الحسابات المتضمنة تصل إلى نسبة تكرار 50% للاعتداءات لكن ما أوجع رأسي فحسب أن 35% من الضحايا متكررون. في كلتا الحالتين لم أحبز فكرة أن أكون من ضمن تلك الأرقام.

لقد وعدت نفسي أنني لن أحتسي الخمر تلك الليلة لذلك بعد أن تفقدت الباب الأمامي والباب الخلفي وأقفال النافذة والباب للمرة الثانية أو حتى الثالثة ربما، ووضعت جوالي بنظام الدفع عند المكالمة لي شحن جانب فراشي، وأعددت لنفسي كوباً من شاي البابونج.

أخذته معي إلى غرفة النوم مع حاسوبى المحمول، والملف الصحفي للرحلة، مع قالب بسكوت بالشكولاتة، لقد كانت الساعة الثامنة فحسب ولم أتناول أي عشاء، لكنني شعرت بالإرهاق فجأة.. إرهاق شديد لدرجة عدم القدرة على الطبخ أو حتى طلب الطعام الجاهز. ففتحت الحزمة الصحفية للرحلة البحرية في بحر الشمال، وانزويت أسفل غطاء فراشي، وانتظرت أن يغشاني النعاس.

لكن هذا لم يحدث، فتناولت طوال تلك المدة قالب البسكوت بأكمله وقرأت صفحة تلو الأخرى عن حقائق وأرقام حول سفينة «أرورا». مجرد عشر مقصورات فارهة مخصصة... بحد أقصى لعشرين راكباً... وطاقم عمل منتقى بعناية من أرقى فنادق ومطاعم العالم... حتى المواصفات التقنية لغاطس وحمولة القارب لم تكن كافية ليغلبني النوم. فظللت مستيقظة محطمة ومتوترة نوغاً ما.

وبينما جلست هناك في شرنقتي حاولت ألا أفكر في السرقة. فكرت بتركيز شديد في العمل، وفي كافة التطبيقات العملية التي ينبغي علي

تصنيفها قبل يوم الأحد. استلام بطاقتي المصرفية الجديدة، وتحزيم أمتعتي وإجراء البحث لأجل الرحلة. هل سارى جودا قبل أن أرحل؟ سيحاول الاتصال على هاتفي القديم.

وضعت الملف الصحفي وتفقدت رسائل بريدي الإلكتروني.

كتبت، «مرحبًا يا حبيبي»، ثم توقفت وعضضت طرف ظفري. ماذا أقول؟ محال أن أخبره عن السرقة، ليس بعد. سيشعر بالأسى فحسب لعدم وجوده هنا عندما احتجت إليه. عوضًا عن هذا كتبت، «فقدت هاتفي، قصة طويلة سأشرحها عندما تعود. لكن إن احتجتني فابعث رسالة بريد إلكتروني ولا تبعث برسالة نصية. ما موعد وصولك المرتقب، يوم الأحد؟ سأذهب إلى مدينة هول مبكرًا، لأجل هذا الشيء الخاص ببحر الشمال. أمل أن نرى بعضنا قبل أن أرحل.. وإلا، سأراك عطلة نهاية الأسبوع القادم؟ قبلاتي، لو».

ضغطت على إرسال، على أمل ألا يتساءل عما أفعله وسبب إرسال هذا البريد الإلكتروني الساعة 12:45 في زلفة الليل، ثم أغلقت الحاسوب والتقطت كتابي وحاولت أن أقرأ حتى أغط في النوم.

لكن هذا لم يفلح.

وفي ساعة السحر 3:35، تحسست طريقي إلى المطبخ والتقطت زجاجة مشروب جن الكحولي وصببت لنفسي كأسًا ينزفني من الجن والتونيك. تجرعتة مثل دواء وارتجفت من المذاق الفعّث، ثم صببت لنفسي مشروباً آخر وارتشفتة أيضًا، بروية أكثر تلك المرة. وقفت للحظة وأنا أشعر بالمشروب الكحولي ينخر في عروقي، ويرخي عضلاتي،

ويخدر أعصابي المشدودة.

صببت بقية الجن في الكأس وعدت بها إلى غرفة النوم، حيث رقدت متصلبة ومتوترة، وعينايا منصبتان على الساعة المتوهجة، في انتظار أن يسري مفعول الكحول.

واحد، اثنان، ثلاثة. شهيقي. أربعة... خمسة... خم.... لا أتذكر أن النوم غلبني، لكن هذا ما حدث حتماً. فمئذ دقيقة كنت أنظر إلى الساعة بعينين ناعستين ومرهقتين، في انتظار أن تأتي على 4:44، وفي الدقيقة التي تلتها تطرف عينايا نحو وجه دليلة المليء بالفراء وهي تمسح أنفها المليء بالشعيرات على أنفي، في محاولة منها أن تخبرني إنه قد حان وقت الفطور. شعرت بصداع في رأسي يفوق صداع أمس.. مع إنني لم أكن متأكدة إن كان خدي أو إنه صداع ثمالة آخر. كانت بقية الجن والتونيك تملأ نصف الكأس على المنضدة الجانبية للفراش إلى جوار الساعة. فشمممتها وكدت أن أختنق، إن ثلثيها من الجن على الأرجح، فيما كنت أفكر؟

كانت الساعة 6:04 صباحاً، ما يعني أنني نمت أقل من ساعة ونصف؛ غير أنني مستيقظة الآن، ولا مغزى من محاولة المقاومة. عوضاً عن هذا نهضت وسحبت الستائر واختلست النظر إلى الشروق الرمادي، ثم داعبت أصابع الشمس نافذة قبوي. بدا اليوم بارداً ومتجهفاً، ودستت قدمي في خفي ثم ارتجفت وأنا أشق طريقي عبر الردهة إلى الثرموستات، واستعددت لإعادة ضبط المؤقت التلقائي وبدء التسخين لأجل هذا اليوم.

إنه يوم السبت، لذلك لم اضطر إلى العمل، لكن بطريقة ما فإن الإشراف على إلحاق رقمي بجوال جديد وإعادة إصدار بطاقتي المصرفية استغرق معظم اليوم، وبحلول المساء أسكرني التعب.

مسنى الضر تمامًا كوقت عودتي بالطائرة من تايلاند عبر لوس أنجلوس.. تكرار احمرار العينين والذي جعلني أشعر كالمسعورة جراء الحرمان من النوم وعدم الاتزان الذي لا رجاء في الشفاء منه. وبطريقة ما أدركت ونحن نعبر المحيط الأطلسي أنني تخطيت مرحلة النوم، إلى درجة أنني قد أستسلم أيضًا. وعندما عدت إلى المنزل، ارتيمت على الفراش كمن سقط في بئر، ورحت طي النسيان مباشرة، فنمت اثنتي عشرة ساعة، حتى إذا نهضت ترنحت وتصلبت أطرافي وجودا يطرق على الباب ومعه صحف يوم الأحد.

لكن تلك المرة، لم يعد فراشي ملاذًا لي.

وجب علي أن أستجمع شتات نفسي قبل الرحيل إلى تلك الرحلة. إنها فرصة لا تفوت ولن تتكرر لأثبت نفسي بعد عشر سنوات من صحافة النسخ واللصق الأشبه بالعمل في مناجم الفحم. إنها فرصتي لأثبت أن بمقدوري إنجاز الأمر.. أنني، مثل روان، أستطيع تكوين علاقات والتودد إلى الناس وجعل اسم مجلة «فيلوسيتي» في عنان السماء. واللورد بولمر، مالك السفينة «أرورا بوريليس» ممن يجعلون الأسماء تصل إلى ذلك العنان بحق. فمجرد واحد في المائة من الميزانية التي يخصصها للإعلان يمكن أن تدر على «فيلوسيتي» دخلاً يكفيها لأشهر، ناهيك عن كافة الأسماء المعروفة في عالم السياحة والتصوير الذين سيتلقون دعوات بلا شك للذهاب إلى تلك الرحلة العذراء، والذين سيضيفون

بكل تأكيد لمسة لطيفة على العناوين الثانوية بغلاف مجلتنا.

لم أكن أحاول إقناع اللورد بورمر بما يصعب ترويجه على حفل عشاء.. فلا شيء فظ وتجاري مثل هذا. لكن إن استطعت الحصول على رقمه بقائمة جهات الاتصال لدي وضمان أنني إذا اتصلت به سيرد علي... حسناً، سأقطع شوطاً كبيراً حينها في الحصول على تلك الترقية أخيراً.

وبينما أتناول العشاء، بيتزا مجمدة ومقطعة آلياً ظللت أتناولها إلى أن شعرت بالشبع ولم أقو على المواصلة، فالتقطت بقية ما تبقى أمامي من الملف الصحفي، لكن الكلمات والصور حامت أمام عيني، وتماهت الصفات في بعضها: «فندقية... لامعة... فخمة... صناعة يدوية... حرفية...».

أفلت الصفحات من بين يدي وأنا أتناهب، ثم نظرت إلى ساعة يدي وأدركت إنها التاسعة. يمكنني أن أوي إلى الفراش، حمداً للرب. وبينما أخذت أتفقد وأعيد تفقد الأبواب والأقفال، تأملت الجانب المشرق في التحطم الذي ألم بي إن ما حدث ليلة أمس لا يمكن أن يتكرر. كنت متعبة جداً إلى درجة أن السارق إذا جاء، فسأنام خلال سرقة تلك.

في الساعة 10:47 أدركت أنني مخطئة.

وفي الساعة 11:23 شرعت في البكاء، بضعف وبغباء.

أهذا هو الحال إذن؟ ألن أتمكن من النوم مجدداً؟
وجب علي أن أنام، وجب علي، وجب علي...
عددت على أصابعي، ولم أستطع الحساب في رأسي. ماذا، أقل من أربع ساعات من النوم على مدار الأيام الثلاثة الماضية.

يمكنني تذوق النوم، يمكنني الشعور به، لكنه بعيد المنال. يجب أن أنام، يجب علي. سأجن إن لم أنم. وهنا بدأت الدموع تنهمر مجدداً.. لم أعرف حتى ماهيتها. دموع إحباط؟ غضب من نفسي، من السارق؟ أم مجرد إجهاد؟

عرفت فقط أنني لن أستطيع النوم.. وأنه كان متديلاً مثل وعد لم يف به على بعد بوصات قليلة مني. شعرت أنني أركض نحو سراب ظل ينحسر، ويتفلت أسرع فأسرع كلما ركضت بيأس أكثر. أو إنه مثل سمكة في ماء، شيء وجب علي الإمساك والتشبث به، لكنه ظل ينزلق من بين أصابعي.

يا إلهي، أريد النوم...

أدارت دليلاً رأسها نحوي، وتلعثمت.

أدارت دليلاً رأسها نحوي، وتلعثمت. هل قلتها حقاً بصوت عالٍ؟ لم يعد حتى في استطاعتي معرفة هذا. يا إلهي، كنت أفقد أعصابي.

وميض وجه.. عينان سائلتان تلمعان في الظلام.

جلست وقلبي يخفق بقوة حتى أنني شعرت به في جمجمتي من الخلف.

وجب علي أن أرحل من هنا.

نهضت وأنا أتعثّر كأنه يغشى علي من الإجهاد، ودفعت قدمي في حذائي ويدي في معطفي، فوق منامتي. ثم التقطت حقيبتتي. لو لم أستطع النوم، سوف أسير. إلى مكان ما، أي مكان.

لو لم يغشني النوم، فسوف أطارده بنفسي.

3

لم تكن الشوارع خالية في منتصف الليل، لكنها لم تكن نفس الشوارع التي أطوها يومياً في طريقي إلى العمل أيضاً.

بين البرك الصفراء كالكبريت كانت رمادية ومظلمة، وتناثرت أوراق على ساقي بفعل هبة رياح باردة، واندفعت أوراق الشجر والقمامة في الميازيب. وجب علي أن أشعر بالخوف.. امرأة في الثانية والثلاثين من عمرها، ترتدي منامة بكل وضوح، وتجوب في أرجاء الشوارع في زلفة من الليل، لكنني شعرت بالأمان بالخارج هنا أكثر مما شعرت به في شقتي. هنا سيسمع أحدهم بكاءك.

لم تكن لدي خطة ولا طريق يتعدى التجول في الشوارع إلى أن أشعر بالتعب الشديد ولا أقوى على الوقوف. وفي مكان ما بين هايبري وإيسلينجتون أدركت إنها بدأت تمطر، وإنها حتماً أمطرت منذ برهة لأنني كنت مبتلة. وقفت في حذائي المشبع بالماء، فيما حاول عقلي المنهك المترنح أن يضع خطة، وتقريباً بدأت قدماي في السير من تلقاء نفسها مجدداً.. ليس تجاه المنزل، بل إلى الجنوب، نحو منطقة أينجل.

لم أدرك إلى أين كنت ذاهبة حتى وصلت. حتى صرت واقفة أسفل شرفة مبناه، وأنا مقطبة الجبين بارتباك أمام لوحة الأجراس، حيث كتب اسمه بخط يده الصغير والمنمق: ليويس.

لم يكن موجوداً. بل كان مسافراً إلى أوكرانيا، ولن يعود قبل غد. لكن معي مفاتيحه الإضافية في جيب معطفي، ولم أستطع مواصلة السير مجدداً إلى شقتي. يمكنك استقلال سيارة أجرة، هكذا عاب علي الصوت الدنيء الصغير في رأسي من الخلف. لا

يتعلق الأمر بعدم قدرتك على مواجهة السير، أيتها الجبانة.

هززت رأسي، فتناثرت مني قطرات المطر على لوحة الأجراس من الصلب الذي لا يصدأ، وتفحصت حفنة المفاتيح إلى أن وجدت واحداً للباب الخلفي. انزلت إلى الداخل، إلى الردهة العامة طاغية الدفء.

وفي الطابق الثاني، دخلت بحرص إلى الشقة. كان الجو مظلمًا تمامًا، وكافة الأبواب مغلقة، ولم يوجد بقاعة المدخل أي نوافذ.

ناديت، «جودا؟» كنت متأكدة إنه ليس بالمنزل، لكن لم يكن مستحيلًا أن يترك أحد رفاقه ليتطفل هنا، ولم أرد أن أسبب أزمة قلبية لأي أحد في منتصف الليل. عرفت جيداً كيف يبدو هذا الشعور. «جودا، إنها أنا فحسب، لو».

لكن لم أتلق إجابة. كانت الشقة صامتة.. صمت تام ومطبق. فتحت الباب على يسار طاولة الطعام بالمطبخ، ومشيت على أطراف أصابعي إلى الداخل. لم أفتح الضوء، بل نزعنت ملابسني المبتلة فحسب، المعطف والمنامة وكل شيء، ثم نقعته في الحوض.

ثم مشيت، عارية، وصولاً إلى غرفة النوم، حيث خوى فراش جودا المزدوج الواسع على بصيص من ضوء القمر، وتجمعت الملاءة الرمادية وكأنه نهض لتوه من النوم. زحفت على يدي وركبتي إلى وسط الفراش الوثير وأنا أشعر بنعومة الملاءة، وأشتم رائحته، رائحة العرق وكريم ما بعد الحلاقة و.. هو فحسب.

أغمضت عيني.

واحد. اثنان...

تغشاني النعاس، ويكأنه موجة لطمتني.

استيقظت على صوت امرأة تصرخ، وشعور بأن شخص ما أعلى مني يمسك بي، شخص يحكم قبضته علي حتى وأنا أقوامهما.

يد تحكم معصمي، وكانت مسكتها أقوى مني بكثير. ونظراً لحالة العمى والذعر الشديد، تلمست بيدي الحرة في الظلام الدامس، أتحسس شيئاً، أي شيء لأستخدمه سلاحاً، وأطبقت يداي على المصباح جانب الفراش.

صارت يد الرجل على فمي الآن، يكممني، وصار ثقله يخنقني، وبكامل قوتي رفعت المصباح الثقيل ورطمته به.

سمعت صيحة ألم، وعبر ضباب الرعب سمعت صوتاً، وتداخلت الكلمات وبترت.

«لو، هذا أنا! هذا أنا، لأجل الرب، توقفي!».

ماذا؟

يا إلهي.

ارتجفت يداي بشدة إلى درجة أنني عندما حاولت أن أجد الضوء، كل ما فعلته أن أوقعت شيئاً.

وجانبي سمعت جودا يشهق، إلى جانب صوت غرغرة أروعني. أين المصباح بحق الجحيم؟ ثم أدركت.. أنني حطمته على وجه جودا.

تعثرت من الفراش، وقدمائي ترتجفان ووجدت مفتاح كهرباء جانب الباب. وسرعان ما امتلأت الغرفة بأنوار عشرات المصابيح الهالوجين، تضيء كافة تفاصيل المشهد المرعب أمامي.

جثم جودا على الفراش وهو ممسك بوجهه، والدماء تتخلل لحيته وصدره.

«يا إلهي، جودا!» تعثرت وأنا متجهة إليه، ويدي ترتعشان، وبدأت أسحب مناديل من العلبة جانب الفراش، فضغط بها على وجهه. «يا إلهي، ماذا حدث؟ من كان يصرخ؟».

«أنت!» تأوّه، وتشربت المناديل دماءه بالفعل.

«ماذا؟» كان الأدرينالين لا يزال يتدفق بداخلي، بحثت بارتباك حول الغرفة عن المرأة والمهاجم. «ماذا تعني؟».

«جئت إلى المنزل»، قالها بتألم، وانطمست لهجة أهل بروكلين عبر المنديل. «بدأت تصرخين وأنت شبه نائمة، لذلك حاولت أن أوقظك وبعدها.. حدث هذا».

«آه تبتا». وضعت يدي على فمي. «أنا في غاية الأسف».

تلك الصرخة.. كانت حيوية للغاية. هل كانت تلك أنا بحق؟

أشاح بيديه عن فمه بفضول، فثمة شيء في حشوة المنديل القرمزي، شيء صغير وأبيض. وحينما نظرت إلى وجهه فقط أدركت.. فقدت إحدى أسنانه.

«يا إلهي».

نظر إلي، ظلت الدماء تقطر ببطء من فمه على أنفه.

كل ما قاله، «يا له من ترحاب بعودتي إلى المنزل».. «أسفة». شعرت بالدموع تنخز في حلقي لكنني رفضت البكاء أمام سائق سيارة الأجرة، عوضًا عن هذا ابتلعتها وشعرت بألم بالغ. «جودا؟».

لم ينبس جودا ببنت شفة، بل نظر خارج النافذة نحو الشروق الرمادي الذي بدأ يبرز على لندن.

تطلب الأمر ساعتين في قسم الحوادث والطوارئ بمستشفى الكلية الجامعية، وكل ما فعلوه إنهم غرزوا شفة جودا وأحالوه إلى طبيب أسنان طوارئ، والذي وضع السن في موضعه وقال له فيما معناه أن يأمل خيراً. على ما يبدو أن السن يمكن إنقاذه إذا عاد إليه جذره. وإن لم يفعل، فإما سيركب جسراً أو يزرع سنًا. أغمض عينيهِ من التعب وشعرت بتلوي أحشائي من الحسرة.

«أسفة»، قلتها مجدداً، مستميتة أكثر تلك المرة. «لا أعرف ما يمكنني قوله غير هذا».

قال بسام، «لا، أنا أسف». نطقها وكأنه يقول «آسف»، كأنه شون كوني في مشهد سكره، فالمخدر الموضعي في شفتيه يصعب عليه الحديث. «أنت؟ عما تتأسف؟».

«لا أعرف، الإخفاق، عدم كوني هنا لأجلك».

«هل تعني بشأن السارق؟».

أوما برأسه. «هذه المرة. لكن في أي وقت بحق. أتمنى لو لم أكن كثير الترحال».

انحنيت نحوه ووضع ذراعه حولي، فأرخيت رأسي على كتفه وأنصت إلى خفقان قلبه البطيء والثابت، والمتمهل على نحو مطمئن مقارنة بنبضات قلبي المذعورة والمدوية. أسفل سترته ارتدى قميصاً تناثرت عليه الدماء، فيما كان نسيجه ليئاً وممزقاً أسفل خدي. عندما تنفست، بشهيق طويل ومرتجف، شممت رائحة عرقه، وشعرت بنبضي يتباطأ بالتزامن مع نبضه.

«ما كنت لتستطيع فعل شيء»، هكذا قلت في صدره.

هز رأسه. «مع ذلك وجب علي أن أكون موجوداً».

شعرت بزيادة وهني ونحن ندفع لسائق الأجرة ونصعد درجتي سلم شقته ببطء. وعندما نظرت إلى ساعة يدي لاحظت إنها السادسة تقريباً. بنسأ، ينبغي أن أستقل القطار المتجه إلى مدينة هول خلال بضع ساعات.

وبالداخل خلع جودا ملابسه وارتمينا على الفراش، وتلامست جلودنا. ضمنى إليه، واستنشق رائحة شعري وهو يغمض عينيه. أما أنا فشعرت بتعب شديد فلم أقو حتى على التفكير بتركيز، لكن عوضاً عن التمدد وترك النوم يتسلل إلي، وجدت نفسي أعتليه وأقبله في أنحاء متفرقة بجسده.

«لو». قالها بتأوه، وحاول أن يجذبني إليه ليقبلني، لكنني هزئت رأسي.

«لا تفعل، فمك. تمدد فحسب».

ترك رأسه يسترخي للوراء، وتقوست رقبتة على شعاع الشروق الباهت الذي تخلل الستائر.

مرت ثمانية أيام منذ أن رأيته آخر مرة، وسيمر أسبوع آخر دون أن أراه مجدداً، لو لم نفعل هذا الآن...

بعد ذلك، تمددت بين ذراعيه في انتظار أن تهدأ أنفاسي وقلبي، وشعرت بخده يتجعد مشكلاً ابتسامة على خدي.

قال، «هذا أشبه بما كان ينبغي».

«أشبه بماذا؟».

«بما ينبغي أن يكون عليه الترحاب بالعودة للمنزل كما أتوقعه».

جفلت ولمس وجهي.

«لو، عزيزتي، كانت مزحة».

«أعرف».

مكثنا ساكنين لمدة طويلة، اعتقدت إنه يدخل في النوم، وأغمضت عيني وتركت التعب ينزاح عني، إلا إنني شعرت بارتفاع صدره، وتوتر عضلات ذراعه وهو يلتقط نفساً عميقاً.

«لو، لن أسألك مجدداً، لكن..».

لم يكمل، وما كان ينبغي له. استطعت أن أستشعر ما أراد أن يقوله. إنه حديثه السابق في السنة الجديدة.. إنه يرغب في أن نمضي قدماً. أن نعيش سوياً في مكان واحد.

«دعني أفكر في الأمر»، هكذا قلت أخيراً، بصوت لم يبد وكأنه صوتي، صوت مقهور على غير العادة.

«هذا ما قلته منذ بضعة أشهر».

«ما زلت أفكر».

«حسناً، لقد عقدت العزم». لمس ذقني، وسحب وجهي بلطف إلى وجهه. وما رأيته جعل قلبي يترجرج. مددت يدي نحوه لكنه أمسك بيدي وأبقاها بين يديه. «لو، كفي عن محاولة إزاحة هذا عنك. كنت صبوراً بحق، كما تعرفين، لكني بدأت أشعر إننا لسنا على نفس الخط».

شعرت بانتفاضة أحشائي بذلك الهلع المألوف.. شيء بين الأمل والرعب.

«لسنا على نفس الخط؟» بدت ابتسامتي مفتعلة.

«هل صرت تشاهد أوبرا مجدداً؟».

حينذاك أفلت يدي، وانطفأ شيء ما في وجهه وهو يشيح بنظره. عضضت شفتي.

«جود..».

قال، «لا. لا فحسب. أردت التحدث عن هذا لكن من الواضح إنك لا تريدين، لذلك.. اسمعي، أنا متعب. سوف ينبلع الصباح قريباً، دعينا ننام».

«جود»، كررتها، باستجداء تلك المرة، وأنا أشنا التعامل هكذا كسافلة، وأبغضه لدفعي إلى هذا. «قلت لا»، هكذا قال بضجر من أسفل الوسادة. فكرت إنه يتحدث عن محادثتنا، لكنه أردف: «قلت لا لوظيفة. عندما كنت في نيويورك، رفضتها، من أجلك».

تبا.

4

نمت نومًا عميقًا وكأني مخدرة، ثم استعدت وعيي على رنين المنبه بعد سويغات قليلة.

لم أعرف لكم من الوقت ظل يرن، لكنني شككت إنه انطلق منذ برهة. شعرت بصداع في رأسي، وتمددت للحظة طويلة في محاولة لإعادة الاتزان لنفسني قبل أن أتمكن من مد يدي وأطفئ المنبه حتى لا يوقظ جودا.

فركت النوم عن عيني وتمددت، في محاولة لتليين عنقي وأكتافي، ثم رفعت نفسي بآلم، ونهضت من الفراش وشققت طريقي إلى مطبخ جودا. وبينما أخذت القهوة تقطر، تناولت حبوبي ثم فتشت في الحمام عن مسكنات الألم. وجدت «إيبوبروفين» و«باراسيتامول»، فضلاً عن شيء في قارورة بلاستيكي بنية تذكرت إنها وصفت لجودا عندما التوى كاحله في مباراة كرة قدم. فتحت الغطاء الذي يحافظ على سلامة الأطفال وتفحصت الحبوب بالداخل. كانت كبيرة نصفها أحمر والآخر أبيض، وبدت مذهلة.

في النهاية جبت ولم أتناولها، ضغطت على حبتي «إيبوبروفين» و«باراسيتامول» سريع المفعول بين راحة يدي من عبوات تصنيف الأدوية على رف الحمام. ابتلعتهما مع فنجان قهوة - سادة، فلا يوجد حليب في الثلاجة الفارغة - ثم ارتشفت باقي الكوب ببطء أكثر وأنا أفكر في ليلة أمس، وأفعالي الخرقاء، ودعوة جودا...

شعرت بالدهشة. لا، أكثر من مجرد اندهاش.. شعرت بالصدمة. لن نناقش أبداً خططه على المدى الطويل، لكنني عرفت إنه يشترق لأصدقائه بالولايات المتحدة، وأمه وأخيه الأصغر.. لم التق بأي منهما. ما

فعله... هل فعله لنفسه؟ أم لنا؟

تبقى في الإبريق نصف كوب من القهوة، فسكبتها في قديم ثانٍ وحملته بعناية إلى غرفة النوم.

استلقى جوداً متمدداً على المرتبة وكأنه هبط عليها. يبدو الناس مسالمين دوماً في الأفلام وهم نيام. تستر فمه المهشم أسفل ذراعه المسترخي، لكن بأنفه المستدق وحاجبه المقطب بدا صقراً غاضباً، أطلق عليه النار وسط عراق بين حراس طيور ومازال مغتاضاً منه.

وضعت فنجان القهوة بلطف جداً على الطاولة جانب فراشه، عندما طأطأت رأسي على الوسادة بجانبه وقبلت قفاه. كانت دافئة ولينة إلى حد مدهش.

تقلب خلال نومه، ومد ذراعه الطويلة والمسمرة لتلتف حول كتفيه، وعيناه مفتوحتان، بدت أغرق ثلاث درجات من ألوانها العسلية.

قلت بنعومة، «مرحى».

«مرحى». تجعد وجهه وتثاءب، ثم سحبني إلى جانبه. وللحظة قاومت، وأنا أفكر في القارب والقطار والسيارة التي تنتظرني في مدينة هول. وبدت أطرافي وكأنها تذوب مثل البلاستيك وتركت نفسي لأنطوي بجانبه، في دفئه. رقدنا هنالك للحظة، وحدقنا إلى أعيننا ثم مددت يدي ولمست بتردد الغرزة على شفته.

«هل تعتقد إن جذر السن سينمو مجدداً؟».

قال، «لا أعرف، أمل ذلك، يجب أن أذهب إلى موسكو يوم الاثنين، ولا أريد أن أعبث مع أطباء الأسنان عندما أكون بالخارج».

لم أتفوه بشيء، أغمض عينيّ وتمطط، وسمعت

فرقة مفاصله. ثم تدحرج على جانبه ووضع يده
المكورة على صدري.
قلت، «جودا..». وأنا أسمع مزيجاً من الحنق
والشوق في صوتي.
«ماذا؟».

«لا يمكنني، يجب أن أرحل».
«ارحلي إذن».

«لا تفعل، كف عن هذا».
«لا أفعل، أكف؟ أم لا أكف؟» ثم تصنع الابتسام
تدريجياً.

«كلاهما. أنت تعرف أيهما أعني». رفعت نفسي
وهزئت رأسي. هذا مؤذي، وندمت على الحركة
الفورية.

سأل جودا، «هل خدك على ما يرام».
«أجل». وضعت يداً عليها. كانت تتورم، لكن ليس
كما سبق.

لامت اضطراباً في وجهه، ومد إصبعه ليلاطف
الكدمة، لكنني جفلت على الرغم من نفسي.
قال، «يجب أن أذهب إلى هناك».

«حسناً لم يكن ينبغي عليك هذا»، قلتها بفضافة
أكثر مما أعنيه. «ولا يتعين عليك هذا أبداً».

طرفت عيناه ورفع نفسه على كوعيه لينظر نحوي،
ظل وجهه طرياً من النوم، وعليه علامات من
الوسادة.

«ما هذا بحق ال...؟».

«سمعتني». عرفت أنني لم أتعامل بعقلانية، لكن
خرجت مني الكلمات وهي ترتجف. «ما المستقبل يا
جودا؟ حتى لو انتقلت إلى هنا.. ما الخطة؟ هل

أجلس هنا وأنسج كفني مثل بينيلوب وأبقي نار المنزل متقدة بينما تحتسي شراب السكوتش في مكان ما بروسيا مع مراسلين أجانب آخرين؟»
«من أين ينبع هذا؟»

هززت رأسي وأرجحت قدمي من الفراش. وبدأت أرتدي الملابس الإضافية التي تركتها على الأرضية بعدما ذهبنا لقسم الحوادث والطوارئ.

«أنا متعبة فحسب يا جود». كلمة متعبة أقل من الوصف الصحيح، فما اكتحلت بنوم لأكثر من ساعتين على مدار الثلاث ليالي الماضية. «ولا يمكنني معرفة إلام سيؤول هذا الحديث، صار صعبًا بما فيه الكفاية الآن عندما صرنا نحن الاثنين فحسب، لا أريد أن أكون الزوجة المتورطة في المنزل مع طفل وحالة محتدمة لاكتئاب ما بعد الولادة وأنت يطلق عليك النار في كل مواضع الجحيم بهذا الجانب من العالم».

قال جودا، «تشير الأحداث الأخيرة نوعًا ما أنني سأصبح عرضة للخطر أكثر في شقتي»، ثم جفل عندما رأى وجهي. «أسف، من حماقة قول هذا، كانت حادثة، أعرف هذا».

وضعت معطفي الذي ظل رطبًا حول كتفي والتقطت حقيبتني.

«مع السلامة يا جودا».

«مع السلامة؟ ماذا تعنين بهذه العبارة؟».

«أيًا كان ما تريده».

«ما أريده أن تتوقفي عن التصرف وكأنك تمثلين دور ملكة درامية بغیضة وتنتقلين إلى شقتي، أنا أحبك يا لولا».

أصابتنني الكلمات مثل صفعه، فتوقفت عند عتبة

الباب، وأنا أشعر بثقل تعبني وكأنه شيء مادي حول عنقي، يجذبني للأسفل.
اليدنين في القفازين المطاطيين الباهتين، وصوت ضحكة...

«لو؟» قالها جودا بتشكك.

«لا يمكنني فعل هذا»، قلتها ووجهي نحو الردهة. لم أكن متأكدة عما كنت أتحدث - لا يمكنني المغادرة، لا يمكنني البقاء، لا يمكنني إجراء تلك المحادثة، أو عيش تلك الحياة، أو كل شيء. «أنا فقط.. يجب أن أذهب».

قال، «إذن تلك الوظيفة»، وبدأ الغضب يشوب صوته. «تلك التي رفضتها. أتقولين أنني أخطأت؟». قلت، «لم أطلب منك أبداً فعل هذا». اهتز صوتي، «لم أطلب منك قط، لذلك لا تلق باللوم علي». رفعت حقيبتي على كتفي واستدرت نحو الباب.

لم يقل أي شيء، لم يحاول إيقافي، خرجت من الشقة وأنا أترنح كأني شبه سكرانة. وحينما وصلت محطة تيوب بدأت حقيقة ما حدث للتو تصدمني.

5

أحب الموانئ، أحب رائحة القطران وهواء البحر، ونعيق النورس. ربما هي سنوات استقلالي للعبارة المتجهة إلى فرنسا في إجازات الصيف، لكن الميناء يشعرني بالحرية بطريقة لا ألمسها أبداً في المطار. لسان حال المطارات هو العمل والفحوصات الأمنية والتأخيرات. أما الموانئ فتقول... لا أعرف. شيء مختلف تماماً، الهروب ربما.

تجنبت خلال سفري على القطار التفكير في جودا، وحاولت أن أشتت نفسي بإجراء أبحاث على رحلتي القادمة. إن ريتشارد بولمر أكبر مني ببضع سنوات فحسب، لكن سيرته الذاتية كافية لإشعاري بالعجز. قائمة من الأعمال والمناصب الإدارية التنفيذية التي جعلت عيني تغرورقان بالدموع، وكلها خطوات لدرجات أعلى حتى من المال والنفوذ.

وعندما فتحت موقع ويكيبيديا على جوالي، أظهر رجلاً وسيقاً يميل إلى السمرة، شديد سواد الشعر، متشابك يداً بيد مع شقراء طاغية الجمال في أواخر العشرينات من عمرها. وكتب على وصف الصورة، «ريتشارد بولمر مع زوجته، الوريثة أن لينجستاد، في حفل زفافهما بستافنجر».

وبالنظر إلى منصبه، أفترض أن ثروته وصلت إليه على طبق من ذهب، لكن على ما يبدو من ويكيبيديا على الأقل أنني لم أكن منصفة. كان الجزء الأول من الصورة واهن بما فيه الكفاية.. المدرسة الإعدادية، مدرسة إيتون الثانوية وكلية باليول بجامعة أوكسفورد. مع ذلك في سنته الأولى بالجامعة مات والده - بدت والدته خارج الصورة بالفعل، لم تكن واضحة بالكامل - وابتلعت أملك العائلة من

ضريبة الشركات والديون، ما جعله مشرداً وحيداً في التاسعة عشر من عمره.

وفي ظل تلك الظروف، فإن حقيقة تخرجه من أوكسفورد بدرجة جامعية هي إنجازاً كافياً، لكنه أطلق في سنته الثالثة أيضاً شركة ناشئة تؤدي معظم أعمالها عبر الإنترنت. وكان تعويم سوق أوراقها المالية عام 2003 هو أول خطوة من سلسلة نجاحاته، والتي توجتها تلك السفينة البحرية الفندقية ذات المقصورات العشر والتي تعتبر ملاذاً فاخراً للغاية للتنقل على الساحل الاسكندنافي. «متاحة لأجل زفاف أحلامك، أو لمناسبات الشركات المذهلة التي تدهش عملاءك بطلتها البهية، أو ببساطة لأجل عطلة حصرية لن تنساها أنت وعائلتك»، قرأت تلك العبارة من الملف الصحفي بينما اندفع القطار نحو الشمال قبل أن أقلب الصفحة على مخطط المقصورة.

يوجد أربعة أجنحة كبيرة عند صدر السفينة.. أعتقد إنك قد تطلق عليه الجُجُجُ، وقسم منفصل بست مقصورات منفصلة مرتبة على شكل حدوة حصان بمؤخرة السفينة أو الكوئل. وعلى كل مقصورة رقم، فردي وزوجي على كلا جانبي الممر المركزي، حيث موضع المقصورة (1) مباشرة على قمة الجُجُجُ، وتتصل المقصورتان (9) و(10) ببعضهما على انحناء مؤخرة السفينة. خمنت أنني سأرتاد إحدى المقصورات الصغرى.. على افتراض أن الأجنحة محجوزة لكبار الشخصيات. لم أجد أي مقاييس على مخطط السفينة فقطبت وجهي، وتذكرت بعض العبارات التي تجتاز القنال الإنجليزي والتي كنت أستقلها، أصابني آنذاك برهاب الأماكن المغلقة، بلا نوافذ وحجراتها صغيرة. إن فكرة قضاء

خمس ليال على إحداها لم تكن مريحة، لكن على سفينة مثل تلك بالتأكيد فنحن نتحدث عن شيء مساحته أكبر كثيراً؟

قلبت الصفحة مجدداً، على أمل أن أجد صورة إحدى المقصورات لأطمئن نفسي، لكن عوضاً عن هذا رأيت مجموعة صور أذهلتني من أطايب الطعام الاسكندنافي المتناثر على قماش أبيض. على ما يبدو أن طاهي السفينة «أرورا بوريليس» تدرب مع نوما وإل بولي. تشاءبت وضغطت بيدي على عيني، شعرت بإجهاد التعب وثقل كل شيء من ليلة أمس يضغطني مرة أخرى.

ورد على خاطري وجه جودا كما تركته، مفرز نتيجة الضربة التي تلقاها ليلة أمس، فجفلت. لم أوقن حتى مما حدث، هل انفصلت أنا وجودا؟ هل تخليت عنه؟ في كل مرة أحاول إعادة صياغة المحادثة يستحوذ علي عقلي المجهد، فأضاف أشياء لم أنطق بها، والردود التي تمنيت لو قلتها، أن أجعل جودا يشعر بمزيد من الارتباك ومزيد من الإهانة لتبرير موقفه، أو حبا غير مشروطاً لأحاول إقناع نفسي بأن كل هذا سيصبح على ما يرام. لم أطلب منه رفض الوظيفة، فلماذا يتوقع مني إذن أن أشعر بالامتنان لهذا فجأة؟

غفوت لقراءة ثلاثين دقيقة موجعة في السيارة من المحطة إلى الميناء، وعندما قطع نومي إعلان الوصول المبتهج من السائق شعرت بما يشبه رذاذ ماء بارد على وجهي. تعثرت وأنا أخرج من السيارة إلى ضوء الشمس اللافح ووخز الملح من النسيم الذي يشعرني بالدوار.

أوصلني السائق تقريباً حتى نهاية سلم السفينة «أرورا»، لكن عندما نظرت عبر الجسر الحديدي نحو

القارب، لم أصدق تماماً إننا كنا في المكان الصحيح. عرفت ما رأيته من الكتيب السياحي.. نوافذ زجاجية ضخمة تعكس الشمس بلا أي بصمة أصبع أو نقطة ماء مالح، وطلاء أبيض مشع وجديد جداً إلى درجة إنه ربما اكتمل العمل عليه هذا الصباح. لكن الجزء المفقود هو الإحساس بالحجم. إذ وجدت السفينة «أرورا» باللغة الصغرى.. وكأنها يخت كبير وليست سفينة سياحية. والآن عرفت ما يقصدونه بكلمة «فندقية»؛ رأيت سفناً أكبر تجوب الجزر اليونانية. وبدا مستحيلاً أن كل ما ذكر في الكتيب السياحي - مكتبة وغرفة شمسية ومستحم معدني وحمام البخار وحانة مشروبات مختلطة وكافة الأشياء الأخرى التي يبدو إنه لا يمكن الاستغناء عنها من ركاب «أرورا» المدللين - يمكن أن توضع في تلك السفينة المصغرة. فحجمها إلى جانب مثالية دهانها، أعطتها مظهراً أشبه باللعبة، وبينما صعدت إلى سلم السفينة الحديدي الضيق تخيلت صورة مربكة «لأرورا» مثل سفينة محبوسة داخل زجاجة - ضئيلة ومثالية ومنعزلة وغير حقيقية - وأني أنكمش لأضاهيها مع كل خطوة أنحوها تجاه السفينة. كان شعوراً غريباً وكأنني كنت أنظر من الجانب الخاطئ للمنظار، فانتابني إحساس مربك كالدوخة.

تحرك سلم السفينة أسفل قدمي، فيما دارت أسفل مني مياه الميناء المشبعة بالزيت والزوجة، هل توهمت للحظة أنني أسقط، وأن الصلب أسفل مني ينزاح. أغمضت عيني وأحكمت قبضتي على الدرايزين المعدني البارد.

ثم سمعت صوت امرأة من الأعلى.

«إنها رائحة ذكية أليس كذلك!».

طرفت بعيني، ورأيت مضيضة تقف عند مدخل السفينة. كانت لامعة، وتقريباً شقراء بيضاء، بسمار يشبه مكسرات عين الجمل، وتهللت كأنني قريبتها الثرية الأسترالية التي افتقدتها منذ زمن بعيد. التقطت نفساً في محاولة لأتزن ثم شققت طريقي على بقية سلم السفينة وصولاً إلى السفينة «أرورا» بوريليس».

قالت المضيضة عند دخولي، «مرحباً أنسة بلاكوك». شعرت بتداخل في لهجتها بطريقة لم أستطع تمييزها، وتمكنت كلماتها بطريقة ما من إضفاء انطباع أن مقابلي تجربة حياتية تضاهي الفوز باليانصيب. «يسعدني جداً أن أرحب بك على متن السفينة، هل يمكن لأحد حمالي الأمتعة لدينا أن يأخذ حقيبتك؟».

نظرت حولي في محاولة لأستشف إن كانت تعرف من أنا، وقبل أن أحاول الاحتجاج ذهبت حقيبتني. «هل يمكنني أن أقدم لك كأساً من الشمبانيا؟».

تمهلت في ردي لأميز نفسي بالرد الذكي. فاعتبرت المضيضة هذا قبولاً ووجدت نفسي أقبل الكأس الطويل المندي الذي وضعته في يدي. «آه، شكراً».

التصميم الداخلي للسفينة «أرورا» مذهل، ومع أن السفينة قد تبدو صغيرة، إلا إنهم كدسوا بها ما يكفي من الترف لباخرة تعادل حجمها عشر مرات. فتحت أبواب سلم السفينة على مهبط به سلم منحنى حيث وجدت كل سطح على الأرجح مصقول بالطريقة الفرنسية، أو مكسو بالرخام أو ملفوف بالحرير الطبيعي. فيما كانت قُلْبَةُ السلم مضاءة بثرية تزغل العين، فملأت المكان برذاذ صغير من الضوء والتي ذكرتني كثيراً بشمس الصيف التي تتلألأ على البحر. كانت مثيرة

للغثيان.. لكن ليس بالمعنى المتوارد على الضمير الاجتماعي، مع أنك إن فكرت ملياً سينطبق هذا الأمر أيضاً، لكن بالمعنى الذي يشعر بالاختلال. شعرت أن الكريستالات مثل مواشير مع كل بقعة ضوء، فتبهرك وتخل بتوازنك مع الشعور بالنظر إلى مشكال يلعب به طفل. هذا التأثير المدمج مع انعدام النوم، لم يبعث على السرور التام.

حتماً إن المضيضة لاحظتني وأنا أحملق لأنها ابتسمت تفاخراً.

قالت، «إن السلم العظيم شيء يستحق الاحتفاء به أليس كذلك؟ تلك الثريا بها أكثر من ألف كريستالة من صناعة سواروفسكي».

قلت فيما يشبه حالة الإغماء، «يا إلهي». شعرت بارتجاج في رأسي وأنا أحاول تذكر ما إذا جئت معي بمسكن «إيبوبروفين». صعب علي ألا تطرف عيني.

واصلت المضيضة بدفع، «إننا فخورون جداً «بأورورا»، اسمي كاميليا ليدمان وأنا مسؤولة الضيافة على السفينة. ومكتبي بالسطح السفلي، وإذا كان يوجد أي شيء يمكن أن يجعلك تستمتعين بإقامتك معنا أكثر، فرجاء لا تترددي أن تطلبيه. زميلي جوزيف.. «أشارت إلى رجل أشقر على يمينها» ... سوف يرشدك إلى مقصورتك ويصحبك في جولة لرؤية التجهيزات. العشاء في الثامنة لكننا سندعوك لتشاركينا في السابعة مساءً بصالة جلوس ليندجرين لأجل مشاهدة عرض عن تجهيزات السفينة والعجائب التي بإمكانك توقع الاستمتاع بها على تلك السفينة. أه! السيد ليدرر».

صعد من خلفنا على سلم السفينة رجل طويل قمحي اللون في الأربعينات من عمره، وتبعه حامل

أمتعة يكابد أثناء صعوده مع حقيبة يد ضخمة.

قال، «احترس رجاء». وهو يجفل بوضوح بينما دفع الحامل عربة الحقائب بارتجاج على معقد بسلم السفينة. «تلك الحقيبة فيها بعض المعدات الحساسة».

«سيد ليدرر»، قالتها كاميلا ليدمان بنفس الحماس الذي يقارب حد الهذيان والذي لاقتني به. وجب علي الاعتراف.. أني معجبة بمهاراتها التمثيلية، مع إنه في حالة السيد ليدرر تطلب الأمر جهداً أقل لأنه من النوع الذي تستريح إليه العين. «اسمح لي أن أرحب بك على متن «أرورا». هل أستطيع أن أقدم لك كأساً من الشمبانيا؟ أنت والسيدة ليدرر؟».

«لن تأتي السيدة ليدرر». مسد السيد ليدرر شعره وألقى نظرة على الثريا المصنوعة من كريستال سواروفسكي بقليل من الاندهاش.

«أه، أنا في غاية الأسف». انعقد حاجبا كاميلا ليدمان الخاليان من العيوب. «أمل أن كل شيء على ما يرام؟».

قال السيد ليدرر، «حسناً، إنها بصحة جيدة، في الواقع سحفاً إنها أعز صديقاتي». ابتسم وتناول الشمبانيا.

طرفت كاميلا بعينيها ثم قالت بسلاسة، «جوزيف، رجاء اصطحب السيدة بلاكلوك إلى مقصورتها».

انحنى جوزيف قليلاً وأشار بيده تجاه أسفل السلم. قال، «من هنا رجاء؟».

أومات برأسي بغباء وسمحت لنفسي بالانصراف، وإن ظللت متمسكة بكأس الشمبانيا. ثم تناهى إلى مسامعي صوت كاميليا وهي تخبر السيد ليدرر عن

مكتبها بالسطح السفلي.

«أنت في المقصورة التاسعة، جناح لينبوس»، هكذا أخبرني جوزيف وأنا أتبعه في الممر عديم النوافذ على السجادة السمكية ذات اللون الصوفي القاتم. «سميت كافة المقصورات تيمناً بعلماء إسكندنافيين مشهورين».

قلت بتوتر «ومن سيحصل على جناح النبلاء؟» أعطاني الممر شعوراً غريباً ومكبوتاً، أحسست معه بثقل رهاب الأماكن المغلقة على كاهلي. ليس للأمر علاقة بالحجم فحسب، لكنها الأضواء الخافتة الباعثة على النعاس وانعدام الضوء الطبيعي.

أجاب جوزيف بجدية، «في تلك الرحلة تحديداً سيشغل جناح النبلاء اللورد بولمر والسيدة بولمر. إن السيد بولمر هو مدير شركة «نورثرن لايتس»، والتي تملك السفينة ويوجد عشر مقصورات»، هكذا قال لي ونحن ننزل مجموعة أخرى من السلالم، «أربعة أمامي وستة في الخلف، كلها على سطح السفينة الأوسط. وكل مقصورة تشكل جناحاً فيه قرابة ثلاث غرف، بحمامها الخاص، والتي تتسم بحمام كبير ومنضج منفصل وفراش مزدوج كبير وشرفة خاصة. وفي جناح النبلاء حوض استحمام ساخن خاص».

شرفة؟ وبطريقة ما بدت فكرة وجود شرفة في سفينة سياحية خاطئة تماماً، لكنني افترضت أنه بالتفكير فيها لم تكن أكثر غرابة من وجود منطقة شرفة مفتوحة. حوض استحمام ساخن؟ حسناً، كلما قل الحديث في هذا الشأن كان هذا أفضل.

«لكل مقصورة مضيف محدد لمساعدتك، بكرة وعشية. وأنا من سيضيفك، مع زميلتي كارلا، والتي ستلتقين بها لاحقاً هذا المساء. من دواعي سرورنا

أن نساعدك بأي طريقة في تناولنا خلال وقت مكوثك هنا «بارورا».

سألت، «إذن هذا هو السطح الأوسط، أليس كذلك؟».

أوما جوزيف برأسه. «أجل، هذا الطابق مخصص لأجنحة الركاب. وفي الأعلى ستجدين غرفة الطعام ومستحماً معدنياً وحمام البخار وصالة جلوس ومكتبة ومساحة للتشمس وأماكن عامة أخرى. كلها سميت تيمناً بكتاب إسكندنافيين.. صالة جلوس ليندجرين وغرفة طعام يانسون وما إلى ذلك».

«يانسون؟».

أفاد بقوله، «توفي يانسون».

قلت بغباء، «أه، بالطبع. سلسلة قصص مومينز». يا إلهي، أشعر بصداع في رأسي.

وصلنا إلى الباب المكسو بألواح خشبية ونقش على لوحة معدنية بخط رسمي «9: ليننيوس». فتح جوزيف الباب على مصراعيه وتراجع للخلف ليسمح لي بالدخول.

المكان بلا مبالغة ألطف بسبع أو ثماني مرات من شقتي، وليس أصغر كثيراً أيضاً. على يميني تمددت خزانات الملابس ذات المرايا، وفي المنتصف فراش مزدوج ضخم، محاط بأريكة من أحد الجوانب ومنضدة زينة من الجهة الأخرى، وبسطت المفروشات البيضاء بنعومة وتموجت كأنها ترحب بي.

لكن ما ترك أكبر انطباع لدي ليس المساحة -المذهلة- لكن الإضاءة. عندما خرجت من الممر الضيق المضاء صناعياً وجدت الضوء المقابل الصادر من أبواب الشرفة يعميني. وهففت الستائر

ناصعة البياض على إثر النسومات ورأيت الباب المنزلق يفتح. وفوراً انتابني شعور بالارتياح وكأن ضيقاً انفرج عن صدري.

شرح جوزيف من خلفي، «يمكن للأبواب أن تغلق مجدداً، لكن المزلاج سيتحرر تلقائياً في حالة الظروف الجوية الصعبة».

قلت بغموض، «أه، عظيم»، لكن كل ما أستطيع التفكير فيه هو مقدار رغبتني في إبعاد جوزيف عن تفكيري، بحيث أتمكن من التمدد على الفراش وأذهب طي النسيان.

عوضاً عن هذا نهضت وكظمت تتأوبي بطريقة غير ملائمة، بينما حدثني جوزيف عن وظائف الحمام (أجل، استخدمت إحداها من قبل، أشكرك)، والثلاجة الكبيرة والصغيرة (كلها مشروبات مجانية - لسوء حظ كليتي)، وشرح أن الثلج سيجدد مرتين في اليوم وأنه في استطاعتي أن أرن عليه أو على كارلا في أي وقت.

وأخيراً لم أستطع كظم تتأوبي الفسثريسل، فأنحنى بعض الشيء مجدداً واستماحني عذراً للانصراف، تاركاً إياي والمقصورة.

لا مغزى من التظاهر بأنني لا أشعر بالذهول. فقد ذهلت، من الفراش في الأساس، والذي يصرخ عملياً بدعوة لألقي نفسي عليه وأنام لثلاثين إلى أربعين ساعة. نظرت إلى غطاء الفراش الأبيض شديد النظافة والنمارق المتناثرة بالذهبي في أبيض، والشوق الذي يتدفق بداخلي مثل مادة فيزيائية داخل شراييني، وينخزني من القفا وصولاً إلى أطراف أناملي وأصابع قدمي. كنت بحاجة للنوم، بدأت أتوق إليه، كاني مدمنة مخدرات، أعد الساعات حتى موعد جرعتي التالية. وزاد الطين

بلة تلك الدقائق الثلاثون المتعبة التي قضيتها في السيارة الأجرة.

لكني لم أستطع النوم الآن. لو فعلت ربما لا أستيقظ، ولن أطيق تفويت الأمسية. ربما أتمكن من تفويت بعض الفاعليات لاحقاً هذا الأسبوع، لكن ينبغي علي حضور عشاء وعرض الليلة. كانت أول ليلة على متن السفينة.. سيتعارف الجميع ويكونون شبكات اجتماعية بكثافة. لو فاتني هذا، ستكون علامة سوداء كبيرة ضدي، ولن ألحق بهم أبداً.

عوضاً عن هذا، أجبرت نفسي على التأوب وذهبت إلى الشرفة، على أمل أن الهواء المنعش سيساعدني على الاستيقاظ من ضباب الإجهاد الزاحف الذي بدا وكأنه ينتهك حرمتي كلما توقفت عن الحركة أو الحديث.

كانت الشرفة مبهجة كما يمكن للمرء أن يتخيل في شرفة خاصة على سفينة سياحية فخمة. وصنع الحاجز من الزجاج، بحيث إذا جلست داخل الجناح يمكنك أن تتخيل تقريباً إنه لا شيء يحول بينك وبين المحيط على الإطلاق، ووجدت كرسيي بحر ومنضدة صغيرة بحيث يتمكن المرء من الجلوس في ساعة العصر ويستمتع بشمس منتصف النهار أو الشفق القطبي، بناء على الرحلة السياحية التي حجزها المرء.

أمضيت وقتاً طويلاً جداً وأنا أشاهد المراكب الصغيرة تعاني في دخولها وخروجها من ميناء هول، وأحسست بالرياح المالحة في شعري، ثم تغير فجأة شيء له علاقة بشعوري بالسفينة. ولوهلة لم أعرف كنه هذا الشيء.. ثم أدركت. فالمحرك الذي ظل يهدر بخفوت على مدار نصف الساعة الماضية أو نحو ذلك، ارتفع درجة، وتحرك شيء ما في

السفينة. وبهدير طاحن، بدأنا نبتعد عن رصيف الميناء بقرابة بوصة، ونتجه صوب البحر.

وبينما وقفت لأراقب، مخرت السفينة خارج الميناء بين الأنوار الخضراء والحمراء التي وضعت علامات على القناة. شعرت بالتغيير في حركتها ونحن نغادر حرز الميناء وندخل البحر الشمالي، وأفسحت الموجات السلسة الملتفة طريقًا لتموجات المحيط العميق الملتفة العظيمة.

وببطء، بدأ الشاطئ ينزوي بعيداً، وتضاءلت مباني مدينة هول على شكل نتوءات في الأفق، ثم تحولت إلى خط مظلم لأماكن غير محددة. وبينما شاهدت اختفائه، فكرت في جودا، وفي كل شيء تركته ولم أنجزه. شعرت بثقل جوالي في جيبتي، وأخرجته، على أمل أن أجد شيئاً منه قبل أن نخرج من نطاق شبكات الجوال بالمملكة المتحدة. إلى اللقاء، حظاً موفقاً، رحلة سعيدة.

لكني لم أقرأ شيئاً، تضاءلت إشارة الجوال شرطة واحدة، ثم أخرى، وصار الجوال صامتاً بين يدي. ومع اختفاء ساحل إنجلترا من المشهد، صدرت الضوضاء الوحيدة من تلاطم الأمواج.

رسالة من: جودا ليويس

رسالة إلى: لورا بلاكلوك

مرسل بتاريخ: الثلاثاء، 22 سبتمبر

الموضوع: أأنت بخير؟

مرحباً يا عزيزتي، لم أسمع منك أخباراً منذ أن أرسلت إليّ بريداً إلكترونياً يوم الأحد. لست واثقاً إن كنا نتبادل الرسائل، هل وصل إليك ردي أو النص الذي أرسلته ليلة أمس؟

شعرت بالقلق نوعاً ما، ورجوت ألا تعتقدي أنني انطلقت لمكان ما وأتعامل كالحمقى وأداوي جراحي. لا أفعل هذا، أحبك وأفتقدك وأفكر فيك.

لا تقلقي مما حدث في المنزل.. وسنتي على ما يرام. أعتقد إنها ستستعيد جذرها كما قال الطبيب. أنا أطلب نفسي بالفودكا على أي حال.

ولتخبريني كيف حال الرحلة البحرية.. أو إن كنت مشغولة، فلتبعثي لي سطوراً واحداً يطمئني عليك.

أحبك، جي

رسالة من: روان لونسديل

رسالة إلى: لورا بلاكلوك

نسخة إلى: جنيفر ويست

مرسل بتاريخ: الأربعاء، 23 سبتمبر

الموضوع: آخر المستجدات؟

لو، هلا رددت رجاءً على بريدي الإلكتروني الذي أرسلته منذ يومين أطلب فيه تحديثًا بالمستجدات عن الرحلة البحرية. أخبرتني جنيفر أنك لم ترسلي أي ملف، وكنا نأمل بالحصول على نسخة ما بحلول الغد.. على الأقل مقالة من وحي حديث جانبي بالحانة.

رجاءً أخطري جنيفر بأسرع وقت ممكن متى تنتهي من هذا، وأرفقي نسخة لي من ردك.

روان

الجزء الثاني

6

حتى مناضح حمامات الأغنياء أفضل.

انطلقت المياه ودلكتني من كل زاوية، وتحدرت على إثر هذه الضراوة، وبعد لحظة صار من الصعب معرفة من أين تبدأ المياه وأين ينتهي جسدي.

وضعت الصابون على شعري ثم حلقت قدمي وفي النهاية وقفت أسفل هذا التيار لأشاهد البحر والسماء والنورس المحلق. وتركت باب الحمام مفتوحاً لأنظر عبر الفراش إلى الخارج نحو الشرفة والبحر من ورائها. ووجدت لهذا تأثيراً علي... حسناً، لن أكذب، تأثيراً لطيفاً جداً. أعتقد إنه ينبغي أن ينتابك شيء لقاء الثمانية آلاف جنيه استرليني أو نحو ذلك تكلفة هذا المكان.

هذا المبلغ فاحش بعض الشيء مقارنة براتبتي.. أو حتى راتب روان. لقد أمضيت سنوات ولعابي يسيل على التقارير التي ترسلها من فيلا في جزر الباهاما أو يخت في المديف، في انتظار اليوم الذي أغدو فيه أنا الأخرى موظفة كبيرة بما فيه الكفاية لأنال هذا النوع من المزايا. لكني الآن أدوق هذا الشعور، كنت أتساءل.. كيف طاقت هذا، تلك النظرات الخاطفة على حياة ليس باستطاعة الشخص العادي أن يتحملها على الإطلاق؟

حاولت بلا جدوى أن أعرف لكم شهر ينبغي علي العمل لكي أدفع لقاء أسبوع على السفينة «أرورا» بصفتي راكبة، عندما أسمع شيئاً - صوت منخفض غير مميز عبر خرير الماء لم أستطع معرفة كنهه، غير إنه بدا صادراً من غرفتي بكل تأكيد. تسارعت نبضات قلبي بعض الشيء، لكني ظللت أتنفس بثبات وأنا أفتح عيني لأغلق المنضح.

عوضًا عن هذا رأيت باب الحمام ينفتح باتجاهي،
وكان شخص دفعه بيد سريعة وواثقة.

قرع الباب الثقيل المصنوع من أجود أنواع المواد
وأغلق بصوت عال وثابت، وبقيت في الظلام
الساخن والرطب مع الماء ليتراقص أعلى جمجمتي
وعلت دقات قلبي إلى درجة يمكن لمسبار الصدى
بالسفينة أن يرصدها.

لم أستطع سماع أي شيء سوى فقفقة الدماء في
أذني وخواية المنضح. ولم أتمكن من رؤية أي شيء
بخلاف الوميض الأحمر من الأرقام بلوحة التحكم
في المنضح. تبا، تبا. لماذا لم أحكم إغلاق باب
المقصورة؟

شعرت بجدران الحمام تنطبق علي، وبدا لي أن
الظلام يبتلعني برمتي.

توقفي عن الهلع، كذا قلت لنفسي. لن يؤذيك أحد،
ولم يقتحم أحد، في الغالب إنها خادمة جاءت
لتسوي الفراش، أو أغلق الباب من تلقاء نفسه.
توقفي عن الهلع.

أجبرت نفسي على تلمس مكان مفاتيح التحكم،
تحولت المياه إلى درجة التجمد ثم السخونة
المؤلمة، فصحت وتراجعت للوراء، وكسرت كاحلي
على الحائط، لكن في النهاية وجدت المفتاح
الصحيح، توقف التيار وتحسست طريقني نحو
الأنوار.

فتحت الأنوار، وفاضت على الغرفة الصغيرة
بوميض لا يرحم، وحدقت إلى نفسي بالمرأة..
البياض الشاحب مع تناثر الشعر الرطب على
جمجمتي كالفتاة من فيلم (الحلقة).
سحقًا.

أهكذا ستصير الأمور؟ هل أتحول إلى إنسانة
تتناوبها نوبات هلع من السير إلى المنزل من محطة
تيوب أو قضاء الليلة وحدها في المنزل دون خليل؟
لا، سحقا لهذا، لن أكون تلك الإنسانة.

وجدت برنس حمام خلف الباب، فربطته على
عجل حول نفسي ثم التقت نفسي عميقا ومرتجفا.
لن أكون تلك الإنسانة.

فتحت باب الحمام وقلبي يخفق بقوة وبسرعة
إلى درجة أن نجوما تراءت لي.
قلت في نفسي بشراسة، لا تفزعي.

كانت الغرفة خالية، خالية تماما. والباب موصد
ياحكام، حتى سلسلة المزلاج في مكانها. محال إذن
أن أي أحد قد دلف إلى الداخل. ربما سمعت شخصا
ما بالمر. في كلا الحالتين من الواضح أن حركة
السفينة هي التي سببت تأرجح الباب وأغلقتة،
مدفوعا بوزنه.

تفقدت السلسلة مجدداً وشعرت بثقلها في راحة
يدي، طمأننتني بثباتها، ثم، شققت طريقي إلى
الفراش بساقين ضعيفتين وتمددت، ما برح قلبي
يخفق بالأدرينالين المكبوت، في انتظار عودة نبضي
إلى شبه وضعه الطبيعي.

تخيلت أنني أطمر وجهي بين كتف جودا وللحظة
كدت أن أجهش بالبكاء، لكنني جززت على أسناني
وابتلعت تلك الدموع. إن جودا ليس حلاً لكل
هذا، المشكلة تكمن في داخلي وفي نوبات هلعي
الضعيفة.

لم يحدث شيء، لم يحدث شيء. كررتها بوتيرة
ثابتة مع أنفاسي المتسارعة إلى أن شعرت بأني
بدأت أهدأ.

لم يحدث شيء. ليس الآن ولا قبل هذا، لم يؤذك أحد.

حسناً.

يا إلهي، أنا بحاجة للشراب.

داخل الثلاجة الصغيرة يوجد مشروب التونيك والثلج ونصف دسته زجاجات صغيرة من الجن والويسكي والفودكا. هززت الثلج في كوب ثم أفرغت زجاجتين صغيرتين أعلاههما، صببتهما بيد مازالت ترتعش قليلاً. وبالأعلى نثرت ماء التونيك ثم تجرعتها.

كان مشروب الجن قوياً جداً حتى إنه خنقني، لكنني شعرت بدفع الكحول يسري في خلاياي وأوعيتي الدموية وعلى الفور تحسنت.

عندما فرغ الكوب نهضت وأنا أشعر بالخفة في رأسي وأطرافي، وسحبت جوالي من حقيبتي. لا يوجد شبكة جوال وبالتالي نحن خارج نطاقها بكل وضوح، لكن يوجد إنترنت لاسلكي.

ضغطت على «بريد» ونظرت، وأنا أمضغ أظافري، بينما برز البريد الإلكتروني واحداً تلو الآخر في صندوق بريدي. لم أشعر بالسوء كما خشيت - فنحن في عطلة يوم الأحد على أي حال - لكن عندما تصفحت القائمة ، أدركت أنني مثل سوار مطاطي على وشك أن ينقطع، وفي نفس الوقت فهمت عما كنت أبحث ولماذا، لم أجد أي رسالة من جودا، شعرت بارتخاء كتفاي.

رددت على الرسائل القليلة الطارئة، وعلمت على البقية كغير مقروءة، ثم ضغطت على «إنشاء» للرسائل الجديدة.

كتبت، «عزيزي جودا»، لكن لم تسعفني بقية

الكلمات، تساءلت عما كان يفعله الآن، هل يحزم أمتعته؟ مكدس في رحلة جوية اقتصادية نوعاً ما؟ أم هل يرقد في غرفة فندقية مجهولة، يكتب تغريدات على موقع تويتر أو يبعث رسائل نصية أو يفكر في...

أعدت تصور تلك اللحظة التي حطمت فيها المصباح المعدني الثقيل على وجهه، ماذا دهاني وفيما فكرت؟

قلت لنفسى، لم أكن أفكر، بل كنت شبه نائمة، ليس هذا بخطئك، بل إنها حادثة.

وقال الصوت في مؤخرة رأسى، يقول فرويد إنه لا توجد حوادث، ربما هذه أنت...

هززت رأسى، ورفضت الاستماع.

عزيزى جودا، أحبك.

أشتاق إليك.

أسفة.

مسحت الرسالة وبدأت كتابة رسالة جديدة.

رسالة إلى: باميلا كرو

رسالة من: لورا بلاكوك

مرسل بتاريخ: الأحد، 20 سبتمبر

الموضوع: أنا بخير

مرحباً أماه، أنا بخير على متن السفينة، وهي فاخرة جداً بحق، سوف تحبينها! أذكرك سريعاً أن تصحبي دليلاً هذه الليلة، فقد تركتها في سلة على الطاولة والطعام أسفل الحوض. تعين علي أن أبدل الأقفال.. ولدى السيدة جونسون بالأعلى المفتاح الجديد.

أحبك حباً جفاً وجزيراً الشكراً!

لو، قبلاتي

ضغطت على إرسال، ثم فتحت فيسبوك وبعثت رسالة إلى أعز صديقاتي ليزي.

المكان لطيف إلى حد لا يصدق، يوجد مشروبات مجانية بلا حدود في الثلاجة الصغيرة بمقصورتني -أسفة، أعني جناحي الهائل - وهو ما لا يبشر بخير بالنسبة لمهنتي أو كبدي. أراك على الجانب الآخر، إذا كنت لا أزال صامدة. لو، قبلاتي

صبت لنفسي كأسًا آخر من الجن وعدت إلى البريد الإلكتروني لجودا. يجب أن أكتب شيئًا. لم أستطع ترك الأشياء بنفس الحال التي كانت عليها عندما خرجت. فكرت للحظة وكتبت، «عزيزي جودا، أسفة أنني تعاملت بتلك الوضاعة قبل رحيلي. ما قلته جانبني فيه الصواب إلى أبعد حد. أحبك حُبًا جفًا». وجب علي التوقف لأن الدمع غشى رؤيتي، فتوقفت والتقطت نفسين مهتزين. ثم فركت عيني وختمت الرسالة، «فلتراسلني عندما تصل، صحبتك السلامة. لو، قبلاتي».

أعدت تنشيط صندوق بريدي الوارد، بأمل أقل تلك المرة، لكن لم يحمل أية رسائل جديدة. فتنهدت وتجرعت مشروب الجن ثانية، فأشارت الساعة إلى 6:30، ما يعني إنه قد حان موعد فستان السهرة الأول.

بعد أن أخطرني روان بأن قواعد اللباس للطعام على متن السفينة «رسمي» (أي: جنوني)، نصحتني أن أستأجر على الأقل سبعة فساتين سهرة بحيث لا أضطر إلى ارتداء نفس الفستان مرتين. لكن بما إنها لم تقترح رفع التكاليف فقد استأجرت ثلاثة فحسب، أي أكثر بثلاثة مما كنت لأفعله لو ترك الأمر لتقدير.

كان المفضل لدي في المتجر باهظ الثمن.. فستان طويل باللونين الفضي والأبيض ومرصع بالكريستال والذي يجعلني أبدو مثل ليف تايلر في فيلم (ملك الخواتم) حسبما قالت لي البائعة دون أي نبرة سخرية. لست واثقة إن كنت حافظت على وجهي بلا تعبيرات لأنها ظلت ترمقني بنظرات متشككة وأنا أجرب الفساتين الأخرى.

لكني لم أشعر بالشجاعة الكافية لأبدأ بالفستان المرصع بالكريستال، نظراً لأنه قد يوجد أشخاص يرتدون البناتيل الجينز على حد علمي، لذلك عمدت إلى أكثر الخيارات تواضعاً.. قميص تحتي طويل وضيق على فستان أطلساني بلون رمادي قاتم. وعلى الكتف الأيمن طرزت رسومات أوراق شجر متناثرة لكن على ما يبدو إنه لم يكن في وسعك الإفلات بفستان دون تلك الأوراق. على ما يبدو أن غالبية فساتين السهرات صممت من فتيات في الخامسة من أعمارهن بمسدسات ترش مادة لامعة، لكن على الأقل لم يبد هذا الفستان وكأنه انفجار في مصنع عرائس باربي.

تلويت بداخله ثم أقفلت السحاب من الجانب، وأخرجت ذخيرتي من حقيبة أدوات الزينة. سيتطلب الأمر مني أكثر من مجرد مسحة بملمع الشفاه لأبدو حتى شبه إنسانة اليوم. فلطخت نفسي فحسب بخافي عيوب البشرة على عظمة وجنتي عندما أدركت أنني لم أت بمجمل الرموش في هذه الفوضى.

فتشت في حقيبة يدي عبساً على أمل أن أجده فيها، في محاولة لأتذكر آخر مرة رأيته فيها. ثم أدركت، كان في حقيبة يدي.. التي سرقت مع سائر الأشياء. أنا لا أحمل الرموش الطويلة دوماً، لكن

بدونها سيبدو مستحضر التجميل عيني غريباً وغير متناسب.. وكأني استسلمت في منتصف عملية التجميل تلك. فكرت وجيزاً وبسخافة بشأن الارتجال بالمكحال السائل، لكن عوضاً عن هذا حاولت مرة أخيرة، وفتشت عبثاً في حقيبتتي.. فأفرغت كل ما فيها على الفراش، فقط في حالة ما إن خانتني الذاكرة، أو إن كانت لدي واحدة إضافية علقت في بطانة الحقيبة. لكن من صميم قلبي عرفت إنها ليست موجودة ووضعت كافة الأشياء مجدداً في الحقيبة عندما سمعت جلبة صادرة من المقصورة المجاورة.. هدير صندوق الطرد بالمرحاض الذي يعمل بالضغط، والذي ميزته حتى مع طنين المحرك الخافت.

أخذت بطاقة فتح الباب الإلكترونية، وخرجت حافية القدمين إلى الممر.

على الباب المصنوع من خشب الدردار على يميني لوحة صغير كتب عليها، «10 بالمجرين» ما جعلني أفكر أن خياراتهم لمجموعة العلماء الإسكندنافيين تضاءلت أمامهم عندما جاء وقت انتهائهم من تجهيز السفينة. قرعت الباب بتردد.

لم يجب أي أحد، انتظرت، ربما المقيم بها داخل الحمام.

قرعت الباب مجدداً، ثلاث مرات بحدة، وبعد التفكير مجدداً، ضربت بعنف شديد مرة أخيرة في حالة ما إن كان سمعهم ثقيلًا.

فتح الباب على مصراعيه، ووقفت المقيمة بالمكان على الجانب الآخر.

«ماذا؟» تساءلت، تقريباً قبل أن يفتح الباب. «أكل شيء على ما يرام؟» ثم تغير وجهها. «بنسأ، من أنت؟».

قلت «أنا جارتك»، كانت شابة جميلة بشعر داكن وطويل وترتدي قميصاً قطنياً مهلهلاً عليه رسمة لفرقة (بينك فلويد) وبه أخرام، ما جعلني أحبها كثيراً. «لورا بلاكلوك أو لو. أسفة، أعرف أن هذا يبدو غريباً بحق لكني أتساءل إذا ما كان في استطاعتي استعارة مجمل الرموش الخاص بك؟».

رأيت الأنابيب والكريمات متناثرة عياناً على منضدة الزينة من خلفها وكانت تضع بالفعل بعض مساحيق تجميل العين، ما جعلني واثقة إلى حد ما أنني في أمان.

«أها». بدت حائرة. «حسناً، الزمي مكانك».

اختفت، وأغلقت الباب من خلفها، ثم عادت بأنبوب (ميبيلين) ووضعت بين يدي.

قلت، «مرحى، أشكرك. سأعيده على الفور».

قالت، «احتفظي به»، فاعترضت تلقائياً، لكنها لم تأبه لكلماتي. «جدياً، لا أريده مرة أخرى».

قلت، «سأغسل الفرشاة». لكنها هزت رأسها بنفاد صبر.

«قلت لك، لا أريده مرة أخرى».

قلت وقد أخذت على حين غرة، «حسناً، شكراً».

«على الرحب والسعة». وأغلقت الباب في وجهي. عدت مجدداً إلى مقصورتي وأنا متعجبة من تلك المقابلة الصغيرة الغريبة. شعرت أنني غريبة عن هذا المكان خلال تلك الرحلة، لكنها بدت أكثر مثل سمكة خارج المياه. ابنة أحدهم، ربما؟ تساءلت إن كنت سأراها على العشاء.

انتهيت من وضع مجمل الرموش المستعار عندما سمعت طرقاً على الباب، ربما غيرت رأيها.

«مرحى»، قلتها وأنا أفتح الباب وأمد يدي به.

لكني رأيت فتاة مختلفة بالخارج، فتاة ترتدي الزي الرسمي للمضيفات. بالغت في التلمص بوحشية، ما جعل تعبيرات وجهها اندهاشاً دائماً.

قالت، «مرحباً»، بنبرة صوت إسكندنافية تطرب الأذان، «اسمي كارلا وأنا مضييفة جناحك إلى جانب جوزيف. وهذه مجرد تذكرة متأدبة لأذكرك بالعرض الذي سيبدأ الساعة..».

قلت، «أتذكر»، بجفاء أكثر مما في نيتي. «السابعة مساءً، بغرفة (بيبي ذات الجورب الطويل) أو أيّا كان ما تدعونها».

ابتهجت، «أه، ألاحظ إنك تعرفين المؤلفين الإسكندنافيين!».

اعترفت قائلة، «لا أحبذ العلماء كثيراً، سأحضر على الفور».

«رائع، إن اللورد بولمر يتطلع إلى الترحيب بكم على متن السفينة».

بعد أن رحلت فتشت في حقيبتني عن الدثار الملحق بالفستان - نوع من الشالات الرمادية من الحرير ما جعلني أشعر مثل أخت شارلوت بروننتي التي جاءت من زمن بعيد - وأتوشح به حول كتفي. أغلقت الباب من خلفي، ودسست بطاقة فتح الباب الإلكتروني داخل صدريتي، ثم شققت طريقي عبر الممر إلى الأعلى وصولاً إلى صالة جلوس ليندجرين.

7

أبيض. أبيض. اكتسى كل شيء بالبياض، الأرضية الخشبية الشاحبة، الأرائك القطيفة، الستائر الطويلة من الحرير الطبيعي، الجدران التي لا تشوبها شائبة. اعتبرته لونا غير عملي تماما بالنسبة للسفن عموما. وقد فعل هذا عمداً، حسبما أفترض.

ها هي ثريا أخرى من صناعة سواروفسكي تتدلى من السقف ولم يسعني إلا التوقف عند عتبة الباب، وأنا أشعر بالدوار بدرجة ليست بقليلة. لم يتعلق الأمر بالضوء فحسب، بل الطريقة التي تلالأ وانكسر بها من الكريستالات على السقف، للأمر علاقة بالمقاييس. شعرت أن الغرفة نسخة مطابقة من قاعة استقبال فخمة بفندق خمس نجوم، أو غرفة استقبال بسفينة الملكة إليزابيث 2، لكنها صغيرة. فالمكان لا يسع أكثر من اثني عشر إلى خمسة عشر شخصا، مع ذلك عج المكان بهم، حتى الثريا تدلت للأسفل لتلائم المعايير. صار الأمر أشبه بالنظر عبر عتبة باب منزل دمي، حيث كل شيء مصغر مع ذلك في غير موضعه قليلاً، فالنمارق المطابقة كبيرة بعض الشيء ومتصلبة بالنسبة للكراسي الضئيلة، وزجاجات النبيذ بنفس حجم زجاجات الشمبانيا المقلدة.

تفحصت الغرفة فحسب، بحثاً عن الفتاة في قميص فرقة (بينك فلويد)، عندما أتانى صوت بهيج من الممر خلفي.

«يعمي، أليس كذلك؟».

استدرت لأرى السيد ليديرر واقفاً هناك.

قلت «بعض الشيء»، مديده مصافحاً.

«كول ليديرر».

كان الاسم مألوفاً قليلاً لكني لم أستطع تحديد سبب هذه الألفة.

«لورا بلاكوك». تصافحنا، وصحبته للداخل. حتى وهو يرتدي بنطال جينز وقميص ويجاهد للصعود على سلم السفينة، كان مثلما أطلقت عليه ليزي «يسر الناظرين». والان أمسى يرتدي بذلة سهرة بطريقة جعلتني أتذكر القاعدة العامة التي توصلت إليها ليزي بحكم التجربة؛ تضيف بذلة السهرة 33 في المائة إلى جاذبية الرجل.

قال، «إذن»، وهو يلتقط كوباً من على صينية تحملها مضيضة إسكندنافية مبتسمة أخرى، «ما الذي أتى بك إلى السفينة «أرورا» يا أنسة بلاكوك؟». «آه، فلتنادني لو، أنا صحفية، أعمل لصالح مجلة «فيلوسيتي»».

«حسناً، يسرني جداً أن التقيت بك يا لو، هل يمكنني أن أقدم لك مشروباً؟».

التقط كأساً طويلاً آخر ومد يده به مع ابتسامة. طفت أمام عيني الزجاجات الصغيرة الفارغة في المقصورة، وترنحت للحظة، وأنا أعرف أنني على شفا الثمالة في وقت باكر جداً في تلك الأمسية، لكني لم أرغب في أن أبدو وقحة. شعرت بخواء كبير جداً جداً في معدتي ولم يتلاش تماماً شراب الجن، لكن بالتأكيد لا ضير من كأس آخر؟

أخيراً قلت، «شكراً». ناولني إياه فيما لامست أنامله أناملي بطريقة لم تكن مصادفة بالتأكيد، وتجرعت الكأس، في محاولة لأخدر أعصابي. «ماذا عنك؟ ما دورك هنا؟».

قال، «أنا مصور»، وفجأة أدركت أين سمعت هذا الاسم من قبل.

تساءلت «كول ليديررا» كدت أن أركل نفسي، كانت روان لتعجب به، منذ صعوده على سلم السفينة مباشرة. «بالطبع.. لقد التقطت تلك الصورة المدهشة لصحيفة الجارديان عن ذوبان القمم الجليدية».

«هذا صحيح». ابتسم ابتسامة عريضة، وشعر بإطراء لم يواره كوني تعرفت عليه، ومع إنك قد تعتبر أن الحماس خفت لديه الآن.. إلا إن الرجل كان على بعد خطوتين من الوصول إلى مستوى المصور الشهير دايفيد بيلي. «لقد دعيت لتغطية تلك الرحلة.. كما تعرفين لقطات متقلبة عن الوديان الخلالية وما إلى ذلك».

قلت بتشكك، «ليس هذا ما تبتغيه، أليس كذلك؟». وافقني القول، «أجل، أميل إلى تصوير الكائنات المهددة بالانقراض أو البيئات المعرضة للخطر تلك الأيام، ولا أعتقد إن في استطاعتك القول بأن هذا المكان مهدد بأي خطر انقراض. فعلى ما يبدو أن الجميع تغذوا جيداً».

حدقنا في أرجاء الغرفة سويًا، كان يجب أن أتفق معه عندما يتعلق الأمر بالرجال. وجدت زمرة منهم عند الركن البعيد والذين بدوا وكأن في استطاعتهم النجاة لعدة أسابيع على احتياطي السمنة لديهم، إذا تحطمت السفينة في أي وقت. أما النساء فكان قصة مختلفة، فلكل منهن تلك النظرة العجفاء البراقة والتي تشي بممارسة يوجا البيكرام ونظام ماكروبيوتيك الغذائي، ولم يبد وكأنهن سينجون فترة كافية إن غرقت السفينة، ربما يأكلن أحد الرجال.

تعرفت على عدة أوجه من حفلات صحفية أخرى.. رأيت تينا ويست، نحيلة وترتدي مجوهرات أثقل منها، والتي تحرر «فيرنا تايمز» (شعار: «80 يوم

هي البداية فحسب»؛ والصحفي السياحي ألكسندر بيلهوم، والذي يكتب مقالات رئيسية وعن الطعام لعدد من المجلات المختصة بالرحلات الجوية والبحرية العابرة للقنال الإنجليزي شكله أملس وبدين مثل حيوان الفظ؛ وأرشر فينلان، الخبير الشهير في «السفریات المتطرفة».

أرشر، في الأربعينات من عمره لكنه بدا أكبر سنًا بوجهه المسمر باستمرار من تعرضه للطقس، ويتقلب من قدم لأخرى، وبدا متململاً بوضوح في رابطة عنقه وبذلة السهرة التي يرتديها. لم أستطع تخيل ما كان يفعل هنا.. فعمله المعتاد هو تناول اليرقة البيضاء في منطقة الأمازون، لكنه ربما يحظى بإجازة من نوع ما.

لم أستطع رؤية الفتاة في المقصورة المجاورة بأي مكان.

«مكانك!» هكذا قال الصوت من خلفي.

استدردت سريعاً.

بين هوارد، ما الذي يفعله هنا بحق الجحيم؟ كان بيتسم نحوي ابتسامة عريضة عبر لحية كثة مثل الهيبستر وهي مستجدة على آخر مرة رأيته فيها.

«بين»، قلتها بصوت ساكن، في محاولة لإخفاء صدمتي. «كيف حالك؟ هل التقيت بكول ليدرر؟ كنت أعمل أنا وبين في مجلة «فيلوسيتي» سوياً. والان يكتب في مجلة... أين تكتب في هذه الأثناء؟ إندي؟ أم تايمز؟».

قال بين بلا جدال، «أنا وكول نعرف بعضنا، لقد غطينا هذا الموضوع عن منظمة السلام الأخضر سوياً، كيف الحال يا رجل؟».

قال كول، «أنا بخير». حضنه بطريقة هذا النوع من

الحضن النصفى بين الرجال، حيث تشتهي الجنس الآخر أكثر من اللازم إلى درجة عدم المصافحة بالأيدي ولست شبابياً بما فيه الكفاية للمصافحة بقبضة اليد.

قال بين، «تبدين على ما يرام يا بلاكلوك»، واستدار نحوي ثم رمقني بتلك النظر السريعة بطريقة جعلتني أرغب في ركله بركبتي بين رجليه، لولا أن هذا الفستان الأحمر كان ضيقاً جداً. «لكن... هل، ماذا أقول، كنت تقاتلين في الأقفاص مجدداً؟». لدقيقة لم أستطع معرفة ما يتحدث عنه، ثم أدركت: إنه يرمي إلى الكدمة بوجنتي. من الواضح أن خبرتي مع خافي عيوب البشرة ليست متقنة كما حسبت.

نشطت بداخلي الذكرى الخاطفة للباب وهو يغلق على وجنتي والرجل في شقتي - بنفس طول بين تقريباً، وبنفس العينين اللامعتين والداكتين - إلى درجة أن دقات قلبي زادت وشعرت بضيق في صدري، ولبرهة طويلة لم أجد الكلمات المناسبة لأرد بها، بل ظلت أصدق فيه فحسب، فلم أحاول تغيير تعبيراتي الجامدة.

«أسف، أسف»، رفع يده. «سألزم غرزي، أعرف. يا إلهي، تلك الياقة ضيقة». انتزع رابطة عنقه الفراشية. «كيف هبطت على تلك الحفلة إذن؟ هل ترتقين في مراتب الدنيا؟».

قلت باختصار «روان مريضة».

«كول!» كسر صوت حاجز الصمت الغريب هذا واستدرنا جميعاً لننظر. كانت تينا، تتراقص في مشيتها بسلاسة على الأرضية المصنوعة من البلوط الأبيض الأصلي، وبدا حفيف ثوبها الفضّي مثل جلد أفعى. قبلت ليديرر قبلة طويلة على كلا الوجنتين،

وتجاهلتنى أنا وبين. «أيها الجميل، مضى وقت طويل جداً». شعرت أن صوتها مليء بالعواطف. «ومتى تلتقط تلك الصورة التي وعدت بها لأجل مجلة «فيرنيان»؟».

قال كول، «أهلاً تينا»، مع نبرة إرهاق صغيرة في صوته.

«اسمح لي أن أعرفك على ريتشارد ولارس»، خرخرت ودفعت ذراعها في ذراعه، ثم صحبتته إلى زمرة من الرجال الذين لاحظتهم في البداية. فترك نفسه لها لتصحبه إليهم، بابتسامة حزينة صغيرة وهو ينظر للخلف بينما هو في طريقه. راقبه بين وهو يذهب ثم استدار نحوي وهو يتلاعب بحاجبه في توقيت ساخر مثالي حتى إنه صدر مني خنين ضاحك.

«أظن إننا نعرف من جلية أكفائها، أليس كذلك؟» قالها بجفاء، ووجب علي أن أومئ برأسي. وأردف، «إذن كيف حالك على أي حال؟ أما زلت مع الرجل الأمريكي؟».

ماذا عساي أن أقول؟ لا أعرف؟ ثمة احتمالية قوية أنني أفسدت الأمور بما فيه الكفاية على الأرجح إلى درجة أنني خسرت؟

أخيراً قلت باقتضاب، «ما زلت غير متاحة للارتباط إلى حد كبير».

«يا للعار، لكنك تعرفين، أن ما يحدث في الوديان الخلية يظل في الوديان الخلية..».

رددت بحزم «اغرب عن وجهي يا هوارد». رفع يديه للأعلى. «لا يمكنك لوم رجل على المحاولة».

قلت في بالي، أجل يمكنني لكني لم أتفوه بها.

عوضًا عن هذا أمسكت كأسًا آخر من النادلة المارة ونظرت حولي أتلمس شيئًا أغير به الموضوع.

سألته، «من الآخرين إذن؟ قد ميزتك وميزت نفسي وكول وتينا وأرشر. أه، أليكسندر بيلهوم. ماذا عن تلك الزمرة هناك؟» أومأت برأسي نحو الجماعة الصغيرة التي تتحدث إليها تينا. كان فيها ثلاثة رجال وامرأتان، إحداهما في نفس سني تقريبًا لكن بتياب أفضل مني بنحو 50,000 جنيهًا استرلينيًا، والأخرى... حسنًا، كانت مفاجأة نوعًا ما.

«هذا هو اللورد بولمر وأصدقاؤه الأحماء. كما تعرفين إنه مالك السفينة و... أعتقد يمكنك أن تطلقي عليه الرئيس السوري للشركة؟».

حدقت إلى الجماعة، في محاولة لرصد اللورد بولمر من مراجعتي الوجيزة على ويكيبيديا. في البداية لم أسطع معرفة من هو فيهم، ثم قهقه أحد الرجال، وهو يميل برأسه للخلف، وعرفت على الفور إنه هو. كان طويلًا ونحيلًا جدًا ويرتدي بذلة مصممة بدقة إلى درجة أنني تيقنت إنها مطرزة حتمًا، وكان مسمراً بشدة، وكأنه أمضى وقتًا طويلًا بالخارج. فيما شكلت عيناه الزرقاوان الصافيتان شقوقًا وهو يضحك، كان أشيب الفودين، لكنه ذلك اللون الرمادي المصحوب بشعر كالح السواد، وليد السن الكبيرة.

«إنه صغير جدًا، يبدو من الغريب نوعًا ما على شخص بسننا أن يكون من النبلاء، ألا تعتقد هذا؟».

«إنه من نبلاء فيكونت أيضًا على ما أعتقد. وبالطبع يؤول المال لزوجته في الأساس. إنها وريثة لينجستاد، وعملت عائلتها في تصنيع السيارات، أتعرفين العائلة التي أقصدها؟».

أومأت برأسي، فمع أن معرفتي بمجال الأعمال

ربما تكون ضعيفة وربما تحظى العائلة بشهرة خاصة، لكن حتى أنا سمعت بمؤسسة لينجستاد. في كل مرة ترى صورة منطقة كوارث عالمية، تجد شعارهم على الشاحنات وطرود المساعدة. تذكرت فجأة لقطة رأيته في كافة الصحف السنة الماضية -ربما تكون حتى إحدى صور كول- عن أم سورية تقف أمام شاحنة عليها شعار لينجستاد وتحمل رضيعها بين ذراعيها، وترفع الطفل نحو السائق وكأنه طلسم لتجعل الشاحنة تتوقف.

«وهذه هي؟» أومات برأسي نحو امرأة بيضاء البشرة بشعر أشقر تولي ظهرها لي، والتي كانت تضحك على شيء قاله أحد الرجال الآخرين. كانت ترتدي عباءة شديدة البساطة من الحرير الطبيعي بلون الزهور والذي جعلني أبدو وكأنني نقت عن فساتيني من صندوق الثياب في طفولتي، غير أن بين هز رأسه نافيتا.

«لا. إنها كلوي جينسين. عارضة أزياء سابقة ومتزوجة من هذا الرجل ذي الشعر الأشقر، لارس جينسين. وهو من الأشخاص الذين يحظون بسمعة كبيرة في عالم المال، رئيس شركة استثمارية سويدية كبرى. وعلى ما أعتقد أن بولمر دعاه إلى هنا بصفته مستثمراً محتملاً. لا، تلك زوجة بولمر بجواره، التي ترتدي غطاء رأس».

أها... كانت هي المفاجئة. فعلى خلاف الآخرين في المجموعة، بدت المرأة ذات غطاء رأس... حسناً، بدت مريضة. وكانت ترتدي نوعاً من الكيمونو الفضفاض من الحرير الرمادي عديم الشكل بلون عينيها، والذي يعتبر في المنتصف بين زي سهرة وعباءة للمنزل، لكن حتى من هنا أمكنني رؤية إنها ترتدي غطاء رأس حريزاً ملتفاً حول فروة رأسها،

وبشرتها شاحبة كالشمع. كان امتقاع وجهها مميزاً جداً بين بقية المجموعة، والتي بدت تقريباً وافرة الصحة مقارنة بها، أدركت أنني أحقق بهم ففضضت بصري.

قال بين بلا داعي، «كانت مريضة، بسرطان الثدي، أعتقد أن الأمر جلل». «كم عمرها؟».

«قراءة الثلاثين على ما أعتقد، أصغر منه على أي حال».

وبينما احتسى بين من كأسه واستدار للبحث عن النادل، وجدت نفسي أحقق بهم مجدداً. ما كنت لأميزها من خلال الصورة التي رأيتها لها عبر الإنترنت ولو بعد مليون سنة، ربما السبب في الجلد الرمادي أو الحرير الفضفاض، غير إنها بدت أكبر بأعوام مع اختفاء الشعر الذهبي العظيم، بدت امرأة مختلفة تماماً.

ما سبب وجودها هنا وليس في المنزل تتكن على أريكة؟ لكن مرة أخرى، لماذا لا ينبغي أن تكون هنا؟ ربما لم يعد أمامها وقت طويل لتعيشه، ربما كانت تحاول أن تستغل الوقت المتبقي أمامها قدر الإمكان. أو ربما - مجرد فكرة - ربما فحسب، تتمنى لو أن المرأة الأخرى في الفستان الرمادي توقفت عن التحديق إليها بهاتين العينين المشفقتين وتركتها وشأنها.

أشحت بنظري مجدداً، وبحثت في كل مكان عن شخص لا يتأثر سريعاً بنظراتي لأتأمل فيه. لم أجد إلا شخصاً واحداً في المجموعة لم أحسبه، رجل طويل القامة وكبير السن بلحية مخضبة بالشيب ومشذبة بعناية وشجاعة لا يمكن أن تكون نتاج كثرة حفلات الغداء الطويلة.

قلت لبين، «من شبيه دونالد ساذرلاند هذا؟»
فاستدار مجدداً.

«من؟ أه، هذا أوين وايت، مستثمر بريطاني. من
نوع ريتشارد برانسون.. لكن بحجم أقل بعض
الشيء».

«يا إلهي، بين. كيف تعرف كل هذا؟ هل تمتلك
معرفة موسوعية بمجتمع المرموقين أو شيء من
هذا القبيل؟».

«أبداً، لا». نظر بين نحوي، وعلى وجهه تعبير غير
مصدق بعض الشيء. «اتصلت بالمكتب الصحفي
وطلبت قائمة بالضيوف ثم بحثت عنهم على
جوجل، ليس هذا من قبيل أعمال شارلوك هولمز
بالضبط».

تبتاً، تبتاً. لماذا لم أفعل هذا؟ هذا ما كان ليفعله أي
مراسل محترف.. ولم افكر حتى فيها. لكن على
الأرجح أن بين لم يمض الأيام القليلة الماضية
محروماً من النوم و اضطراب ما بعد الصدمة.
«ماذا عن..».

لكن أيّ ما كان بين على وشك أن يقوله، فقد
تلاشى مقابل صوت «صرير، صرير، صرير!» لمعدن
يقرع على كأس شمبانيا طويل، وتحرك اللورد بولمر
لمنتصف الغرفة. وضعت كاميللا ليدهان الكأس
الطويل وملعقة الشاي التي أمسكت بها وتقدمت
للأمام خطوة كي تقدمه، لكنه أشاح بيده فانزوت
في الخلفية مع ابتسامة متواضعة.

عم في الغرفة صمت مهيب ومترقب، وشرع
اللورد بولمر في الحديث.

«شكراً لكم جميعاً على المجيء لتلتحقوا بنا هنا
في «أرورا» في رحلتها الأولى تلك». هكذا استهل

قوله بصوته الدافئ، وبنبرة عادية تثير الفضول كالتى يبدو عليها خريجو الكليات العامة وكأنهم يكافحون للتحدث بها، وعيناه الزرقاوان من نوع ذو خاصية مغناطيسية يصعب الإشاحة بنظرك عنهما. «اسمي ريتشارد بولمر، وأود أنا وزوجتي أن نرحب بكم على متن السفين «أرورا». وجل هدفنا من هذه السفينة أن نجعلها منزلاً لمن جاؤوا من المنزل». همس بين، «منزلاً من المنزل؟ ربما تطل شرفة منزله على البحر وبها ثلاجة صغيرة بمشروبات مجانية، أما أنا فقطفاً لست أمتلك هذا بحق الجحيم».

أردف بولمر، «لا نعتقد أن السفر يعني المساومة حتماً، فعلى متن «أرورا» كل شيء كما ينبغي أن تتمناه، وإن لم يكن كذلك، يود طاقم عملي أن يسمع منك». توقف هنيهة ثم غمز بعينه لكاميلاً، إقرار منه بأنها على الأرجح مسؤولة عن أي شكاوى.

«من يعرفون منكم ولعي باسكندنافيا، ودفء أهلها». ابتسم سريفاً إلى لارس وأن، «..وجودة طعامها». أوماً نحو صينية من التوابل وخبز القريديس التي تجوب في الأنحاء «.. وبهاء الإقليم المذهل نفسه، بداية من الغابات المتمايلة بفنلندا إلى الجزر المتناثرة في الأرخبيل السويدي إلى عظمة الوديان الخلالية بموطن زوجتي في النرويج. لكني أعتقد بالنسبة لي أن الخصلة المحددة للمشهد الاسكندنافي ليست -للمفارقة ربما- الأرض على الإطلاق، لكن السماء.. الشاسعة والصافية على درجة خارقة للطبيعة. وهذه السماء هي التي توفر ما يعتبره الكثيرون البهاء المتوج لتجربة الشتاء الاسكندنافي.. الأضواء الشمالية، الشفق القطبي. مع الطبيعة لا يوجد شيء مؤكد، لكني أمل كثيراً أن أشارككم جلال مشهد الأضواء

الشمالية في تلك الرحلة. إن الشفق القطبي شيء ينبغي على كل امرئ رؤيته قبل أن يموت، والآن فلترفعوا كؤوسكم رجاء سيداتي أنساتي، للرحلة الأولى لسفينة «أرورا بوريليس».. وندعو ألا يخبو أبداً جمال اسمها».

«نخب «أرورا بوريليس»»، هكذا ردنا انصياغاً في أن واحد، وخفضنا كؤوسنا. شعرت أن المشروب الكحولي يقطر بداخلي ويتخلل كل شيء، حتى خدي الذي ظل يؤلمني.

قال بين وهو يضع كأسه الفارغ، «هلمي يا بلاكلوك، لنؤدي عملنا ونجري الأحاديث الجانبية الودودة».

شعرت بوخز من أثر نفوري من الاقتراب نحو المجموعة معه. ففكرة أن نذهب سوياً بدت غريبة بالنظر إلى ماضينا، لكني لم أكن لأدع بين يبدأ في تكوين علاقات وأحجم أنا. وما إن بدأنا في عبور الغرفة حتى رأيت أن بولمر تمسك بذراع زوجها وتهمس بشيء في أذنه. فأوماً برأسه وطوت دثارها وشرع كلاهما في التحرك نحو الباب، بينما أمسك ريتشارد بذراع أن بقلق شديد عليها. مررنا إلى جانبهما في منتصف الغرفة فابتسمت ابتسامة عذبة أشرق وجهها الشاحب بارز العظام مع ظلال لما بدا حتماً وكأنه جمالها السابق، وقد لاحظت إنه ليس لديها حاجبان على الإطلاق. وبدون الحاجبين إلى جانب عظام وجنتيها الناتئين لاحظت على وجهها مظهراً مثل الجمجمة يثير الفضول.

قالت، «أنا واثقة إنكما ستعذراني». بدا صوتها خالصاً كمذيعي البي بي سي، بلا أي أثر للهجة يمكنني رصدتها. «أنا متعبة جداً، وأخشى أنني سأغادر عشاء الليلة، لكنني أتطلع لمقابلتكما غداً».

قلت بطريقة غريبة، «بالطبع»، ثم حاولت التبسم.

«أتطلع لهذا أ.. أنا الأخرى».

قال ريتشارد بولمر، «سوف أرافق زوجتي إلى مقصورتها فحسب، سأعود قبيل تقديم العشاء».

نظرت إليهما وهما يمشيان ببطء بعيداً ثم قلت لبين، «إن لهجتها الإنجليزية مدهشة، ما كنت لتعرف إنها من النرويج».

مشى بخطوات واسعة عبر الغرفة، وهو يلتقط حفنة من خبز القريديس في غضون ذلك، وزج بنفسه وسط المجموعة الصغيرة بسلاسة متمرس لصحفي موهوب بالفطرة.

سمعته يقول، «بيلهوم»، والتي نطقها بنبرة مليئة بالركة المصطنعة من الإستونية القديمة وعرفت إنه لن يستطيع الحفاظ عليها بالنظر إلى خلفيته الحقيقية، حيث نشأ في مقاطعة إسيكس. «يسعدني رؤيتك مجدداً. وحتماً أنت لارس جينسين يا سيدي، لقد قرأت تلك النبذة عنك في جريدة «فاينانشيال تايمز». وأنا من أشد المعجبين بموقفك في قضية البيئة.. فالمزج بين المبادئ والعمل ليس يسيراً كما تجعله يبدو عليه».

أف، أرايت ما يفعل، يكون علاقات كالأوغاد. لا عجب إنه يعمل الآن في التايمز ويجري تحقيقات ملائمة، بينما ظللت أنا عالقة في ظلال روان بمجلة «فيلوسيتي». يجب أن أنضم إليهم، يجب أن أتودد إليهم في تلك المحادثة تماماً مثلما فعل بين، هذه فرصتي وأنا أعرف هذا. لماذا أقف هنا إذن، أمسك بكأسي بأصابع متجمدة، عاجزة عن الحركة؟

مرت النادلة بزجاجة شمبانيا وعلى عكس حصافتي بعض الشيء تركتها تملا كأسي وبينما تسير بعيداً تجرعت رشفة طائشة.

«بيني؟» هكذا قال صوت منخفض في أذني،

واستدرت لأرى كول ليديرر واقفا خلفي.

تمكنت من قول، «معذرة، بيني من؟» مع أن راحتا يدي كانتا تقطران عرقا، يجب أن أتخطى هذا.

ابتسم ابتسامة عريضة، وأدركت خطاي.

«أه، بالطبع، على أفكاري»، قلتها بارتباك، ولأنه كان الطف من اللازم.

قال وهو ما يزال مبتسما، «معذرة، يا له من قول مبتذل، لا أعرف لما قلت هذا. لكنك بدوت مستغرقة جداً في التفكير وأنت واقفة هنا، وتعضين على شفتك هكذا».

أكنت أعض على شفتي؟ يا للجحيم، لماذا لا أجعل أطراف ملابسي تتدلى في القاذورات أيضا وربما أترك أهدابي ترتجف أيضا؟

حاولت تذكر ما كنت أفكر فيه، بخلاف بين وافتقاري إلى مهارات تكوين العلاقات، بيد أن الشيء الوحيد الذي جال بخاطري هو الوغد الذي اقتحم شفتي، لكنني ملعونة إذا سمحت لتلك الفكرة بأن تجول بخاطري هنا. أردت من كول ليديرر أن يحترمني بصفتي صحفية لا أن يشفق علي.

«أه... السياسة؟» أخيراً نطقت، بدأت الشمبانيا والتعب يتسللان إلي. لم يبد عقلي وكأنه يعمل بطريقة ملائمة، وبدأت أشعر بصداع في رأسي. أدركت أنني على مشارف الشعور بالثمالة، وليس نوع الثمالة الجيد أيضا.

نظر لي كول بتشكك.

«حسنا، فيما كنت تفكر إذن؟» قلتها بفضاظة، فثمة سبب يجعلنا نحتفظ بالأفكار في رأسنا غالبا.. لأنه ليس من الأمان البوح بها علنا.

«أتعنين بخلاف النظر إلى شفتيك؟».

قاومت رغبتني في إدارة حدقتي عيني ضجراً وحاولت استحضار روان التي بداخلي، والتي كانت لتغazole إلى أن تحصل على بطاقة بيانات عمله.

أردف كول، «إن كان لا مفر من أن تعرفي»، واستند إلى الجدار مع ارتفاع السفينة فوق موجة وارتجاج الثلج في جرادل الشمبانيا، «كنت أفكر فيمن على وشك أن تصبح طليقتي».

قلت، «أه، أسفة». كان ثملاً هو الآخر، لاحظت هذا لكنه أخفاه ببراعة.

«إنها تخونني مع إشبيني من حفل زفافي، وكنت أفكر في كيفية رد المعروف».

«خنها مع إشبينتها؟».

«أو مجرد... أي أحد، حقاً».

ماذا فعلت.. مع تفوهي بهذا، بات بمثابة عرض مباشر حتفاً. ابتسم ابتسامة عريضة مجدداً، وتمكنت نوعاً ما من جعل الجملة تبدو جذابة بعض الشيء، وكأنه يجرب حظه ولا يتصرف كمحتال رخيص.

قلت باستخفاف، «حسناً لا أفترض إنك ستواجه مشكلة عويصة، فأنا متأكدة تماماً أن تينا ستنصاع».

ضحك كول ضحكة ساخطة، وشعرت بالذنب فجأة، وأنا أفكر كيف كنت لأشعر لو أن بين وتينا كانا يطلقان نكاتاً مماثلة عني وأنا أعرض نفسي على كول لأجل مسيرتي المهنية. بدت تينا جذابة، صفقة رابحة، ليس هذا بالأمر الجلل.

قلت، «أسفة»، وأنا أتمنى لو كان في استطاعتي سحب هذا التعليق. «لقد كانت تلك مزحة رخيصة جداً».

«لكنها صحيحة»، قالها كول بجفاء. «بإمكان تينا

أن تسلخ جدتها لأجل قصة، ومصدر قلقي الوحيد». تجرع من الشمبانيا مجدداً وابتسم، «سيكون الخروج من هذه المواجهة حياً».

«سيداتى وسادتى»، قطع صوت المضيف محادثاتنا. «إذا رغبتى فى التوجه إلى غرفة جانسون فعلى الرحب والسعة، سيقدم العشاء بعد قليل».

وعندما بدأنا فى الاصطفاف، شعرت بعينى شخص ما على ظهري، واستدرت لأنظر من هو. كانت تينا واقفة خلفى، و أخذت تنظر إلى يامعان شديد فى الواقع.

8

تطلب الأمر وقتًا طويلاً إلى حد مدهش كي يرشدنا الطاقم إلى غرفة الطعام الصغيرة المجاورة. كنت أتوقع شيئاً عملياً بطريقة أو بأخرى، مثل العبارة التي كنت أستقلها مع صفوف من المناضد وطاولة غداء طويلة. بالطبع كانت الحقيقة مختلفة تماماً.. وكأننا داخل منزل شخص ما، إذا كنت أعرف أي أحد لديه منزل بستانر من الحرير الطبيعي وكؤوس من الزجاج البلوري.

وبحلول الوقت الذي جلسنا فيه شعرت برأسي تخفق من الألم، وشعرت بتوق شديد لتناول بعض الطعام.. أو حتى أفضل من ذلك بعض القهوة، مع أنني افترضت إنه ينبغي علي الانتظار حتى التحلية لأجل هذا، وبدا هذا مثل مشوار طويل.

تم ترتيب الضيوف على طاولتين من ستة أفراد، لكن في كل منهما مكان خاوٍ. هل أحدهما حيث كان يفترض للفتاة من المقصورة العاشرة أن تجلس؟ عدت الحاضرين سريعاً وخفية.

على الطاولة رقم واحد ريتشارد بولمر وتينا وأليكسندر وأوين وايت وبين هوارد، والمكان الخاوي مقابل لريتشارد بولمر.

وعلى الطاولة الثانية كنت أنا ولارس وكلوي جينسين وأرشر وكول، ومكان خاوٍ إلى جواره.

«يمكنك إزالة هذه»، هكذا قال كول للنادلة التي جاءت بزجاجة نبيذ، ولوح بيده نحو أدوات المائدة غير المستخدمة. «لم تستطع زوجتي المجيء إلى الرحلة».

«أه، يؤسفني هذا يا سيدي». انحنى قليلاً، وقالت شيئاً لزميلتها، وعلى الفور أزيلت أدوات المائدة

من ذاك المكان. حسناً، هذا يفسر السبب. لكن يظل المكان الخاوي بالطاولة الأولى.

سألت النادلة «خمر الشبيلة الفرنسي؟».

«أجل رجاءً». مد كول يده بكأسه، وأثناء فعل هذا انحنت كلوي جينسين عبر الطاولة ويدها ممتدة نحوي.

«لا أعتقد إننا تعرفنا على بعض». صوتها منخفض وأجش، على عكس هيئتها الضئيلة تماماً، وبمسحة من لهجة مقاطعة إسيكس. «أنا كلوي.. كلوي جينسين، مع أن اسمي المهني ويلدي».

بالطبع، ما إن نطقت به عرفتھا على الفور، عظام الخد البارزة والشهيرة تلك والميل السلافي بعينيھا، والشعر الأشقر. حتى بدون مستحضرات التجميل التي تستخدم على المسرح والأضواء، بدت من عالم آخر بعض الشيء، وكأنھا انتزعت من قرية صيد صغيرة بأيسلندا، أو بيت ريفي روسي في سيبيريا. ونظراتھا جعلتني أجد صعوبة في تصديق قصة اكتشافھا من مكتشف مواهب عارضات أزياء في متجر كبير خارج المدينة.

قلت، «يسرني لقاءك»، وصافحتها، أصابعھا باردة، وقبضتها كادت أن تؤلمني من شدتها، وبدت أشد بفعل الخواتم الضخمة التي ترتديھا، والتي تركت أثراً على براجمي. بدت عن قرب فاتنة أكثر، أما الجمال البسيط جداً لثوبھا ففاق ثوبي رقياً بكل وضوح، شعرت إننا جننا أيضاً من كوكبين مختلفين. قاومت الحاجة لأن أسحب ياقتي. «أنا لو بلاكوك».

«لو بلاكوك!» قرقرت ضاحكة. «أحبه، يبدو اسفا لنجمة فيلم من خمسينيات القرن الماضي، ذلك النوع ذو الخصر النحيف ونهدين بارزين».

«أتمنى هذا». وعلى الرغم من الصداع المتزايد

في رأسي، ابتسمت. شعرت بشيء معد في مرحها.
«وحتماً هذا زوجك...؟».

«هذا لارسن أجل». نظرت صوبهن وهي تستعد لإشراكه في المحادثة وتقديمه، لكنه اندمج بشدة في محادثة مع كول وأرشر، وأدارت هي حدقتي عينيها ملأاً فحسب ثم استدارت نحوي.

«هل لديهم شخص آخر سيلحق بهم؟» أومأت برأسي إلى المكان الخاوي بالطاولة الأولى.

هزت كلوي رأسها نافية. «أعتقد إنه كان لأجل أن.. كما تعرفين، زوجة ريتشارد؟ إنها ليست بخير. وقررت أن تتناول العشاء في مقصورتها على ما أعتقد».

«بالطبع». كان يجب أن أفكر في هذا، سألتها، «هل تعرفينها جيداً؟».

هزت كلوي رأسها نافية. «لا، أعرف ريتشارد تمام المعرفة، عن طريق لارس، لكن أن لا تغادر النرويج عادة». خفضت صوتها وتحدثت بثقة. «يفترض أن تنعزل عن العالم نوعاً ما في الواقع، لذلك أدهشني أن أجدها على متن السفينة.. لكن في تصوري أن الإصابة بالسرطان قد تجعلك..».

لكن أيا كان ما ستقوله قاطعه وصول خمسة أطباق مربعة داكنة، في كل منها مربعات صغيرة بألوان قوس قزح وكتل من الرغبة التي ربت على هيئة قصاصات حشائش، وأدركت أنه ليست لدي فكرة عما أنا على وشك تناوله.

أعلن المضيف، «سمك بطلينوس صدف في مخلل في البنجر، مع رغبة حشائش البيسون، وقطع من نبات السامفير».

تراجع النذل والتقط أرشر شوكتة وغرزها في أكثر

الألوان توهجًا بتلك المربعات.

قال بريية، «بطلينوس صدفي؟» وشعرت أن لهجة يوركشاير التي يتحدث بها كانت أقوى بعض الشيء مما تبدو عليه في التلفاز. «لم أتحمس أبداً للصدفيات النينة نوعاً ما، فهي تشعرني بتهيج عصبي».

قالت كلوي، «حقاً؟» وابتسمت كالقطة ابتسامة منحنية أشارت إلى شيء بين الغزل وعدم التصديق. «اعتقدت أنك ملم بإبعاد الشجيرات.. كما تعرف، الحشرات والسحالي وما إلى ذلك».

«لو دفع لك لتأكلي الروث في وظيفتك، ستتخيلين شريحة لحم لطيفة في يوم إجازتك أيضاً»، قالها مبتسماً. ثم استدار نحوي ومد يده. «أرشر فينلان، لست واثقاً إن كنا نعرفنا».

«لو بلاكلوك»، قلتها بفم مليء بشيء رجوت ألا يكون بصاق طائر الوقواق، مع إنه كان من الصعب تحديد ذلك. «لقد التقينا في الواقع، لكنك لن تذكر، أنا أعمل لصالح مجلة «فيلوسيتي».

«أه، أجل. هل تعملين لصالح روان لونسدال إذن؟».

«هذا صحيح».

«هل أحببت تلك المقالة التي كتبتها لها؟».

«أجل، كانت شهيرة جداً، حصلت على تغريدات كثيرة».

اثنا عشر صنفاً من الطعام ستندهش عندما تعرف إنها صالحة للأكل، أو شيء من هذا القبيل. كان المقال مصحوباً بصورة أرشر يشوي شيئاً يعف اللسان عن ذكره على النار ويبتسم ابتسامة عريضة للكاميرا.

«ألن تأكله؟» هكذا قالت كلوي وهي تومئ إلى

صحن أرشر. وكان صحنها خاويًا تقريبًا فمسحت بإصبعها على رغبة ولعقتها.

تردد أرشر، ثم دفع صحنه بعيداً وقال، «أعتقد إنني سأستبعد هذا وانتظر الوجبة التالية».

قالت كلوي، «أنصفت». ثم ابتسمت ابتسامة بطيئة ملتوية مرة أخرى. لفت نظري حركة في حجرها ورأيتها أسفل مستوى الطاولة، والتي لم يخفها غطاء المائدة، كانت تمسك بيد لارس، وإبهامه يداعب براجمها بانتظام. كان المشهد حميمياً نوعاً ما، مع ذلك علنياً جداً، إلى درجة أنني شعرت بصدمة صغيرة تسري في جسدي. ربما أن شخصيتها الفثدلة كما تبدو عليه.

أدركت أن أرشر يتحدث إلي، واستدرت لأركز معه بمجهود. قلت، «معذرة، سرحت بأفكاري بعيداً، ماذا قلت؟».

«قلت، هل يمكنني أن أملاه مجدداً لك؟ إنه خاو».

نظرت للأسفل نحو الكأس وقلت، «أجل، إذا تفضلت».

وبينما أخذ يصب حدقت إلى الكأس، في محاولة لأستشف مقدار ما احتسيته بالفعل. تناولت رشفة، وبينما فعلت هذا انحنت كلوي نحوي وهمست، «أمل ألا تمانعي أن أسألك، لكن ماذا حدث لخدك؟».

ربما بدا الاندهاش على وجهي لأنها لوححت بيدها بإيماءة معناها «لا تلق بالاً».

«معذرة، تجاهليني، هذا ليس شأني. أنا فقط... حسناً، دخلت في علاقات سيئة، هذا كل ما في الأمر».

«أه... لا!» لسبب ما أخجلني سوء الفهم هذا، وكأنه خطأي أو كأنني اغتبت جوداً، مع أن كلاهما ليس

صحيح. «لا، ليس هذا ما في الأمر، بل تعرضت للسرقة».

«حقاً؟ بدت مصدومة. «عندما كنت داخل مسكنك؟».

«أجل، ازدادت هذه الحوادث شيوعاً على ما يبدو، أو هكذا تقول الشرطة».

«وهل هاجمك؟ يا إلهي».

«ليس تمامًا». شعرت بتردد غريب من الخوض في التفاصيل، ليس فقط لأن التطرق إلى هذه الحادثة أعاد إلى ذهني وميضاً من الذكريات الكريهة لما جرى لكن أيضاً بدافع من الغرور نوعاً ما. أردت الجلوس على هذه الطاولة بصفتي محترفة، الصحفية السلسة المتمكنة والقادرة على التعامل مع كافة المستجدات. لم أستسغ تجسيد نفسي كضحية خائفة، انكملت خوفاً في غرفة نومها.

لكن القصة كشفت الآن -على الأقل كشف 90 في المائة منها- وبدا عدم الشعور وكأنه نيل للتعاطف بزعم وهمي.

«كانت.. كانت عن غير عمد في الواقع. إذ طرق الباب في وجهي فأصاب خدي. ولا أعتقد إنه قصد إيذائي».

الحقيقة إنه كان ينبغي علي أن أمكث في غرفتي فحسب ورأسي أسفل الغطاء. أيتها الغبية لو، تطاولت بعنقك.

قال أرشر، «يجب أن تتعلمي الدفاع عن النفس، هكذا بدأت كما تعلمين. مشاة البحرية الملكية البريطانية. لا يتعلق الأمر بالحجم؛ فحتى فتاة مثلك يمكنها أن تقهر رجلاً لو استفدت بطريقة صحيحة من مزاياك. انظري، سأبين لك». دفع

كرسيه إلى الوراء. «انهضي».

وقفت، وأنا أشعر بالحرَج قليلاً، وبحركة سريعة للغاية أمسك بيدي ولواها خلف ظهري، فأخل بتوازني. أمسكت الطاولة بيدي الحرة، لكن واصل التواء كتفي، وجذبني للخلف، فصرخت عضلاتي احتجاجاً. صدرت عني جلبة - نصف تألم ونصف خوف - وبطرف عيني لمحت وجه كلوي المصعوق. قالت، «أرשר!» ثم يالاحاح أكثر، «أرشر.. أنت تخيفها!».

أفلتني فارتيميت على مقعدي مجدداً بساقين مرتعشتين في محاولة لئلا أبدي مقدار الألم الذي حل بكتفي.

«معذرة»، قالها أشر بابتسامة عريضة وهو يسحب كرسيه مجدداً إلى الطاولة. «أمل أنني لم أؤذيكَ، لا أعرف مقدار قوتي. لكن أرايت ما أعنيه.. من الصعب جداً الإفلات من هذا، حتى لو كان خصمك أكبر منك، متى أردت درسا..».

حاولت أن أضحك، لكن صدرت عني ضحكة زائفة ومرتجفة.

«يبدو إنك بحاجة إلى شراب»، هكذا قالت كلوي فجأة، وملأت كأسي. وبينما استدار أشر ليتحدث إلى النادل، أضافت بصوت منخفض، «تجاهلي أشر، لقد بدأت أصدق الشائعات حول زوجته الأولى. واسمعي، إن أردت ستر تلك الكدمة، فلتأت لزيارة مقصورتني في إحدى المرات، لدي حقيبة كاملة من الحيل وأنا خبيرة تجميل ماهرة جداً، ستحتاجين لأن تندمجي مع الأجواء حولك».

قلت، «سأفعل هذا»، وحاولت التبسم. بدت ابتسامة زائفة ومجهددة والتقطت كوبتي وارتشفت مجدداً منه لأخفي تلك الابتسامة. «شكراً».

بعد الوجبة الأولى، تبدلت الأماكن ووجدت نفسي على الطاولة الأخرى بعيداً عن أرشر، ما أشعرنى بالراحة، فجلست بين تينا وأليكسندر، والذان يخوضان نقاشاً مطّلعاً جداً حول الأطعمة العالمية من فوق رأسي.

«بالطبع نوع ساشيمي الذي يتحتم عليك تجربته حقاً هو الفوجو»، قالها أليكسندر بلا تحفظ، وهو يسوي منديله على وشاح خصره المشدود. «إنه بلا شك المذاق الأروع».

«الفوجو؟» قلتها وأنا أحاول إقحام نفسي في المحادثة. «أليست تلك السمكة شديدة السمية؟».

«بالتأكيد، وهذا ما يشكل التجربة. لم أكن أبداً من متعاطي المخدرات - أعرف نقاط ضعفى، وأنا على دراية تامة بأنى من المترفين في هذه الحياة، لذلك لم أثق أبداً بنفسى بأن أنهل هذا النوع من الطعام - لكن فى استطاعتى افتراض أن النشوة التى يجربها شخص ما بعد تناول الفوجو تشبه الاستجابة العصبية فى المخ. وكان الزهر ألقى فى لعبة موت وحية، وفزت».

تشدقت تينا وهى ترتشف نبيذها، «ألا يقولون إن فن أمهر الطهارة يقاس بقدرته على أن يقطع بالسكين إلى أقرب درجة ممكنة من الأجزاء السامة للسمكة ويترك فحسب نثرة من السم على اللحم ليجعل التجربة مثيرة؟».

وافقها أليكسندر؟ «سمعت هذا، يفترض إنه محفز إذا كان بكميات قليلة للغاية، مع أن أسلوب القطع بالسكين هذا ربما له علاقة بسعر السمكة وعدم رغبة الطاهي فى إهدار ولو مزقة منها».

سألت، «إذن إلى أى مدى درجة سميتها؟ من حيث الكمية أعني؟ ما مقدار ما ينبغى عليك أكله؟».

قال أليكسندر، «حسناً، هذا هو السؤال المناسب، أليس كذلك». مال عبر الطاولة وفي عينيه بريق مزعج وقد بدأ في استحسان موضعه. «يوجد أجزاء مختلفة من السمكة فيها كميات متفاوتة من السموم، لكن من حيث أكثر الأجزاء سمية - والتي يمكن أن نقول إنها الكبد والعينان والمبايض - فهي قليلة جداً جداً، بالجرامات إذا شئت الدقة. يقولون إنه أفتك بقراءة ألف مرة من سم السيانييد». غرز شوكة في شرائح لحم السمك ووضعها في فمه ثم تكلم وهو يلوك تلك السمكة الرقيقة. «إنها حتماً طريقة شنيعة جداً للموت بها. وقد استمتع الطاهي الذي أعدها لنا في طوكيو بوصف كيفية عمل السم.. إنه يشل الأعصاب كما تعرفين، لكن عقل الضحية لا يتأثر تماماً، ويظلون على وعي تام خلال تلك التجربة بينما تضرر عضلاتهم ويعجزون عن التنفس». ابتلع ريقه ولحس شفثيه الرطبتين ثم ابتسم. «وفي النهاية يختنقون ببساطة».

نظرت إلى شرائح السمك النيء على صحنى، ولم أعرف سبب شعوري، أهو بسبب النيذ أم وصف أليكسندر المستفيض أم ما إذا كان البحر قد اضطرب، شعرت فجأة بجوع أقل مما كنت عليه قبل العشاء، فوضعت قطعة منه داخل فمي على مضض ثم مضغتها.

قالت تينا فجأة، «حدثينا عن نفسك يا عزيزتي»، فأدهشني أن ركزت انتباهها نحوي وليس على أليكسندر. «تعملين مع روان حسبما سمعت؟».

بدأت تينا العمل في مجلة «فيلوسيتي» أواخر الثمانينيات، وتقاطع عملها لفترة وجيزة مع روان، والتي ظلت تتحدث عنها وعن شراستها الأسطورية. «هذا صحيح». ابتلعت ما في فمي بسرعة متعبة.

«كنت أعمل هناك منذ عشر سنوات».

«إنها حتماً تجلك كونها أرسلتك إلى رحلة كهذه، إنجاز غير متوقع حسبما أعتقد؟».

تحركت في مقعدي، ما الذي يمكنني قوله للإجابة على هذا؟ في الواقع، لا أعتقد أن هناك طريقة كانت لتجعلها تثق بي في هذا العمل لولا إنها تخضع للاستشفاء بالقسطرة الوريدية؟

أخيراً قلت، «أنا محظوظة جداً، لكم هي فرصة عظيمة أن أحضر هنا، وتعرف روان مدى حرصي على إثبات نفسي».

«حسناً، استمتعي بهذا، هذه نصيحتي». ربتت تينا على ذراعي، وشعرت ببرد خواتمها على بشرتي. «فأنت تعيشين مرة واحدة فحسب، أليس هذا ما يقولونه؟».

9

بدلنا أماكننا على المقاعد مرتين آخرين، لكن بطريقة ما لم أجد نفسي أبداً إلى جوار بولمر، لكن بعد تقديم القهوة وبات في وسعنا العودة إلى صالة جلوس ليندجرين سنحت لي الفرصة كي أبادره بالكلام. سرت عبر الغرفة فحسب بفنجان القهوة في يدي، وحاولت السير باتزان والقارب يتحرك ويخل توازني، عندما لمع وميض في وجهي وتعثرت، وتجنبت بصعوبة أن أبلل نفسي بالقهوة. حيث تناثرت بعض القطرات على طرف العباءة والأريكة البيضاء إلى جواري.

«ابتسمي»، هكذا قال الصوت في أذني، وأدركت أن المصور هو كول.

«سحقاً، يا لحماقتك» قلتها بفضاظة ثم أردت فجأة أن أركل نفسي، فأخر ما أردته أن يرسل تقريراً عن فظاظتي إلى روان، أنا حتماً ثملة أكثر مما اعتقدت. «ليس أنت»، قلتها بحرج في محاولة لستر ذلتي. «بل أنا.. أعني، الأريكة».

لاحظ انزعاجي وضحك. «تورية جيدة، لا تقلقي، لن أحكي قصصاً عنك لمديرتك، فالأنا بداخلي ليست بتلك الهشاشة».

«أنا لم..». تلعثمت، لكنه حدد بدقة تكاد تكون خارقة للطبيعة ما كنت أفكر فيه، إلى درجة أنني لم أستطع التفكير في كيفية إنهاء العبارة. «أنا فقط..».

«انسى هذا، إلى أين كنت متجهة بهذه العجلة على أي حال؟ كنت تسرعين الخطى عبر الغرفة مثل الرماة يطاردون طبيباً عاجزاً».

«أنا..». شعرت بالعجز من الاعتراف بهذا لكن رأسي وخزنتي بخليط من التعب والكحوليات، ونوعاً

ما بدا من الأسهل لي أن أعترف بالحقيقة. «كنت أمل أن أتحدث إلى ريتشارد بولمر. كنت أحاول أن أتحدث إليه طوال الليل، لكن لم تسنح لي الفرصة أبداً فحسب».

«وكنت تقدمين على تلك الخطوة عندما أفسدتها عليك»، قالها كول ببريق في عينيه، وابتسم مجدداً، وأدركت أن أسنانه القاطعة هي التي تضيء عليه هذا الشكل الأشبه قليلاً بالذئاب، هالة من الافتراس. «حسناً، يمكنني أن أرتب ذلك على أي حال. بولمر!». انكمشت عندما استدار ريتشارد بولمر من محادثته مع لارس ونظر عبر الصالة.

«هل سمعتُ اسمي؟».

قال كول، «بلى سمعته، تعال وتحدث إلى هذه الفتاة اللطيفة، ولتعوضها عن الكمين الذي نصبته لها».

ضحك بولمر، ثم التقطت كوبه من على الكرسي ذي الذراعين إلى جواره ثم عبر إلينا. تهادى في مشيته على الرغم من التمايل الخفيف للسفينة، وأخذت انطباعاً إنه شخص ذو لياقة بدنية عالية جداً وعلى الأرجح إنه متين البنيان أسفل تلك البذلة المطرزة جيداً.

قال كول وهو يلوح بيده، «ريتشارد، هذه لو.. لو، هذا ريتشارد. باغتها بصورة خاطفة وهي تسير إليك وسكبت قهوتها».

توردت خدودي بالحمرة، لكن بولمر كان يهز رأسه أسفاً إلى كول.

«أتعرف ما قلته بخصوص الحذر وأنت تتعامل مع هذا الشيء». أوما برأسه نحو الكاميرة الثقيلة المتدلية حول عنق كول. «فلا يرغب الجميع في

صور متلصصة لأنفسهم في أوضاع غير ملائمة». قال كول بتهاون، «أه إنهم يحبونها»، وهو يضحك حتى بدت نواجذه. «فهذا يجعلهم يمرون بتجربة المشاهير المناسبة إلى جانب المكان الأنيق».

قال ريتشارد، «أعني هذا»، ومع إنه ابتسم لكن لم يعد صوته يبدو مسليًا. «أن على وجه التحديد». خفض صوته. «كما تعرف إنها حريصة منذ..».

أوما كول برأسه، فيما انطفأت الابتسامة على وجهه. «أجل بالتأكيد يا رجل. هذا مختلف، لكن لو هنا لا تمنع أليس كذلك يا لو؟» وضع ذراعه حول كتفي، وسحقني وهو يضمني إليه حتى إن كتفي تحطم على كاميرته، وحاولت الابتسام. قلت بغرابة، «لا، لا بالطبع لا».

قال بولمر، «تلك هي الروح المطلوبة»، وغمز قليلاً. كانت إيماءة غريبة - نفس الإيماءة التي لاحظتها قبيل حديثه إلى كاميليا ليتمان - ليست كحنان أحد الأقارب كما قد تبدو عليه، لكنها أشبه بمحاولته تسوية ما عرف إنه حقل لعب غير مستو إلى حد مرعب. لا تفكري في بصفتي مليونير عالمي، هكذا قالت غمزته، بل أنا مجرد شخص عادي وودود.

كنت أحاول التفكير في كيفية الرد فحسب، عندما ربت أوين وايت على كتفه ثم استدار.

قال، «ما الذي يمكنني فعله لأجلك يا أوين؟» وقبل أن تتسنى لي الفرصة لأفتح فمي، ضاعت الفرصة. «أنا..». تمكنت من قولها، وعاد للنظر إلى الورا نحو.

«اسمعي، من الصعب دومًا الحديث في تلك الأجواء، لماذا لا تمرين إلى جوار مقصورتي غداً بعد الأنشطة المقررة، يمكننا التسامر بطريقة ملائمة؟».

«شكراً»، قلتها في محاولة لئلا أبدو ممتنة إلى حد مثير للشفقة.

«عظيم، إنها المقصورة رقم 1، أتطلع للقائك».

«معذرة»، قالها كول بصوت منخفض وأنفاسه تداعب الشعر الملفف حول أذني. «فعلت أفضل ما في وسعي، ماذا يمكنني القول؟ إنه رجل مطلوب، كيف يمكنني جعل الأمر ببديك؟».

«لا تبال»، قلتها بارتباك، إذ كان واقفاً بطريقة مزعجة بالقرب مني وأردت التراجع خطوة إلى الوراء، لكن صوت روان كان يزعجني في قرارة عقلي: كوني شبكات اجتماعية يا لوا! «أخبرني... أخبرني شيئاً عنك عوضاً عن هذا، ما الذي جاء بك إلى هنا؟ قلت إن هذا ليس من شيمتك».

قال كول، «إن ريتشارد صديق قديم نوعاً ما». أمسك بفنجان قهوة من على صينية النادلة المارة، وتجرع منها. «كنا في كلية باليول سويًا. لذلك عندما طلب مني المجيء، شعرت إنه ليس في وسعي الرفض».

«هل علاقتكما وطيدة؟».

«لا يمكنني القول بأنها وطيدة، فلا تجمعنا نفس الاهتمامات بحق.. هذا صعب عندما يكون أحكما مصوراً مكافحاً والآخر متزوج من إحدى أثرى النساء في أوروبا». ابتسم ابتسامة عريضة. «لكنه شخص طيب، ربما يبدو وكأنه ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، لكنها ليست الصورة الكاملة. كان يمر بأوقات عصيبة وأعتقد أن هذا ما جعله يتعامل ببأس مع... حسنًا، كل هذا». لوح بيده إلى كل ما يحيط بنا.. إلى الحرير والبلورات والتجهيزات اللامعة. «إنه يعرف ما تعنيه خسارة الأشياء، والناس».

فكرت في ان بولمر، والطريقة التي رافقها بها ريتشارد نحو مقصورتها على الرغم من الغرفة المليئة بالضيوف الذين ينتظرون التحدث إليه، واعتقدت إنه عرف على الأرجح ما كان يعنيه كول. أمست الساعة الحادية عشرة تقريبًا عندما تمكنت أخيراً من العودة إلى غرفتي، كنت ثملة، ثملة للغاية. مع إنه من الصعب معرفة إلى أي نوع من الثمالة تلك، إذ كنا في عرض المحيط الآن، وتلك الحركة المتقلبة للبحر امتزجت باضطراب مع الشمبانيا... والنبیذ... أه، والجرعات المثلجة من الأكفافيت. يا إلهي، ماذا دهاني؟

مرت لحظة من الصفاء في ذهني عندما وصلت إلى بابي ووقفت لوهلة، وثبتت نفسي على الإطار. عرفت سبب تلك الثمالة، عرفت السبب بالضبط، لأنني إن كنت لأنام كالموتى. وما استطعت التعامل مع ليلة أخرى من النوم المتقلقل.. ليس هنا. لكنني طرحت تلك الفكرة بعيداً وبدأت مهمة استعادة بطاقة فتح الباب الإلكتروني التي خبأتها داخل صدريتي.

«هل تحتاجين إلى المساعدة يا بلاكولوك؟» هكذا صدر من خلفي صوت مبهم، وملاً ظل بين هوارد وإطار الباب.

قلت، «أنا بخير»، وأنا أستدير حتى لا يرى معاناتي. لطمت موجة السفينة فترنحت وتمايلت. قلت في بالي، أغرب عني يا بين.

«هل أنت متأكدة؟» انحنى تجاهي، وهو يتلصص عن عمد من فوق كتفي.

«أجل»، صرت أقرقف بأسناني الان من الغيظ، «أنا متأكدة».

«لأن في استطاعتي المساعدة». ابتسم ابتسامة فاسقة، وأوماً برأسه تجاه أعلى ثوبي، والذي كنت أمسك به لأحول دون وقوعه للأسفل. «يبدو وأنه في استطاعتك الاستفادة من يد إضافية، أو يدين». «أغرب عني»، قلتها باقتضاب. شعرت بشيء عالق أسفل لوح كتفي الأيسر، شيء دافئ وصلب بدا كثيراً مثل بطاقة. لو كان في استطاعتي فحسب أن أمد أصابعي أكثر إلى الخلف...

اقترب مني أكثر، وقبل أن أدرك ما كان على وشك فعله، دس يده بقوة أسفل ثوبي من الأمام، وشعرت بآلم سريع بينما تحركت أزرار أسواره ببطء فوق بشرتي، ثم أطبق بأصابعه على نهدي واعتصره بقوة، بطريقة يفترض أن تكون مثيرة. لكنها ليست كذلك.

لم أفكر فيها حتى، سمعت ضوضاء تشبه مواء قطّة، ما إن ركلته بقوة بركبتي بين قدميه إلى درجة إنه لم يصرخ حتى، بل طرح ببطء على الأرضية، وصدر عنه أنين بشهقة ضعيفة. وانهمرت مني الدموع.

بعد نحو عشرين دقيقة كنت أجلس على فراشي داخل المقصورة، ظللت أنشج باكية وأمسح مجمل الرموش عن خدي، جلس بين متقرضاً إلى جوارى، وإحدى ذراعيه حول كتفي فيما أمسكت الأخرى بدلو من الثلج بين قدميه.

قال مجدداً، «أسف»، وفي صوته نعيق من أثر الألم المكبوح. «رجاء يا لو، رجاء توقفني عن البكاء، أنا أسف بحق. كنت مغفلاً، أبله تماماً. أستحق هذا».

«ليس للأمر علاقة بك»، قلتها بنحيب، مع أنني لم أكن متأكدة إن كان في استطاعته فهم الكلمات. «لم

يعد في وسعي التأقلم مع هذا يا بين، منذ السرقة التي تعرضت لها.. أعتقد أنني سأجن..»
«أي سرقة؟».

أخبرته بما حدث مشوبًا بنحيبي، كل ما لم أقله لجودا، وكيف كان الحال عندما استيقظت وأدركت بوجود شخص في شقتي، وإدراكي أن لا أحد سيسمعني إذا صرخت، وإدراكي إنه محال أن أحصل على المساعدة، ولا فرصة أمامي لقتال المقتحم، وأنا كنت ضعيفة بطريقة لم أفكر أنني عليها قبل تلك الليلة.

«أنا أسف»، كررها بين مثل شعار، وفرك ظهره بيده الحرة. «أنا في غاية الأسف».

وهذا التعاطف الغريب منه جعلني أنحب أكثر.
«اسمعي يا حبيبة القلب..».

آه، لا. «لا تنادني بهذا». وقفت وأنا أنفض شعري عن وجهي، وتفلت من قبضته.

«أسف، إنها فقط.. خرجت مني عفويًا».

«لا أبالي، لا يمكنك أن تكرر هذا يا بين».

«أعرف»، قالها بتشتت. «لكن يا لو، بأمانة، لم أقصد قط..».

«لا تكمل»، قلتها سريعًا.

«لو، ما فعلته كان عبثًا، أعرف أنني..».

«قلت لا تكمل، انتهى الأمر».

هز رأسه، لكن كلماته بطريقة أو أخرى منعني من البكاء. ربما كان للسبب في منظره مضروبًا وحانيًا ظهره وبائسًا للغاية.

«لكن يا لو..». نظر نحوي إلى الأعلى، وشعرت أن عينيه الأشبه بعيني جرو بنيتين تلينان على الضوء الجانبي للفراش. «لو، أنا..».

«لا!» صدرت عني أقوى وأعلى مما قصدت، لكن وجب علي أن أسكته، لم أكن متأكدة مما كان علي وشك قوله، لكن أيًا ما كان، تيقنت أنني لن أستطيع تحمل قولها منه. سأظل عالقة مع بين على هذا القارب على مدار الأيام الخمسة التالية. وليس في استطاعتي أن أتركه يحرج نفسه أكثر مما فعل لتوه، وإلا لن أتحمل تلك الرحلة عندما يتحتم علينا مقابلة عليّة القوم على ضوء النهار البارد.

قلت بلطف أكثر، «بين، لا. انتهى الأمر منذ وقت طويل. على أي حال، أنت من أردت الرحيل، هل تذكر؟».

«أعرف»، قالها بأسى. «أعرف، كنت أحمقًا».

قلت، «لم تكن كذلك»، وشعرت بعدم صدقي، «حسنًا، كنت كذلك. بيد أنني لم أتعامل بليين.. اسمع، ليس هذا هو المهم الآن. إننا صديقان، أليس كذلك؟» هذا التصريح مبالغ فيه، لكنه أومأ برأسه. «حسنًا، لا تفسد هذا».

قال، «حسنًا»، وهو يقف متألقًا، وضرب على وجهه بذراع بذلة سهرته، ثم نظر إليه بغم. «أمل أن يكون لديهم متجر تنظيف جاف على متن السفينة».

«أمل أن يكون لديهم رفء ثياب على متن السفينة». أومأت إلى القطع على جانب الثوب الحريري الرمادي.

قال بين، «هل ستصبحين على خير؟ يمكنني أن أمكث، لا أعني هذا بالطريقة الخبيثة، يمكنني النوم على الأريكة».

صدقت على قوله، «بالطبع يمكنك تمامًا»، وأنا انظر إلى طول القطع، ثم هزرت رأسي عندما أدركت كيف بدت كلماتي. «لا، لا يمكنك. الأمر كبير بما فيه

الكفاية لكن ليس في استطاعتك هذا، لا أحتاج منك هذا، عد إلى مقصورتك، حباً في الرب، نحن على متن سفينة في عرض المحيط.. إنه تقريباً آمن مكان يمكنني الإقامة فيه».

«حسناً». سار وهو يعرج قليلاً نحو الباب وواربه، لكنه لم يرحل بالفعل. «أنا... آسف، أعني هذا».

عرفت ما كان ينتظره، أو يأمله. ليس مجرد السماح، لكن المزيد، شيء يخبره أن هذا الاعتصار لم يكن مرفوضاً تماماً.

واللعنة علي إذا ما بدر مني شيء مماثل.

«اذهب إلى فراشك يا بين»، قلتها بضجر ورصانة شديدين، ووقف على عتبة الباب لحظة أطول، مجرد جزء من الثانية أطول قليلاً، والتي كانت كافية كي أتساءل، مع تقلب في معدتي على إثر تقلب البحر، ماذا سأفعل إن لم يرحل. ماذا سأفعل إن أغلق الباب واستدار وعاد إلى الغرفة. لكنه استدار حينئذ ورحل، وأوصدت الباب من ورائه ثم تمددت على الأريكة ورأسي بين يدي.

وأخيراً بعد مدة، لا أعرف لكم من الوقت.. نهضت وصيبت لنفسني كأساً من الويسكي داخل الثلاجة الصغيرة، وتجرعته في ثلاث جرعات طويلة. وارتجفت، ثم مسحت فمي وخلعت ثوبي، وتركته مجعداً على الأرضية كالجلد المسلوخ.

فككت صدريتي، وخرجت من كومة الملابس الكئيبة تلك، ثم أويت إلى الفراش واستسلمت إلى نوم عميق جداً، شعرت أنني أغرق.

لا أعرف ما أيقظني، كل ما عرفته فقط إنني استعدت وعيي فجأة وكان شخصاً طعنني بحقنة أدريالين في قلبي. تمددت هناك متصلبة من الخوف، وقلبي يخفق بمعدل يقارب 200 دقة في

الدقيقة، وفتشت عن العبارات الملطفة التي كررتها على بين منذ بضع ساعات فحسب.

قلت في نفسي، أنت بخير، أنت في أمان تام، إننا على متن سفينة في عرض المحيط.. ولا أحد يمكنه الصعود أو الرحيل. إنه آمن مكان يمكنك الوجود فيه قدر المستطاع.

كنت متشبثة بالملاءة بقبضة تشبه تصلب الموت، وأجبرت أصابعي المتيبسة على الاسترخاء، ثم ثنيتها ببطء، وأنا أشعر بالألم مع ارتداد براجمي. ركزت على الشهيق والزفير ببطء وثبات، إلى أن سار قلبي على هدى إيقاعها أخيراً ولم أعد أشعر بخفقانه المحموم داخل صدري.

وانحسر قرع الطبول في رأسي، وباستثناء «هسهسة» الأمواج وطنين المحرك المنخفض الذي تخلل كل أجزاء السفينة لم أستطع سماع أي شيء. سحقا، سحقا، يجب أن أستجمع شتات نفسي.

لا يمكنني تطبيب ذاتي كل ليلة طوال هذه الرحلة، وإلا صارت النتيجة تخريب حياتي المهنية وإضاعة أي فرصة للتقدم في مجلة «فيلوسيتي»، وبالتالي ما الخيارات التي أمامنا مع هذا؟ حبوب منومة؟ تأمل؟ لم يبد أي منهما أفضل من الآخر كثيراً.

تدحرجت في مكاني وأنرت المصباح ثم تفقدت جوالي: 03:04 صباحاً. ثم أعدت تحميل بريدي الإلكتروني ولم أجد أي شيء من جودا، لكن طار من عيني النعاس ولم أعد قادرة على الخلود إلى النوم مجدداً. تنهدت والتقطت كتابي وتفلطحت مثل طائر كسر ظهره على المنضدة الجانبية، وبدأت القراءة. ومع أنني حاولت التركيز على الكلمات، شعرت بوخز في جانب عقلي، لم أجزع، بل أيقظني شيء ما، شيء جعلني نشطة كمدمنة ميث، لماذا

أواصل التفكير في الصرخة؟

قلبت الصفحة وإذا بشيء آخر يتناهى إلى مسامعي، شيء بالكاد يمكن ملاحظته أعلى قليلاً من صوت المحرك وتلاطم الأمواج، شيء لين جداً إلى درجة أن تفتيق الورق على الورق كاد يفوقه.

إنها جلبة صادرة من باب الشرفة في المقصورة المجاورة لي والتي فتحتها برفق.

حبست أنفاسي، وأرهفت السمع.

ثم سمعت صوتاً منخفضاً لبطيطة على الماء.

لا، كان صوت بطيطة كبير.

ذلك النوع الذي يحدث عندما يرتطم جسد بالماء.

جودا ليويس: مرحباً يا شباب، أنا قلق بعض الشيء على لو، لم تتواصل معي من بضعة أيام منذ أن غادرت على متن رحلة صحفية، هل سمع أحدكم أي خبر منها؟ بدأت أقلق نوعاً ما، تحياتي.

أعجبني - تعليق - مشاركة 24 سبتمبر الساعة 8:50 صباحاً

ليزي وايت: مرحباً يا جودا بعثت لي رسالة يوم الأحد.. يوم العشرين حسبما أعتقد؟ قالت إن السفينة مذهلة!

أعجبني - رد 24 سبتمبر الساعة 9:02 ص

جودا ليويس: أجل، راسلتي أنا الآخر حينذاك، لكنها لم ترد على بريدي الإلكتروني أو رسالتي النصية يوم الاثنين. ولم تحدث حالتها هنا على فيسبوك أو حتى على تويتر.

أعجبني - رد 24 سبتمبر الساعة 9:03 ص

جودا ليويس: هل من رد يا جماعة؟ بامبلا كرو؟ جنيفر ويست؟ كارل فوكس؟ إيمما ستالتون؟ معذرة لو كنت أشير إلى الناس اعتباراً، أنا فقط.. هذا ليس

من شيمتي بأمانة.

أعجبني - رد 24 سبتمبر الساعة 10:44 ص
 باميلا كرو: بعثت لي بريداً إلكترونيا يوم الأحد،
 أيها العزيز جودا. وقالت إن السفينة لطيفة، هل تريد
 مني أن أسأل والدها؟

أعجبني - رد 24 سبتمبر الساعة 11:13 ص
 جودا ليويس: أجل رجاء يا بام، لا أريد أن أقلقكما،
 لكنني أشعر إنها كانت لتتصل بحلول الوقت الراهن
 في المعتاد، لكنني عالق هنا في موسكو لذلك لا
 أعرف إن كانت تحاول أن تتصل عبر الهاتف ولم
 تصل إلي.

أعجبني - رد 24 سبتمبر الساعة 11:21 ص
 جودا ليويس: بام، هل أخبرتك باسم السفينة؟ لا
 يمكنني العثور عليها.

أعجبني - رد 24 سبتمبر الساعة 11:33 ص
 باميلا كرو: مرحباً جودا، معذرة، كنت على الهاتف
 مع والدها، لم يرده منها أي اتصال أيضاً، اسم
 السفينة «أرورا» على ما يبدو. أخبرني إن سمعت أي
 شيء، سلام يا عزيزي.

أعجبني - رد 24 سبتمبر الساعة 11:48 ص
 جودا ليويس: شكراً يا بام، سأجرب البحث عن
 السفينة، لكن لو سمع أي أحد أي شيء فليبعث لي
 رسالة رجاء.

أعجبني - رد 24 سبتمبر الساعة 11:49 ص
 جودا ليويس: هل وصلتكم لأي شيء؟

أعجبني - رد 24 سبتمبر الساعة 3:47 م
 جودا ليويس: رجاء يا شباب، أي شيء؟
 أعجبني - رد 24 سبتمبر الساعة 6:09 م

الجزء الثالث

10

لم أفكر حتى فيما سأفعله بعد ذلك.

هرعت إلى الشرفة، وفتحت الشباك الفرنسي على مصراعيه وتدلّيت من فوق الحاجز، وأنا أبحث بياس عن أي إشارة لأي شيء - أو أي شخص - في اعتلاج الأمواج. تنائر الضوء على السطح المعتم، وانعكس الضوء عن نوافذ السفينة، ما جعل من المستحيل رؤية أي شيء في البحر الهائج، لكن للحظة فكرت أنني رأيت شيئاً أسفل قمة الموجة السوداء.. شكل أبيض متمواج مثل يد امرأة والتي اختفت أسفل السطح، ثم غرقت.

استدرت للنظر إلى الشرفة إلى جوارى.

وجدت ساتراً مموهاً للخصوصية يحجب بين الشرفتين، فلم يتسن لي رؤية الكثير، لكن عندما انحنيت لأختلس النظر، رأيت شيئين.

الأول بقعة لشيء داكن وزيتي، بقعة بدت مثل الدم.

والثاني إدراك، وهذا جعل معدتي تطبق بحكام وتتقلب. فأياً كان من وقف هنا - أياً كان من ألقى بالجسد من على متن السفينة - لم يكن ليخطئ اندفاعي المتهور والغبي إلى الشرفة. وبكافة الاحتمالات فقد كانوا واقفين في الشرفة بالباب المجاورة عندما اندفعت إلى شرفتي، وحتماً سمعوا أطيّط بابي، وعلى الأرجح رأوا وجهي.

انطلقت كالسهم عائدة إلى غرفتي وصفعت باب الشرفة من خلفي بل وحتى تفقدت باب المقصورة للتأكد من إنه مغلق. وقلبي يخفق في صدري لكنني شعرت بالهدوء، أهدأ مما شعرت به منذ عقود.

هذا هو، إنه الخطر الحقيقي، وأنا أتأقلم عليه.

ومع تأمين المقصورة هرعت مجدداً إلى الشرفة
لأنفق الباب، لم أجد قفلاً محكماً على هذا الباب،
مجرد مزلاج عادي، لكنني أوصدته بأكبر قدر ممكن.

ثم التقت الهاتف الجانبي بأصابع تهتز بعض
الشيء فحسب وضغطت على (ع) للاتصال بالعاملة.
«مرحباً؟» هكذا قال صوت عذب المنادة. «كيف
يمكنني أن أساعدك يا سيدة بلاكوك؟».

ولوهلة شعرت بالارتباك من إنها عرفت إنني
المتصلة إلى درجة انقطاع حبل أفكارني. ثم أدركت
أن رقم غرفتي سيظهر على هاتف مكتب، بالطبع
أنا من تتصل، فمن سواي سيتصل من غرفتي في
منتصف الليل؟

تمكنت من قول «م.. مرحباً!» وعلى الرغم من
الارتجاف، بدا صوتي هادئاً إلى حد مدهش. «مرحباً،
من المتحدثة رجاء؟».

«أنا مضيضة المقصورة، كارلا يا سيدة بلاكوك. هل
يمكنني مساعدتك؟» لكن على الرغم من سلوكها
المفعم بالنشاط والحيوية على الهاتف شاب القلق
صوتها. «أنت بخير؟».

«لا، لست بخير على الإطلاق، أنا..».

«أعتقد..». ابتلعت ريقني. «أعتقد أنني رأيت جريمة
قتل للتو».

«يا إلهي». بدت الصدمة على صوت كارلا، وقالت
شيئاً بلغة لم أفهمها.. السويدية ربما أو يجوز إنها
الدنماركية. ثم بدا إنها استجمعت شتات نفسها
وسألت، «أنت بأمان يا سيدة بلاكوك؟».

هل كنت آمنة؟ نظرت نحو باب المقصورة، وكنت
متأكدة على حد علمي أن لا أحد باستطاعته
الدخول.

«أجل، أجل أعتقد أنني آمنة. لقد وقعت في المقصورة المجاورة، رقم عشرة، بالمجرين، أ.. أعتقد أن شخصاً ما ألقى بجسد من على متن السفينة».

شعرت بانكسار في صوتي وأنا أقول هذا، وفجأة شعرت بأنني أضحك.. أو ربما أبكي. التقطت نفساً عميقاً وقرصت جسر أنفي، على أمل أن أتحكم في نفسي.

«سأرسل شخصاً ما في الحال يا سيدة بلاكوك، لا تتحركي، سأتصل بك عندما يصلون إلى الباب بحيث تعرفين من جاءك. تماسكي رجاءً، وسأعاود الاتصال بك».

سمعت تكة وأغلق الخط.

وضعت السماعة بلطف في مكانها على الحامل، وشعرت بتفكك غريب، تقريباً كأنني في تجربة خروج من الجسد. شعرت بوخز في رأسي، وأدركت أنني بحاجة لأن أرتدي ملابس قبل وصولهم.

أخذت برنس الحمام حيثما كنت أعلقه خلف باب الحمام.. ثم أرجعت البصر، فعندما نزلت للعشاء خلفته على الأرضية، إلى جانب الملابس التي ارتديتها على القطار. أتذكر أنني نظرت للخلف على تلك الفوضى التي أحدثتها في الحمام وتلك الملابس على الأرضية، ومساحيق التجميل مبعثرة على الطاولة، والمناديل الملطخة بطلاء الشفاه في الحوض، وقلت في بالي حينها سأتعامل مع هذا لاحقاً.

كل شيء اختفى، فبرنس الحمام علق خلف الباب واختفت ملابس المتسوخة وملابسي التحتانية، الرب يعلم إلى أين أخذت.

وعلى طاولة الزينة وضعت أدواتي التجميلية بترتيب أنيق في صفوف، إلى جانب فرشاة أسناني

ومعجون أسناني. لم تبق إلا سدادتي القطنية وحبوبي داخل حقيبة لوازمي الشخصية، وهي لمحة خجولة والتي أشعرتني بحال أسوأ بطريقة أو أخرى أكثر مما كان سيصبح عليه الأمر لو فتحت الحقيبة وأفرغت كل محتوياتها، ما جعلني أرتجف. لقد دخل أحدهم إلى غرفتي، بالطبع دخلوها، فهذا ما يطلق عليه خدمة الغرف بحق السماوات. لكن دخل أحدهم غرفتي، وعبث بأشيائي، ولمس بنطالي الضيق الممزق وقلم مكحالي الذي استخدمت نصفه.

لماذا جعلتني تلك الفكرة أرغب في البكاء؟ كنت أجلس على الفراش بين يدي وأنا أفكر في محتويات الثلاجة الصغيرة، عندما رن الهاتف؛ بعد بضع ثوان، وأنا أزحف عبر غطاء السرير لالتقاط السماعة، ثم سمعت طريقة على الباب. التقتت الهاتف.

«مرحبًا؟»

«مرحبًا، سيدة بلاكوك؟» إنها كارلا.

«أجل، هناك شخص على الباب، هل ينبغي أن أجيبه؟»

«أجل، أجل افعلي هذا رجاء، إنه رئيس الأمن لدينا، يوهان نيلسون، سوف أتركك معه الآن يا سيدة بلاكوك، لكن رجاء اتصلي بي في أي وقت تحتاجين فيه لأي مساعدة».

سمعت صوت تكة وانقطع الاتصال، ثم تكررت الطريقة على الباب. شددت وثاق برنسي بإحكام أكبر ثم ذهبت لفتحه.

في الخارج رأيت رجلاً لم أره من قبل، يرتدي زيًا رسميًا نوعًا ما. لا أعرف ما كنت أتوقعه.. شيئًا

أشبه بضابط شرطة. أما هذا فكان أشبه بزي رسمي بحري.. أقرب إلى ضابط إداري أو ما شابه. كان في الأربعين أو نحو ذلك من العمر، وطويلاً بما فيه الكفاية ليضطر إلى الانحناء وهو يدلف عبر عتبة الباب، وجدته أشعث الشعر وكأنه قام لتوه من على الفراش، وعيناه بلون أزرق صاف حتى إنها بدا كعدستين لاصقتين. ظلت أحرق فيهما عندما أدركت فجأة إنه يمد يده.

«مرحباً، أنت حتماً السيدة بلاكلوك على ما أفترض؟» تحدث بإنجليزية متقنة، إلا إن في حديثه أثراً للهجة اسكندنافية، أثر ضئيل جداً لدرجة إنه ربما كان اسكتلندياً أو كندياً. «اسمي يوهان نيلسون وأنا رئيس الأمن على السفينة «أورورا». حسبما فهمت فإنك رأيت شيئاً أزعجك».

«أجل»، قلتها بثبات، وفجأة عرفت لحسرتي حقيقة أنني أرتدي بشكيراً ومجمل العيون يسبح على خدي في حين إنه يرتدي حلته الرسمية بالكامل، فشددت الوثاق مجدداً بتوتر هذه المرة. «أجل، رأيت - سمعت - شيئاً يطاح به من على متن القارب. أ.. أعتقد إنه... إنه كان حتماً... جسداً».

قال نيلسون، «رأيت أم سمعت؟» وهو يميل برأسه على جانبها. «سمعت بطيطاً على الماء.. بطيط عال جداً، كان من الواضح جداً أن شيئاً كبيراً للغاية سقط من على متن السفينة.. أو ذفع منها. ثم هرعت إلى الشرفة ورأيت شيئاً - جسداً على ما يبدو - واختفى أسفل الأمواج».

بدت تعبيرات وجه نيلسون فجعة وإن كانت متحفظة، وبينما تحدثت ازداد تقطيبه لجبينه.

أردفت «ورأيت دماً على الجدار الزجاجي للشرفة».

أحكم إطباق شفثيه عند تلك النقطة وأوما برأسه سريفا نحو باب الشرفة.
«شرفتك؟».

«الدماء؟ لا. على الباب المجاور».

«هل يمكن أن تدليني؟».
أومات براسي، وشددت الوثاق مرة أخرى، ثم شاهدته يزيح مزلاج باب الشرفة.

وبالخارج اشتدت الريح وعصفت، وصارت الأجواء شديدة البرودة، تقدمت إلى خارج المساحة الضيقة، والتي بدت ضيقة إلى درجة حرجة بفعل نيلسون ضخم الجثة إلى جواري، وكأنه يشغل كافة مساحة الغرفة وأكثر، لكن جزء بداخلي شعر بالسرور من وجوده. لم أفكر إن في استطاعتي إرغام نفسي على الخروج هنا وحدي.

«هناك». أشرت إلى ساتر الخصوصية الذي حال بيني وبين المقصورة رقم 10. «انظر هناك، ستري ما أعنيه».

اختلس نيلسون النظر عبر الحاجز ثم عاود النظر إلي، وهو متجهم بعض الشيء.

«لا أرى أين تعنين، هل يمكن أن تبيني لي؟».
«ماذا تعني؟ كانت لطخة كبيرة ملأت كل الزجاج من الأسفل».

عاود الانحناء ومد يديه لتفقد الحاجز بطريقة متحرية، واندفعت من ورائه لاختلاس النظر. شعرت بخفقان قلبي على الرغم مني، فلم أتوقع أن أجد القاتل ما يزال هنا، ولا أن ألقى لكمة على وجهي أو أن تطيش رصاصة إلى جوار أذني، لكنني شعرت بالضعف الشديد من التلصص من فوق الجدار ولا أعرف ما سأجده على الجانب الآخر.

لكن ما وجدته... لا شيء.

لم أجد القاتل متقرفضاً على استعداد للانقضاض، ولا لطفة الدماء، ولمع الحاجز الزجاجي على ضوء القمر فكان نظيفاً حتى من بصمات الأصابع.

استدرت نحو نيلسون وأنا أعرف أن وجهي متصلب حتماً من الصدمة، وهزرت رأسي في محاولة لإيجاد الكلمات، فراقبني ورأيت شيئاً متعاطفاً في عينيه الزرقاوين.

لكن أكثر ما برز منهما هو التعاطف.

«كانت هنا»، قلتها بغضب. «وحتماً هو مسحها».

«هو؟».

«القاتل! القاتل اللعين بالطبع!».

«لا داعي للسباب يا سيدة بلاكوك»، قالها بلطف وعاد إلى داخل المقصورة، فتبعته وأغلق بعناية الباب وأوصده بالمزلاج من خلفي ثم وقف، وضع يديه إلى جانبه، وكأنه ينتظر مني قول شيء ما. استطعت شم عطره.. لم تكن رائحة كريهة، من الصنوبريات بعض الشيء. لكن فجأة بدت الغرفة الرحبة صغيرة جداً.

أخيراً قلت «ماذا؟» وأنا أحاول ألا أجعل الكلمة تبدو عدوانية لكنني فشلت. «أخبرتكم بما رأيته، أتقول إنني أكذب؟».

قال بدبلوماسية، «لنذهب إلى الغرفة المجاورة».

شدت وثاق البرنس أكثر من ذي قبل، أحكمت شدة الآن إلى درجة أنني شعرت به ينحل بدني وصولاً إلى معدتي، وتبعته حافية القدمين عبر الردهة. طرق مرة واحدة سريعاً على المقصورة رقم عشرة، وعندما لم يجد إجابة أبرز بطاقة الدخول من جيبه وفتح الباب.

وقفنا عند عتبة الباب ولم يقل نيلسون أي شيء، لكنني استطعت الشعور بحضوره من ورائي وأنا أصدق فاعرة فمي إلى الغرفة.

كانت خاوية تمامًا، ليس من الناس فحسب، لكن من كل شيء، لم يوجد بها أي حقائب أو ملابس أو أدوات تجميلية في الحمام، حتى الفراش جرد من المرتبة.

أخيراً قلت بصوت مرتبك، «كانت هنا فتاة»، دسست يدي في جيبتي البرنس بحيث لا يرى أنني كورت أصابع يدي لتشكل قبضتين. «كانت هنا فتاة، في تلك الغرفة، تحدثت إليها، تكلمت معها، كانت هنا!».

لم يقل نيلسون أي شيء، بل سار عبر الجناح الذي يغمره ضوء القمر وفتح باب الشرفة ثم نظر إلى الخارج، وهو يفحص الحاجز الزجاجي بتفرس شديد كاد أن يهينني، لكنني رأيت من هنا إنه لا يوجد أي شيء، كان الزجاج يلمع على ضوء القمر، ومشبر قليلاً بفعل الرزاز المتناثر من المحيط لكنه بخلاف ذلك لم يمس.

«كانت هنا!» كررتها وأنا أسمع وأكره هذا الهوس الذي يحف صوتي. «لماذا لا تصدقني؟».

«لم أقل إنني لا أصدقك». عاد نيلسون إلى الغرفة وأغلق نافذة الشرفة بالمزلاج. ثم رافقني عبر باب المقصورة وأغلق الباب من خلفنا وأوصده.

«لا ينبغي عليك تصديقي»، قلتها بمرارة. «لكنني أقول لك إنها كانت هنا، وقد أعارتني.. أه!» وفجأة انتبهت لشيء ما، وهرعت إلى الحمام. «أعارتني مجمل الرموش الخاص بها، اللعنة، أين هو؟».

فتشت بعناية بين مستحضرات التجميل الموضوعة، لكنني لم أجده، أين ذهب؟

قلت بيأس، «إنه هنا، أعرف أنه موجود». بحثت حولي بجموح، ولفت نظري شيء، وميض بلون وردي ساطع خلف مرآة الحلاقة القابلة للسحب على جانب الحوض. فسحبته للخارج.. ثم وجدته، أنبوب وردي صغير لا يشوبه شائبة بغطاء أخضر.

«هاك!» لوحث به منتصرة نحوه، وكأنه سلاح. فتراجع نيلسون خطوة للوراء، ثم نظر إلى مجمل الرموش برفق من يدي.

قال، «رأيت، لكن مع احترامي يا سيدة بلاكلوك، لست واثقًا ما الذي يثبته هذا، بخلاف حقيقة أنك استعرت مجمل رموش من أحدهم اليوم..».

«ما الذي يثبته؟ يثبت إنها كانت هنا! يثبت وجودها!».

«يثبت أنك رأيت فتاة، أجل، لكن..».

«ما الذي تريده؟» قاطعته يائسة. «ما الذي تريده مني أكثر من هذا؟ أخبرتك بما سمعته.. وما رأيته. أخبرتك بوجود فتاة في تلك المقصورة وإنها ماتت الآن. انظر إلى قائمة الركاب.. ستجد إن نزيلة مفقودة، لماذا لا تشعر بقلق أكثر من هذا؟».

قال بلطف، «هذه المقصورة خاوية».

«أعرف!» صرخت بها، ثم بعد أن رأيت وجه نيلسون بذلت جهداً عظيماً ومكثفًا لاستعيد رباطة جأشي. «أعرف.. هذا ما كنت أحاول إخبارك إياه لوجه الرب».

قال، «لا»، بنفس اللطف الهادئ، لطف رجل كبير ليس لديه إثبات. «هذا ما أحاول شرحه يا سيدة بلاكلوك، لطالما كانت خاوية، لم يوجد ضيوف في هذه المقصورة، لم يوجد بها نزيلة أبداً».

11

حدقت إليه وفغرت فاهي.

«ماذا تعني؟» أخيراً تمكنت من قولها. «ماذا تعني بقولك، لم يوجد بها نزيلة؟».

قال، «المقصورة خاوية، كانت محجوزة لنزيل آخر، مستثمر يدعى إيرنيست سولبيرج، لكنه اعتذر في اللحظة الأخيرة لأسباب شخصية حسبما فهمت».

«إذن فالفتاة التي رأيته.. لم يفترض أن توجد هنا؟».

«ربما كانت من طاقم العمل أو عاملة تنظيف».

«لم تكن كذلك، بل كانت ترتدي ثوبًا، وكانت مقيمة هنا».

لم يقل شيئًا، لم يتعين عليه.. فالسؤال كان واضحًا. لو كانت مقيمة هنا، فأين كل أمتعتها؟».

«ربما أخرج أحدهم أمتعتها»، قلتها بضعف. «في الفترة بين رؤيتي ومجيئك».

«حقًا؟» صار صوت نيلسون هادئًا، لم يكن سؤاله مشككًا ولا ساخرًا، لكن فقط... غير مستوعب.

جلس على الأريكة، وصدر صرير عنها أسفل جسده الضخم، وارتفعت أنا على الفراش واضعة يدي على وجهي.

كان على حق، محال أن يخلي أحدهم الغرفة. لم أعرف بالضبط مقدار الوقت الذي مضى بين اتصالي بكارلا وظهور نيلسون في غرفتي، لكن محال أن يتجاوز هذا الوقت بضع دقائق. خمسة أو سبعة على أقصى تقدير، ربما حتى لم يكن كذلك.

أيا من كان هنا ربما سمح له الوقت بمسح الدماء عن الزجاج، لكن هذا أقصى ما يمكن فعله. محال أن يخلي المقصورة بأكملها. فما الذي يمكنه فعله

بالأمتعة؟ كنت لأسمعه إن ألقاها من جانب السفينة، وببساطة لم يوجد وقت لكي يحزمها ويدفعها عبر الردهة.

«سحقًا»، أخيرًا تفلتت من شفتي. «سحقًا».

«سيدة بلاكلوك»، قالها نيلسون ببطء، وتوجست خيفة من سؤاله التالي وإنه لن يعجبني. «سيدة بلاكلوك، ما مقدار ما احتسيتته من خمور ليلة أمس؟».

نظرت للأعلى وجعلته يرى مساحيق التجميل التي خربت على وجهي والغيظ في عيني اللتين جفاهما النوم.

«أستميحك عذراً؟».

«سألت ببساطة..».

لم يوجد أي مغزى من الإنكار، إذ كان يوجد ما يكفي من الأشخاص الذين رأوني في العشاء ليلة أمس، وأنا أحتسي الشمبانيا ثم النبيذ وبعدهما جرعات ما بعد العشاء بحيث أحدث ثغرة بقطر ميل في أي ادعاء بأنني في كامل وعيي.

قلت فوراً، «أجل احتسيت الخمر، لكن إن اعتقدت أن نصف كأس نبيذ يجعلني سكيراً مهووسة لا يمكنها التمييز بين الواقع والخيال، فلتعد التفكير مجدداً».

لم يرد على هذا، لكنه مد بصره نحو سلة القمامة إلى جانب الثلاجة الصغيرة حيث تكوم عدد من زجاجات الويسكي والجن الصغيرة ومقدار صغير نسبياً من علب التونك.

عم الصمت، لم يؤكد نيلسون ما يرمي إليه، ولم يتعين عليه ذلك، عاملات تنظيف الغرف الحقيرات. «ربما احتسيت المشروبات الكحولية»، قلتها وأنا

أجز على أسناني، «لكني لم أتمل، ليس إلى تلك الدرجة، أعرف ما رأيته، لماذا أخلق هذا الشيء؟». بدا إنه تقبل هذا وأوماً برأسه ضجراً.

«لا بأس يا سيدة بلاكوك». فرك يده على وجهه، ثم سمعت شهقته المستترة من خلف راحة يده، شعر بالسأم ولاحظت فجأة وبطريقة متنافرة أن سترة ملابسه الرسمية مزررة بطريقة غير مستقيمة، مع عروة وحيدة في الأسفل. «اسمعي، الوقت متأخر، وأنت متعبة».

«بل أنت المتعب»، رددت بحدة مع شيء من التهديد، لكنه أوماً برأسه فحسب بلا ضغينة. «أجل أنا متعب، أعتقد إنه لا شيء يمكننا فعله الآن حتى الصباح». «ألقي بامرأة..».

«لا يوجد دليل!» قالها بصوت أعلى قاطع صوتي، وللمرة الأولى سمعت سخطا في نبرته. «آسف يا سيدة بلاكوك»، قالها بهدوء أكبر. «ما كان يجب أن أناقضك. لكني لا أشعر بوجود أدلة كافية لأوقف الركاب الآخرين حتى الآن. فلنل أنا وأنت قسما من الراحة..» «وسنحاول تسوية هذا في الصباح، ربما لو رافقتك لمقابلة طاقم السفينة يمكنك تحديد تلك الفتاة التي رأيته في المقصورة، من الواضح إنها لم تكن من الركاب، صحيح؟».

اعترفت، «لم تحضر العشاء ليلة أمس، لكن ماذا لو كانت من طاقم العمل؟ ماذا لو فقد شخص ما وكنا نهدر وقتاً بعدم إطلاق الإنذار؟».

«سأتحدث إلى الربان والضابط الإداري الآن وأعلمهم بالوضع. لكن لا يوجد أحد من طاقم العمل لم يحسب على حد علمي؛ وإن لم يحسب لاحظ

شخص ما. فتلک السفينة صغيرة جداً وطاقمها مترابط جداً، وبالتالي من الصعب أن يفقد شخص ما دون أن يلاحظه أحدهم حتى ولو لبضع ساعات». شرعت في قول، «أعتقد فحسب..». لكنه قاطعني بأدب وحزم تلك المرة.

«سيدة بلاكلوك، لن أوقظ طاقم العمل والركاب النائمون دون سبب وجيه، أسف. سأخبر الربان والضابط الإداري وسيأخذون الإجراء الذي يرونه مناسباً. في غضون ذلك، ربما يمكنك أن تصفي لي الفتاة التي رأيته، وفي استطاعتي أن أراجع مجدداً قائمة الركاب وأرتب أن يقابلك كافة طاقم العمل المطابقين لأوصافك في غير وقت عملهم بحيث يكونوا ضمن العاملين بالمطعم بعد الإفطار غداً».

قلت عابسة، «حسناً»، شعرت بالهزيمة، عرفت ما رأيته وما سمعته، لكن نيلسون لم يتزحزح، وتصرف وكأن كل شيء طبيعي. وما الذي يمكنني فعله هنا في عرض المحيط؟».

شجعني بقوله، «إذن، كم كان عمرها وما هو طولها؟ هل كانت قوقازية أم آسيوية أم سوداء...؟».

قلت، «شقراء في أواخر العشرينات من عمرها وبنفس طولي تقريباً، بيضاء.. ببشرة شاحبة جداً في الواقع، وتحدث الإنجليزية».

قاطعني نيلسون، «مشوبة بلهجة أخرى؟» فهزرت رأسي نافية.

«لا، كانت إنجليزية.. وإن لم تكن فهي تتقن لغتين إتقاناً تاماً. بالإضافة إلى ذلك فإن شعرها طويل وداكن... لا أتذكر ما لون عينيها. بلون بني غامق حسبما أعتقد. لست واثقة، كما إنها نحيلة... كانت جميلة فحسب، هذا كل ما أتذكره».

«جميلة؟».

«أجل، جميلة كما تعرف؟ بهية الطلة، ببشرة صافية وتضع مساحق تجميل، وكثيراً من مجملات الرموش. أه، وترتدي قميصاً عليه فرقة (بينك فلويد)».

كتب نيلسون كل هذا برزانة ثم نهض، فصدر صرير عن الأريكة احتجاجاً أو ربما ارتياحاً من ثقله.

شكراً يا سيدة بلاكلوك والآن أعتقد إنه ينبغي علينا أن ننال قسطاً من الراحة». فرك وجهه وهو يتطلع إلى الدنيا كلها مثل دب أشقر كبير خرج من سباته الشتوي.

«في أي وقت يمكن أن أتوقع مجيئك غداً؟».

«ما الوقت المناسب لك؟ عشرة؟ عشرة ونصف؟».

قلت بغمغمة، «أبكر من هذا، لن أنام، ليس الآن». وعرفت أنني لن أعاود النوم مجدداً أبداً.

«حسناً، تبدأ مناوبتي الساعة الثامنة، فهل هذا باكر جداً؟».

قلت بحزم، «هذا ممتاز». مشى إلى الباب وهو يكظم ثناؤبه ونظرت إليه وهو يمشي بتثاقل طوال الردهة نحو السلالم. ثم أغلقت الباب وأوصدته، وذهبت لأتمدد على الفراش وأنا أحرق إلى المحيط. الأمواج داكنة وملساء على ضوء القمر، وهي تتصاعد مثل ظهور الحيتان، ثم تهبط مجدداً، وأنا متمددة وأشعر بصعود وهبوط السفينة جراء ذلك.

لن أنام أبداً، عرفت هذا، ليس بدرجة الدماء في أذني وقلبي الذي يخفق بإيقاع متقطع غاضب في صدري، لن أسترخي أبداً.

استشطت غضباً.. ولم أعرف السبب بالضبط. لأن جسد المرأة حتى وهو يفرق في الظلام الكالح لبحر

الشمال، لن يعثر عليه أبداً على الأرجح؟ أم إن جزء من هذا الغضب يرجع إلى شيء أصغر وأقل من هذا.. حقيقة أن نيلسون لم يصدقني؟

ربما هذا صحيح، هكذا همس الصوت المنخفض البغيض في رأسي. ورفرفت الصور عبر عين عقلي.. أنا زاحفة في الحمام لأن الباب صفعته الريح، وأدافع عن نفسي ضد مقتحم لا وجود له بمهاجمتي لجودا. هل أنت متأكدة تماماً؟ لست بالضبط الشاهدة الأكثر مصداقية، وفي نهاية اليوم ما الذي رأيته فعلياً؟

رأيت الدماء وهذا ما قلته لنفسي بثبات. وثمة فتاة مفقودة، ما تفسير هذا.

أطفأت الأنوار وسحبت غطاء السرير على نفسي، لكن مع هذا لم أنم. بل تمددت على جانبي أراقب البحر، في قلبه بصمت غريب ويصيب بالدوخة خارج الألواح الزجاجية السميكة المضادة للأعاصير. وفكرت إنه يوجد قاتل على هذه السفينة ولا أحد يعرف سواي.

12

«سيدة بلاكلوك!» عاد الطرق مجدداً، وسمعت حفيف بطاقة الفتح الإلكترونية على الباب، مع الطريقة عندما فتح الباب لستيمتر وشدت سلسلة الأمان بإحكام.

«سيدة بلاكلوك، أنا جوان نيلسون، أنت بخير؟ الساعة الثامنة، وطلبت مني الاتصال بك؟».

ماذا؟ اجتهدت للنهوض على مرفقي، فشعرت بخبط في رأسي مع هذا المجهود، لماذا تعين علي بحق الجحيم أن أطلب منهم التواصل معي في الثامنة صباحاً؟

تمكنت من قول، «ثانية واحدة!» شعرت بجفاف في حلقي وكأنني ابتلعت رماداً، ومددت يدي إلى كوب الماء إلى جوار فراشي ثم تجرعت بعضاً منه. وعندما فعلت هذا غمرتني ذكريات ليلة أمس.

الضوضاء التي أيقظتني في المساء.

الدماء على زجاج الشرفة.

الجثة.

صوت البطيوط...

مددت قدمي خارج الفراش وشعرت بتحريك السفينة والتمايل أسفل مني، وفجأة انتابني الغثيان الشديد.

هرعت إلى الحمام، وتمكنت من تثبيت نفسي فوق المرحاض في الوقت المناسب لاتقياً بكميات ضخمة عشاء ليلة أمس على البورسلين الأبيض النظيف.

«سيدة بلاكلوك؟».

ارحل، بعيداً.

لم تخرج الكلمات من فمي، لكن ربما صوت القيء

المتناثر نقل مشاعري لأن الباب أغلق بهدوء شديد،
وتمكنت من الوقوف وفحص نفسي بلا متفرجين.

بدوت مريعة، وتلطخت بقايا مجمل الرموش على
خدي، شعرت بدوار في رأسي، واحتقنت عيناى
بالدماء واحمرت حواف عيني، ثم ازداد المنظر سوء
بفعل الكدمة على خدي.

صار البحر أكثر تهيجاً هذا الصباح، فيما شعرت
بدوران واهتزاز كل شيء حول الحوض. تلفعت
ببرنسي وعدت إلى داخل المقصورة وواربت الباب
بما يكفي لأرى فحسب من وراءه.

قلت باقتضاب، «يجب علي أن أستحم، هل تمانع
الانتظار؟» ثم أغلقت الباب.

داخل الحمام سكبت ماء المرحاض ومسحت
الحافة في محاولة لإخفاء كافة بقايا القيء. لكن
عندما استقمت، لم يلفت نظري وجهي الشاحب
الخرّب، وإنما أنبوب (ميبيلين) مجمل الرموش،
وقف كعلامة التنبيه إلى جوار الحوض. وبينما كنت
واقفة متشبثة بطاولة التزيين، خرجت أنفاسي
قصيرة وحادة، ثم تمايلت السفينة مجدداً وتمايل
معه وتقلب كل شيء أعلى الطاولة فسقط الأنبوب،
مع كسر صغير وتدحرج داخل صندوق القمامة.
مددت يدي وأخرجته ثم أحكمت قبضتي عليه.

كان الدليل المادي الوحيد على وجود الفتاة، وعلى
أني لم أجن.

وبعد ذلك بعشر دقائق ارتديت البنطال الجينز
وقميصاً بلون أبيض يميل إلى الصفرة كواه أياً كان
من أفرغ حقيبتى ووجهي شاحب لكنه نظيف.
سحبت مجدداً سلسلة الأمان وفتحت الباب لأجد
نيلسون ينتظرني بصبر في الردهة، ويتحدث عبر
اللاسلكي، نظر للأعلى عندما راني وأغلقه.

قال، «أنا في غاية الأسف يا سيدة بلاكولوك، ربما ما كان يجب أن أوقظك لكنك أصررت بشدة ليلة أمس..».

«لا بأس»، قلتها عبر أسناني التي أجز عليها، لم أقصد أن أبدو فجأة إلى هذا الحد، لكن إذا فتحت فمي كثيراً ربما أشعر بالغثيان مجدداً. حمداً للرب فقد وفرت حركة السفينة عذراً لمعدتي المصابة بالغثيان. أن تكون بحاراً سيئاً ليس أنيقاً تماماً، لكنه شيء أقل درجة في عدم المهنية إن كنت سكيراً.

قال نيلسون، «تحدثت إلى طاقم العمل، ولم يبلغ عن فقدان أي أحد، لكنني أقترح أن تنزلي إلى مقر العاملين لتري المرأة التي تحدثت عنها هناك، ربما يريح هذا بالك».

كنت على وشك الاحتجاج بأنها ليست من طاقم العمل، مالم تكن منظفات الغرف يرتدين قمصاناً عليها فرقة (بينك فلويد) وألا أزيد عن هذا. لكنني أطبقت فمي بعدئذ، أردت أن أرى الطوابق السفلية بنفسني.

تبعته على طول الردهة المترنحة إلى غرفة خدمة صغيرة جانب بئر السلم. ثبت عليه قفل بلوحة مفاتيح والتي نقر عليها سريعاً بشيفرة من ستة أرقام، ففتح الباب على مصراعيه. ومن الخارج افترضت أن الباب يخفي خزانة تنظيف، لكن في الحقيقة وجدت درجة سلم علوية صغيرة وبأضواء باهتة تتبعها درجات من السلالم الضيقة التي تؤدي للأسفل نحو عمق السفينة. وعندما هبطت أدركت شيئاً أقلقني، إننا حتفاً أسفل سطح الماء، أو على مقربة منه.

دخلنا إلى ردهة ضيقة تعطي شعوراً مختلفاً تماماً عن الجزء الخاص بالركاب في السفينة. فكل

شيء مختلف: السقف أدنى والأجواء أسخن ببضع درجات، والجدران مقتربة من بعضها ومدهونة بدرجة داكنة من اللون الصوفي، فيما كانت مصابيح الفلوريسين خافتة بوميض متذبذب جداً وغريب يجعل عينيك تتعبان على الفور تقريباً.

الأبواب مفتوحة على بعضها بعضاً يساراً ويميئاً، وتكدست ثماني أو عشر مقصورات في نفس المساحة بحيث وضعت الواحدة فوق الأخرى. ومررنا بأحد الأبواب المواربة فرأيت مقصورة بلا نافذة يضيئها نفس مصباح الفلوريسين الكئيب، فيما جلست امرأة أسيوية على سرير طبقي بداخله، وهي ترتدي جورباً ورأسها وكتفها محشوران في تلك المساحة الضيقة أسفل السرير الأعلى منها. نظرت بعصبية للأعلى نحو نيلسون عند مروره، ثم تجمد وجهها عندما رأتني، مثل أرنب مذعور سلطت عليه المصابيح الأمامية لسيارة. وللحظة جلست فحسب بلا حركة، ثم بوثبة متشنجة دفعت قدمها وركلت الباب لتغلقه. بدا الصوت عاليًا كطلقة بندقية في تلك المساحة الضيقة.

شعرت بحمرة الخجل كطفل يبول وأمسك به، وأسرعت الخطى بعد أن تراجع نيلسون.

«من هنا»، قالها نيلسون بنظرة جانبية وهو يوليئني ظهره ثم انعطفنا إلى علامة على باب كتب عليها «مقصف العاملين».

هذه الغرفة أكبر على الأقل وشعرت بانكشاف قليل للإحساس المتزايد برهاب الأماكن المغلقة. ظل السقف منخفضاً ومازال لا يوجد نوافذ، لكن فتحت الغرفة على غرفة طعام صغيرة، مثل نسخة مصغرة لمقصف مستشفى. رأيت ثلاث طاولات فحسب، كل منها جلس عليه بضعة أشخاص، لكن الأسطح

الفورمايكا وقضبان الإمساك الفولاذية ورائحة الطعام المؤسستاتي النفاذة اجتمعت سوياً لتبرز الاختلاف بين ذلك الطابق والطابق الأعلى منه.

جلست كاميلا ليتمان وحدها على إحدى الطاولات، تحتسي القهوة وتراجع نوعاً من جداول البيانات على حاسوب محمول. وعبر الغرفة رأيت خمس فتيات جلسن مع بعضهن ليأكلن معجنات الفطور ونظرن للأعلى عندما دخلنا.

قالت إحداهن، «مرحى يوهان»، وتبعها رطن بالسويدية أو ربما الدنماركية، لم أتأكد.

قال نيلسون، «لنتحدث بالإنجليزية رجاء، لأن معنا ضيفة حاضرة، تحاول السيدة بلاكلوك أن تصل إلى امرأة رأتها في المقصورة المجاورة لها.. المقصورة العاشرة، بالمجرين. والمرأة التي رأتها بيضاء بشعر داكن وطويل في أواخر العشرينات أو أوائل الثلاثينات من عمرها وتحدث الإنجليزية بطلاقة.» «حسناً، تلك أنا وبيرجيتا»، قالتها إحدى الفتيات وهي تومئ إلى صديقتها المقابلة لها. «اسمي هاني، لكنني لا أعتقد أنني كنت في مقصورة بالمجرين، فمعظم عملي ساقية في المشرب، بيرجيتا؟».

غير أنني هزئت رأسي نافية، هاني وبيرجيتا لهما نفس البشرة الشاحبة والشعر الداكن لكن ليست أي منهما تلك الفتاة في المقصورة، ومع أن لغة هاني الإنجليزية ممتازة، إلا إن بها لكنة اسكندنافية ملحوظة.

«أنا كارلا، يا سيدة بلاكلوك»، قالتها إحدى الفتيات الشقراوات. «لقد التقينا بالأمس إن كنت تذكرين، وتحدثنا على الهاتف ليلة أمس».

«بالطبع»، قلتها وأنا شريدة الذهن، إذ انشغلت جداً في فحص أوجه الفتيات الأخريات فلم أولها

انتباهي كما يجب. كانت كارلا والفتاة الرابعة على الطاولة شقراوان، والخامسة بلون سكان أقاليم البحر المتوسط وبشعر قصير جداً، تقريباً جزته. والأهم لم تبد أي منهما مثلما علق في ذاكرتي عن ذلك الوجه المشرق نافد الصبر.

قلت، «ليست أي منكم، هل يوجد أي أحد آخر يطابق مواصفاتي؟ ماذا عن عاملات التنظيف؟ أو طاقم البحارة؟».

عبست بيرجيتا وقالت شيئاً لهاني بالسويدية، فهزت هاني رأسها وتحدثت بالإنجليزية.

«طاقم البحارة معظمه رجال، ثمة امرأة واحدة لكن شعرها أحمر وربما في الأربعين أو الخمسين من العمر على ما أعتقد. لكن إيوانا، إحدى عاملات التنظيف ستطابق مواصفاتك، إنها بولندية».

قالت كارلا، «سأجعلها تأتي». نظرت للأعلى بابتسامة واعتصرت نفسها لتنهض عن الطاولة.

«وهناك إيفا»، قالها نيلسون بتفكر أثناء مغادرة كارلا للغرفة، مردفاً إلي، «إنها إحدى إخصائيات الاستشفاء في المستحم المعدني».

قالت هاني، «إنها بالأعلى في المستحم المعدني على ما أعتقد، تستعد لبداية اليوم، لكنها في أواخر الثلاثينيات على الأقل، ربما الأربعينيات».

قال نيلسون، «سنذهب للتحدث إليها بعد هذا». «لا تنس يولا»، هكذا جهرت بالحديث للمرة الأولى الفتاة ذات الشعر المجزوز.

أردف نيلسون، «أه أجل، هل هي في وقت العمل؟ إن يولا إحدى المضيفات للمقصورات الأمامية وجناح النبلاء».

أومأت الفتاة برأسها. «أجل، لكني أعتقد إنها

ستنتهي من عملها قريبًا».

«سيدة بلاكلوك»، هكذا نادى صوت من ورائي، والتفت لأرى كارلا تقدم إحدى زميلاتهما، امرأة ضئيلة الحجم ومكتنزة الجسم في الأربعينات من العمر بشعر مخضب بالسواد بيدي أسفل منه جذور رمادية. «هذه إيوانا».

قالت إيوانا، «أيمكنني مساعدتك؟» بلهجة بولندية ثقيلة. «هل توجد مشكلة؟».

هزرت رأسي نافية. «أسفة للغاية..». لم أكن متأكدة إن كان ينبغي علي مخاطبة إيوانا أم نيلسون أم كارلا «إنها.. ليست المرأة التي رأيته، لكنني أردت أن أقول فحسب.. محال أن تكون المرأة التي أقصدها متورطة في مشكلة، فلا يتعلق الأمر بسرقتها لشيء أو ما شابه ذلك، أنا قلقة عليها.. سمعت صرخة».

«صرخة؟» رمقتني هاني بنظرة متفرسة حتى كاد حاجباها يختفيان في أهدابها، وبادلت النظر مع كارلا، التي فغرت فاهها لتقول شيئًا، لكن حينئذ تحدثت من خلفنا كاميلا ليتمان للمرة الأولى.

«أنا واثقة أن لا أحد من طاقمنا هو المرأة التي تبحثين عنها يا سيدة بلاكلوك». عبرت الغرفة لتقف إلى جوار الطاولة، وهي تضع يدها على كتف هاني. «كانوا ليخبرونا إذا ما وجد أي شيء يسترعي الانتباه، فنحن... ما هو التعبير المناسب؟ متكاتفون جدًا».

قالت كارلا، «متقاربون للغاية». رمقت كاميلا ليتمان بنظرة خاطفة ثم أرجعت البصر إلي مبتسمة، مع أن حاجبيها المرفوعين والمنمصين بطريقة مبالغ فيها أضفيا على تعبيرات وجهها مسحة غريبة غير مقنعة. «إننا طاقم سعيد للغاية».

قلت، «لا تبالوا»، عرفت أنني ما كنت لأحصل على

معلومات من هؤلاء الفتيات ، لقد أخطأت بإشارتي لتلك الصرخة، لأنهن متعاضدات الآن. وربما كان الحديث إليهن في حضور كاميللا ونيلسون خطأ أيضًا. «لا تقلقن، سأذهب وأتحدث إلي.. إيفا، أليس كذلك؟ ويولا. شكرًا على الحديث إلي، لكن إن سمعتن أي شيء، أي شيء على الإطلاق.. فأنا في المقصورة رقم 9، لينايوس. رجاء تعالين لزيارتي في أي وقت».

قالت هاني بحزم، «لم نسمع أي شيء، لكن بالطبع سوف نخبرك إن تغير هذا الوضع، طاب يومك سيده بلاكلوك».

رددت، «شكرًا». وبينما التفت تمايلت السفينة ما جعل الفتيات يصرخن ضحكًا من الحذر ويمسكن أكواب القهوة بإحكام. تعثرت وكدت أن أسقط لولا أن نيلسون أمسك بذراعي.

«هل أنت بخير يا سيده بلاكلوك؟».

أومأت برأسي، لكن مسكته أمتني في الواقع، وأوجعت ذراعي. شعرت بألم محموم في رأسي جراء صدمة الحركة وتمنيت لو أنني تناولت الأسبرين قبل خروجي.

«أنا مستمتع بصغر حجم «أرورا» لكن هذا يعني إن في استطاعتك الشعور بتأثير الموجة الكبيرة أكثر من شعورك بها في السفن الأكبر، أمتأكدة إنك بخير؟».

قلت بإيجاز وأنا أفرك ذراعي، «أنا على ما يرام، لنذهب ونتحدث إلى إيفا».

قال نيلسون، «دعينا أولاً نسلك منعطفًا آخر عبر المطبخ، ثم يمكننا التوجه إلى المستحم المعدني ونتحدث إلى إيفا، وفي النهاية يمكننا أن نختم بغرفة الفطور». أمسك بين يديه بقائمة تضم طاقم

العمل وشطب فيها على الأسماء. «وهذا سيفطي الجميع حتماً باستثناء فردين من أفراد طاقم البحارة وبعض مضيفات المقصورات اللائي يمكننا العثور عليهن في النهاية».

«حسناً»، قلتها باقتضاب. في الحقيقة أردت أن أخرج.. خارج الجدران الخائقة والردهات عديمة الهواء، بعيداً عن الأضواء الكئيبة والشعور بأني مقيدة، محصورة أسفل سطح الماء. مر على ذهني صورة وجيزة ومريضة للسفينة وهي تصطم بشيء، والماء يغمر المساحة الضيقة وتشهق الأفواه لالتقاط ما تبقى من الهواء المتفلت.

بيد إنه لم يكن في استطاعتي الاستسلام الآن، فإن فعلت سأقر بالهزيمة، سأقر أن نيلسون أصاب الرأي. تبعته عبر الردهة إلى الأمام نحو جُوجو السفينة، وأنا أشعر بتحرك وتمايل الأرضية من تحتي بينما صارت رائحة الطهي نفاذة أكثر. شممت رائحة اللحم المقدد والدهون الساخنة والرائحة الزكية المميزة لزبدة خببز الفطائر الهلالية، إلى جانب السمك المسلوق وصلصة مرق اللحم وشيئاً حلواً. هذه التوليفة أسالت لعابي، ليس على نحو حسن، وجززت على أسناني مرة أخرى وأنا أمسك بالحاجز المثبت على الجدار بينما تصاعدت السفينة بفعل موجة أخرى وهبطت مجدداً مخلفة وراءها ألفاً في معدتي.

كنت أتساءل فحسب إذا ما كان قد فات الأوان لأسأل نيلسون إن كان في استطاعتنا العودة على أدراجنا فإذا به يتوقف عند باب حديدي به نافذتان زجاجيتان صغيرتان ودفعه لينفتح. فاستدارت ناحيتنا رؤوس ترتدي قبعات بيضاء وعلى وجوههم اندهاش مهذب عندما رأوني واقفة خلف نيلسون.

قال نيلسون، «مرحبًا بكم جميعًا!»، وتبعها شيء آخر بالسويدية، ثم التفت إلي. «أسف، إن كافة العاملين بالضيافة وعلى سطح السفينة يتحدثون الإنجليزية لكن ليس هذا حال كافة الطهاة، وأنا أشرح فحسب سبب وجودك هنا».

ابتسم العاملون وأومأوا برؤوسهم، وتقدم أحد الطهاة ويده ممدودة.

«مرحبًا سيدة بلاكوك»، قالها بإنجليزية متقنة. «اسمي أوتو جانسون، وسيسعد أي من طاقم عملي أن يساعدك مع إنهم لا يتحدثون جميعًا الإنجليزية بطلاقة يمكنني أن أترجم لهم، ما الذي تحتاجين إلى معرفته؟».

غير أنني لم أستطع التحدث، استطعت أن أبلغ ريقني فحسب، وأحدق للأسفل نحو يده الممدودة وقفازه المطاطي لتقديم الطعام، بينما دردت الدماء في أذني.

نظرت للأعلى إلى عينيه الزرقاوين الودودين، ثم مرة أخرى إلى القفاز الذي تبرز منه شعيراته الداكنة والتي يضغطها القفاز المطاطي، وقلت في بالي، يجب ألا أصرخ، يجب ألا أصرخ.

نظر جانسون للأسفل نحو يده وكأنه يرى ما أحدق فيه، ثم ضحك ونزع قفازه بيده الأخرى. «أنا في غاية الأسف، نسيت أنني ارتدي هذين، إنهما لتقديم الطعام كما تعلمين؟».

ألقي بالقفاز الشاحب والرخو في سلة القمامة ثم صافح يدي الرخوة غير المقاومة، بقبضة محكمة، شعرت بدفع أصابعه وإنها متربة بعض الشيء من أثر القفاز المطاطي.

قلت، «أبحث عن فتاة»، وأنا أعرف أنني أتعامل بفضاظة، لكنني كنت مهتزة جداً لأتعامل بأدب جم.

«بشعر داكن، في نفس عمري تقريباً أو أصغر بعض الشيء. وهي جميلة وببشرة شاحبة، لم تتحدث بلكنة.. إما إنها إنجليزية أو تتقن اللغة إتقاناً تاماً».

قال جانسون بندم، «أسف»، وبدأ بالفعل أسفاً. «لا أعتقد أن أياً من طاقم عملي يطابق وصفك، مع إنه مرحب بك أن تسيري في أرجاء المكان وتري إن كان أي منهن هو الفتاة التي تبحثين عنها. لدي امرأتان فقط من طاقم العمل هنا ولا تتحدث أي منهما الإنجليزية بطلاقة. جميلاً هناك إلى جوار منفذ تقديم الطعام، وإنجريد تعد السلطات، خلف المشواة هناك، لكن لا تلائم أي منهما وصفك، ربما إحدى المضيفات أو النذل؟».

تطاولت برأسي لأرى المرأتين الأخريين اللاتي أشار إليهن، ورأيت إنه محق. فلا تشبه أي منهما الفتاة التي رأيتهما ولو من بعيد. مع إنها طأطأت رأسها وأشاحت بجسدها عني، لكنني تأكدت أن جاميلاً هي الفتاة الآسيوية التي رأيتهما في المقصورة عندما نزلت. إنها من باكستان أو بنجلادش على ما أعتقد.. وضييلة الحجم تماماً، على الأرجح ليست 150 سنتيمتراً حتى. أما إنجريد فكانت اسكندنافية ووزنها على الأقل 89 كيلوجراماً، فضلاً عن إنها أطول مني بخمسة عشر سنتيمتراً. ما إن نظرت إليها وضعت يديها على فخذيها وواجهتني بطريقة عدائية بعض الشيء، مع أنني عرفت إنه ليس من الإنصاف التفكير هكذا.. فطولها هو ما جعل تلك الإيماءة تبدو تهديداً.

قلت، «لا تبال، أسفة على مقاطعتك».

قال نيلسون، «شكراً أوتو»، ثم ألقى مزحة بالسويدية ضحكت لها أوتو. ربت على ظهر نيلسون وقال شيئاً جعلت نيلسون يقهقه في المقابل،

ضحكة من القلب اهتز لها بدنه، ورفع يديه لباقي الطاقم ثم ناداهم، «إلى اللقاء!» ثم أرشدني إلى الردهة.

قال بنظرة جانبية وهو يوليني ظهره، «أسف على هذا»، ثم تقدمني عبر الردهة. «إن اللغة الرسمية للقارب هي الإنجليزية وسياستنا ألا نتحدث بلغات أخرى أمام ضيوفنا الإنجليز، لكنني اعتقدت إنه بموجب هذه الظروف..». سكت تدريجياً وهو يومئ برأسه.

«لا بأس، من الأفضل أن يتصرف الجميع براحتهم ويفهمون ما يسألون عنه على نحو ملائم».

مررنا بجوار مقصورات طاقم العمل مجدداً، واختلست النظر عبر الأبواب القليلة المفتوحة، وقد عاودتني الصدمة من جديد بسبب كآبة الأماكن الضيقة. لم أتخيل كيف يمكنني قضاء أسبوع تلو الأسبوع والشهر تلو الشهر في أماكن ضيقة عديمة النوافذ، ربما شعر نيلسون بصمتي وراءه لأنه تحدث مجدداً.

«المساحات ضيقة بعض الشيء، أليس كذلك؟ لكن ثمة دسنة أو نحو ذلك من العاملين على السفينة، باستثناء طاقم البحارة، ولذلك لا نحتاج إلى مساحة كبيرة، وبإمكاني إخبارك إنها أفضل كثيراً من عديد من التجهيزات على السفن المنافسة».

لم أقل ما أفكر فيه.. أنني لست مصدومة من المساحة نفسها، لكن ذلك التفاوت مع الأضواء وتهوية الغرف بالأعلى. في الواقع فإن الغرف لم تكن أسوأ من تلك الموجودة في العديد من العبارات التي تجتاز القنال الإنجليزي والتي اعتدت السفر عليها؛ في الواقع مساحتها أكبر من البعض. لكنها تلك الصورة للفجوة الصارخة بين من يملكون ومن

لا يملكون هي التي أزعجتني، إنه تجل للطبقية المعاصرة بين الأعلى والأسفل.

«هل يقيم الجميع في مقصورات مشتركة؟» سألته بينما كنا نمر بجانب مقصورة مظلمة حيث يرتدي أحدهم ثيابه والباب مواربًا، بينما ينخر زميله في السرير الطبقى، فهز نيلسون رأسه نافيًا.

«يشترك المستجدون من طاقم العمل وعمال التنظيف والمضيفون الصغار وما شابه في نفس المقصورات، في حين أن كبار العاملين لديهم مقصوراتهم الخاصة».

وصلنا إلى بيت السلم الذي يؤدي للطابق الأعلى وصعدت على مهل تبغا لظهر نيلسون العريض وأنا أمسك بالدرازين. فتح نيلسون الباب القاسم الذي يفصل جانب الضيوف عن جانب العاملين ثم استدار نحوي وهو يغلق الباب من خلفنا.

قال، «أسف إن الأمور لم تسر على ما يرام، كنت أمل أن تكون إحدى الفتيات هي المرأة التي رأيتها ويرتاح بالك».

«اسمع..». فركت وجهي وأنا أشعر بخشونة الندبة التي تندمل على خدي والصداع الضاغط الذي بدأ يستشري بداخلي. «لست واثقة..».

قال نيلسون بحزم، «دعينا نمضي للحديث إلى إيفا». ثم استدار وشق طريقه عبر الردهة نحو سلالم أخرى.

بدت السفينة وكأنها تعبر شيئًا صعبًا، وتتمايل بين موجة ضخمة وأخرى، فابتلعت ريقى الذي سال فجأة بكثير من اللعاب وشعرت بالهدوء البارد للعرق على عمودي الفقري أسفل قميصي. وللحظة فكرت في الانزواء مجدداً إلى مقصورتي، لم يكن السبب في صداع رأسي فحسب، بل يجب علي أن أكمل

قراءة الملف الصحفي، وأبدأ في كتابة المقال الذي تتوقعه روان بمجرد عودتي. شعرت بالجزع من معرفة أن بين وتينا وأليكسندر والآخرين جميعاً يدونون الملاحظات بالفعل ويكتبون مقالاتهم ويبحثون عن بولمر على جوجل ويستخرجون أفضل الصور الصحفية.

لكني استجمعت شتات نفسي، إن أردت أن يأخذني نيلسون على محمل الجد فيجب أن أخوض هذا، وبقدر ما أردت تسلق السلم الوظيفي في مجلة «فيلوسيتي»، إلا إنه ثمة أشياء أكثر أهمية.

وجدنا إيفا عند مكتب استقبال المستحم المعدني، وهي غرفة جميلة وتبعث على الراحة في الطابق العلوي، من الزجاج كلها تقريباً، مع ستائر طويلة رفرفت عندما فتحنا الباب. أطلت الجدران الزجاجية على سطح السفينة، والأضواء ساطعة تكاد تحرق العين بعد أن كنت أسيرة في خفوت الأضواء في الأسفل.

نظرت للأعلى امرأة داكنة الشعر وملفتة للنظر في الأربعينات من عمرها بقرطين عريضين من الذهب عندما دخلت أنا ونيلسون.

قالت بسرور، «يوهان! ما الذي يمكنني فعله لأجلك؟ وحتماً هذه...؟».

قلت، «لو بلاكوك»، وأنا أمد يدي. شعرت بحال أفضل على الفور بالخروج من المكان الضيق لطاقم العمل، وانحسر الغثيان البارد والدبق على إثر نسيم البحر.

قالت، «صباح الخير سيدة بلاكوك». صافحتها فإذا بقبضتها محكمة وأصابعها قوية وإن كانت نحيلة. تحدثت الإنجليزية بطلاقة عجيبة -تقريباً بنفس طلاقة الفتاة من المقصورة- إلا إنها ليست

هي. بل تكبرها سناً بكثير، فجلدها المرطب جيداً خائته البشرة التي تعرضت للتحلل الطفيف والتي لم تتعرض لعوامل التعرية والشمس إلا قليلاً. «ماذا يمكنني أن أفعل لك؟».

قلت، «أسفة، كنت أبحث عن إحدى السيدات واقترحت الفتيات في الطابق السفلي إنها قد تكون أنت، لكنها ليست أنت».

تدخل نيلسون، «رأت السيدة بلاكلوك امرأة ليلة أمس، في المقصورة المجاورة لها، وكانت في العشرينيات من العمر بشعر داكن وطويل وبشرة شاحبة. سمعت السيدة بلاكلوك بعض الضوضاء التي جعلتها تشعر بالقلق، ونحاول التأكد إذا ما كانت إحدى العاملات بالمكان».

قالت إيفا بلطف تام، «أخشى إنها لم تكن أنا». لم أستشعر منها أي دفاعية قبلية كتلك التي بدت على الفتيات بالطابق السفلي، ثم هتفت ضاحكة. «بأمانة، مضى وقت طويل منذ أن كنت في العشرينات من العمر، هل تحدثت إلى المضيفات؟ هاني وبيرجيتا كلاهما بشعر داكن وفي هذا السن تقريباً، وكذلك يولا».

قال نيلسون، «أجل تحدثنا إليهن، ونحن في طريقنا لرؤية يولا الآن».

قلت، «إنها ليست متورطة في أي مشكلة، أعني المرأة، بل أنا قلقة عليها، لو استطعت التفكير في أي واحدة قد تطابق مواصفاتها..».

قالت إيفا، «يوسفني عدم قدرتي على مساعدتك». تحدثت مباشرة لي، وبدت أسفة فعلاً، شعرت بأكثر قلق مخلص بدا على أي من الأشخاص الذين تحدثت معهم إلى الآن. وقطبت جبينها قليلاً ما بين حاجبيها المنمصين بروعة. «أنا أسفة حقاً، لو سمعت

أي شيء..».

قلت، «شكراً لك».

كررت نيلسون، «شكراً إيفا». والتفت ليرحل.

قالت إيفا، «على الرحب والسعة». وصحبتنا إلى الباب. «أتطلع لرؤيتك لاحقاً سيدة بلاكلوك».

«لاحقاً؟».

«في الحادية عشرة صباحاً، إنها فترة تجربة المستحم المعدني للسيدات.. في جدولك الصحفي؟».

قلت، «شكراً، أراك لاحقاً إذن». وحينما التفت لأغادر انتابني شعور بالذنب حيال الصفحات التي لم أقرأها في الملف الصحفي بمقصورتني، وتساءلت عما فاتني أيضاً.

غادرنا المستحم المعدني من المخرج المؤدي إلى سطح السفينة؛ وما إن فتحت الباب انتزع من يدي بفعل هبوب النسيم القوي، والذي قرع بحدة على مصد مطاطي وضع خصيصاً لهذا الغرض. أغلق نيلسون الباب من خلفي وتحركت إلى حاجز السفينة وأنا أرتجف من الرياح.

صاح نيلسون «أأنت باردة؟» ليعلو صرصر الرياح وأزيز المحركات.

هزرت رأسي. «لا.. أعني، أجل أشعر بالبرد، لكنني بحاجة للهواء العليل».

«أما زلت معتلة؟».

«ليس بالخارج هنا، لكن رأسي تؤلمني».

وقفت ممسكة بالحديد البارد المدهون للحاجز وانحنيت للأمام وأنا أنظر عبر الشرف المحفوفة بجدران زجاجية إلى مقدمة المقصورات، وللأسفل نحو الأمواج الناجمة عن شق السفينة للبحر

والأشبه بخض القشدة والانتساع المهول للبحر في الأفق، عميق إلى حد يفوق الوصف وبارد. فكرت في عمق المياه وظلامها الذي يدور من حولنا، في الظلام والصمت بالأسفل، وكيف يمكن لشيء -أو شخص- أن يفرق لأيام عبر هذه الأعماق المظلمة، ليقبع أخيراً في قاع البحر عديم الضوء.

فكرت في الفتاة من الليلة السابقة، ومدى سهولة أن يأتي شخص ما من ورائي -نيلسون أو إيفا أو أي أحد- ويدفعني برفق... فارتجفت.

ما الذي حدث؟ محال أن هذا من نسج خيالي، ربما الصرخة والبطيط. لكن ليس الدماء، محال أن أتخيل هذا.

استنشقت بقوة الهواء النقي لبحر الشمال وملأت به رئتي، ثم التفت وابتسمت عن قصد لنيلسون وأنا أدفع شعري للوراء حيث هفهم بفعل الريح على وجهي.

«إذن في أي مكان نحن؟»

قال نيلسون، «المياه الدولية، في طريقنا إلى ترونديم على ما أعتقد».

«ترونديم؟» حاولت التفكير في حديث ليلة أمس، «اعتقدت أن اللورد بولمر قال بأننا سنتجه إلى بيرجن أولاً».

«تغيير في الخطة ربما، أعرف أن اللورد بولمر يأمل كثيراً أن تلقوا جميعاً نظرة على الشفق القطبي، ربما الظروف مواتية الليلة على وجه الخصوص فأراد أن يتعجل الذهاب إلى الشمال. أو ربما هو اقتراح من القبطان.. إذ قد توجد أسباب مناخية تجعل من الأفضل المضي بالرحلة من هذا

الطريق، فليس لدينا خط رحلة ثابت، إذ إن لدينا القدرة الكاملة على تلبية نزوات ركابنا. ربما إن شخصاً ما في عشاء ليلة أمس تاق لرؤية ترونديم.»

«ماذا يوجد في ترونديم؟»

«ترونديم نفسها؟ حسناً، توجد كاتدرائية شهيرة، وأماكن جذابة جداً في المدينة، لكن المضائق البحرية هي الأساس. إلى جانب حقيقة أن تلك المدينة أقرب إلى الشمال بكثير من بيرجن، وبالتالي تزداد فرص رؤية الشفق القطبي. لكن ربما السبب إنه مازال يجب علينا الإبحار أبعد نحو الشمال، إلى بودو أو حتى ترومسو. في هذا الوقت من العام، مازال الأمر غير مؤكد.»

«فهمت». لسبب ما أزعجتني تلك الكلمات، فعندما تشعر بأنك جزء من رحلة منظمة شيء، وعندما تدرك أنك راكب عديم الحيلة ينتابك شعور مختلف تماماً عندما يمسك شخص آخر بدفة القيادة.

«سيدة بلاكلوك..»

«نادني بلو رجاءً.»

«لو إذن»، بدا وجه نيلسون العريض والمسترخي متألماً. «لا أريدك أن تعتقدي أنني لا أصدقك، لكن في أضواء النهار الباردة..»

أكملت العبارة، «هل ما زلت متأكدة؟» فأوماً برأسه. وتنهدت بغير ارتياح، وأنا أفكر في شكوكي حيال الليلة السابقة والطريقة التي تسبب فيها سؤال نيلسون الذي لم يفصح عنه في إثارة ذلك الصوت الكريه المنخفض والمزعج خلف رأسي. لويت أصابعي على قميصي قبل أن أتحدث. «الحقيقة هي إنني لا أعرف، كان الوقت متأخراً وأنت محق، لقد شربت الخمر -ربما أخطأت حيال الصرخة والبطيط، وحتى الدماء - أعتقد إن هذا ربما من أثر

إيهام الضوء، مع أنني متأكدة جداً مما رأيته. لكن محال أنني تخيلت المرأة في تلك المقصورة، محال فحسب، لقد رأيته، وتحدثت إليها، إن لم تكن هنا - أعني ليست على متن السفينة - فأين هي إذن؟».

عم الصمت طويلاً.

أخيراً قال، «حسناً، لم نتحدث إلى يولا بعد، حسب وصفك، لست واثقاً إنها هي، لكن يجب أن نحدد موقفها على الأقل». سحب اللاسلكي الذي يتحدث عبره إلى طاقم عمله وبدأ في الضغط على الأزرار. «لا أعرف عنك، لكنني أحب تناول بعض القهوة، لذلك ربما يمكننا أن نطلب منها أن تلقانا في غرفة الفطور».

غرفة الفطور هي نفس الغرفة التي تناولنا في العشاء ليلة أمس، بيد أن الطاولتين الكبيرتين قسمتا إلى بضع طاولات أصغر. وعندما دفع نيلسون الباب وفتحه، لم يوجد أحد هناك باستثناء نادل شاب أصفر الشعر وكأنه الذرة ومفرق، تقدم ليرحب بي مع ابتسامة.

«سيدة بلاكلوك؟ أنت مستعدة للفطور؟».

«أجل رجاء»، قلته بغموض وأنا أنظر في أنحاء الغرفة. «أين يمكنني الجلوس؟».

«في أي مكان تحبين». لوح بيده نحو الطاولات الشاغرة. «معظم الضيوف الآخرين اختاروا تناول الفطور في مقصوراتهم، ربما بجوار الكؤ؟ هل أقدم لك شاياً أم قهوة؟».

قلت، «قهوة رجاء، بلبن وبلا سكر».

قال نيلسون، «وكوب لي رجاء يا بجورن». ثم قال من فوق كتف بجورن، «أه، مرحباً يولا».

استدرت لأرى فتاة طاغية الجمال بكعكة شعر

سوداء وكثة تمشي عبر غرفة الطعام نحو طاولتنا. قالت، «مرحبًا يوهان». بلهجة حسمت الأمر، لكنني تيقنت حتى قبل أن تتحدث إنها ليست الفتاة من المقصورة. جمالها فريد من نوعه، وبشرتها على عكس شعرها الأسود ناصعة البياض كالبورسلين، أما الفتاة في المقصورة فبدت حسنة ومشركة، لكن ليست بهذا الجمال واللفظ المعهود، وكأنها من رسوم عصر النهضة. أيضًا فإن طول يولا قرابة 180 سنتيمتراً؛ أما الفتاة من المقصورة فكانت في نفس طولي تقريبًا، ولم تقارب طول يولا. نظر إلي نيلسون متسائلًا، لكنني هزئت رأسي نافية.

عاد بجورن ومعه كوبان على صينية وقائمة طعام لأجلي، فتنحنح نيلسون.

«ألن تحتسي كوبًا معنا يا يولا؟»

«أشكرك»، قالتها وهي تهز رسها نافية فتمايلت معها الكعكة الكثة على قفاها. «تناولت الفطور هذا الصباح بالفعل، لكنني سأجلس للحظة».

جلست على المقعد بطريقة معاكسة ونظرت لكلينا وهي تبتسم في انتظار حديثنا. فسعل نيلسون مجددًا.

«سيدة بلاكلوك، هذه يولا، وهي مضيضة المقصورات الأمامية، وكذلك مقصورات بولمرز وجينسينز وكول ليدرر وأوين وايت. إن السيدة بلاكلوك تبحث يا يولا عن فتاة رأتها أمس ويصعب العثور عليها. فليست ضمن قائمة الركاب لذلك نعتقد إنها قد تكون أحد أعضاء طاقم العمل، لكن لم يحالفنا الحظ في العثور عليها. سيدة بلاكلوك، هل ترغبين في وصف الفتاة التي رأيتها؟».

عدت لأصف بإيجاز ما بدا وكأنه المرة المائة. «هل تفكرين في أي أحد؟» لاحظت أن صوتي صار أشبه

بالاستجداء، «أي أحد يطابق هذا الوصف؟».

«حسنًا، من الواضح أن شعري داكن»، قالتها يولا ضاحكة، «لكنها لم تكن أنا وما سوى ذلك لست متأكدة منه. يوجد هاني، شعرها داكن وبيرجيتا..».

«قابلتهم»، قلتها مقاطعة. «ليستا هما، هل من أحد آخر؟ عاملات التنظيف؟ طاقم البحارة؟».

«لا... لا... لا أحد في البحارة يطابق هذا الوصف»، قالتها يولا ببطء. «وبين العاملين توجد إيفا أيضًا، لكن سنها كبير جدًا، هل تحدثت مع العاملين بالمطبخ؟».

«لا تبال» بدأت أشعر باليأس، أشعر بأنه كابوس متكرر، التحدث مع الشخص تلو الآخر، وطوال الوقت ظلت ذكرى الفتاة داكنة الشعر تتلاشى وتوهن، وتتفلت من بين أصابعي كالماء. كلما رأيت وجوها، تتشابه كل منها قليلاً لكن ليس مع ما في ذاكرتي تمامًا، صعب عليّ التمسك بالصورة التي في رأسي.

مع ذلك، كان في تلك الفتاة شيء مميز، شيء كنت متأكدًا أنني سأتعرف عليه إن رأيته مجددًا. بل هي ملامحها.. كانت جميلة، لكنها عادية بما فيه الكفاية. ليس للأمر علاقة بالشعر أو قميص (بينك فلويد)، بل شيئًا يتعلق بها، تلك الحيوية والنشاط في تعبيراتها وهي تمعن النظر في الردهة ودهشتها عندما رأت وجهي.

هل يعقل حقًا إنها ماتت؟

لكن البديل ليس أفضل كثيرًا، لأنها إن لم تمت، فالاحتمال الآخر الوحيد - وفجأة لم أعد متأكدة إن كان أفضل أم أسوأ - أنني جننت.

13

استأذن كل من يولا ونيلسون عندما وصل فطوري، وتركاني لأحرق خارج النافذة وأنا أكل. هنا بالأعلى مع مشهد البحر وسطح السفينة، لم أشعر بالإعياء الشديد، وتمكنت من تناول مقدار كبير من الفطور، وشعرت بالطاقة تعود إلى أطرافي وتراجع الغثيان المزعج. وقد أدهشني أن نصف العبث الذي شعرت به على الأقل يرجع إلى انخفاض سكر الدم، فدائفا ما أتصرف بغرابة وارتجاف على معدة خاوية.

لكن مع أن الطعام ومشهد المحيط جعلاني أشعر بحال أفضل بدنيا، لم أستطع منع نفسي من مراجعة أحداث ليلة أمس في رأسي، عندما استعدت المحادثة مع الفتاة، والدهشة على وجهها، وشيء من التهيج وهي تدس مجمل الرموش بين يدي. هناك شيء يجري، وأنا واثقة من ذلك، بدا وكأنني أشاهد فيلما قطعت نصف مدته، وعانيت لأعرف شخصياته، لقد قاطعت الفتاة وهي تفعل شيئا ما، لكن ما هو؟

أيّا كان ما هو، فعلى الأرجح إنه مرتبط باختفائها وأيّا كان ما يعتقده نيلسون، لم أصدق إنها عملت بتنظيف الغرف، فلا أحد ينظف غرفة بقميص ملتصق بالجسد وفوق الركبة رسمت عليه فرقة (بينك فلويد). وإلى جانب ذلك، لم تبد فحسب مثل عاملات التنظيف، فلن تصفني شعرك وتعتني بأظافرك هكذا براتب عاملة تنظيف. وذاك اللمعان على لبدة الشعر الكث والداكن أفصحا عن سنوات من استخدام بلاسم الشعر وأصباغ الشعر الباهظة. أهو تجسس صناعي؟ أم مسافرة خلصة ومتخفية على السفينة؟ أم علاقة غرامية؟ تذكرت الومضة الباردة في عين كول وهو يتحدث عن زوجته

السابقة، والتطمينات اللطيفة لكاميلًا ليدمان بالطابق السفلي. فكرت في قوة نيلسون وضخامته، وفي تطرق أليكسندر الكريه إلى موضوع السم والموت غير الطبيعي ليلة أمس على العشاء.. لكن بدت كل احتمالية مستبعدة عن سابقتها.

إن وجهها هو ما عكر صفوي، كلما اجتهدت لأتذكره، صار أكثر ضبابية. وكل ما يمكنني تصويره بوضوح التفاصيل الملموسة.. طولها ولون شعرها وحالة أظافرهما. لكن ملامحها - الأنف المنمّم والحاجبين الضيقان الداكنين والمنمّصين بعناية - لا يوجد ما يقال. يمكنني أن أقول ما لم تكن عليه: ممثلة الجسم أو مسنة أو بقع حب الشباب. إذ بات من الصعب علي معرفة ما كانت عليه، أنفها.. عاديًا. وفمها، عاديًا. ليس بالمفلطح ولا بالصغير، وليس منتفخًا أو ملدوغًا من نحلة، بل عاديًا. وليس فيها شيء مميز يمكنني الإشارة إليه.

ربما تعرضت أنا لما تعرضت له.

عرفت ما أراده نيلسون. أراد مني أن أنسى ما سمعته، الصرخة والانزلاق الخفي من باب الشرفة، والبطيط المربع والكبير والمنزلق.

أراد مني البدء في الشك في روايتي للأشياء، كان يأخذ الأمور على محمل الجد فقط ليجعلني أبدأ في تدمير نفسي، جعلني أطرح كافة الأسئلة التي أردت.. ما يكفي لإقناع نفسي بقابليتي للخطأ.

وجزاء مني لم يستطع لومه، فتلك هي الرحلة الأولى «لأرورا»، والقارب يعج بالصحفيين والمصورين والمؤثرين. فلا وقت أسوأ من هذا ليحيد شيء ما عن الصواب، يمكنني تخيل العناوين الرئيسية: «رحلة إلى الموت: غرق راكبة على رحلة صحفية على سفينة فارهة». بصفته رئيسًا للأمن

فستصبح رقبة نيلسون على المحك. سوف يخسر وظيفته على أقل تقدير إن حاد شيء عن الصواب خلال نوبته، في أول رحلة تحديداً يشرف عليها.

لكن الأدهى من ذلك.. نوع التشهير الذي سيتولد عن حالة وفاة لا تفسير لها والتي يمكن أن تفرق مؤسسة بأكملها. فشيء كهذا يمكن أن يبتلع «أرورا» قبل حتى أن تنطلق، وإن حدث هذا فقد يخسر كل من على متن السفينة وظائفهم، بداية من القبطان وصولاً إلى إيوانا عاملة التنظيف.

لكني سمعت شيئاً، شيئاً جعلني أقفز من نومي وقلبي يخفق بمائتي دقة في الدقيقة، وراحتا يدي رطبتان من العرق، واعتقادي أنه في مكان قريب جداً وقعت امرأة أخرى في مشكلة مأساوية. عرفت كيف هو الحال أن أصبح في موضع تلك الفتاة.. أن أدرك على الفور مدى هشاشة تمسكك بالحياة، ومدى هشاشة الجدران الأمنية بحق.

وأيا كان ما يقوله نيلسون، فلو لم يحدث شيء لهذه الفتاة فأين هي؟ الصرخة والدماء.. ربما تخيلت كل هذا، لكن الفتاة.. قطعاً لم أتخيلها. ومحال أنها ذهبت أدراج الرياح واختفت دون مساعدة.

فركت عيني، وأنا أشعر بالبقايا رملية الملمس لمستحضرات تجميل العين التي استخدمتها ليلة أمس، وفكرت في الشيء الوحيد الذي أثبت إنها ليست اختلاقاً من وحي خيالي: أنبوب مجمل الرموش (ميبيلين) هذا.

جالت في خاطري أفكار جامحة، واحدة تلو الأخرى، سأعود بهذا إلى إنجلترا في حقيبة بلاستيكية وأتحقق من البصمات عليها، بل الأفضل أن أجري لها فحص حمض نووي. فالحمض النووي سيترسب على فرش مستحضرات التجميل، أليس

كذلك؟ في مسلسل (سي إس آي: ميامي) كانوا يقيمون أركان حجج ادعاء كاملة أمام القضاء بناءً على رمش توصلوا إليه في مسرح الجريمة، حتفاً يوجد شيء بإمكانهم فعله.

دفعت بعيداً تلك الصورة الذهنية عن نفسي وأنا أسير تجاه مركز شرطة كراوش إند بمجمل الرموش في حقيبة بلاستيكية وطلبت من ضابط الشرطة تحليلاً متقدماً من الطب الشرعي والذي يقاوم نفسه من الضحك مستهزئاً. سيصدقني شخص ما، يجب أن يصدقوني، وإن لم يفعلوا فسوف.. سوف أدفع لأفعل هذا بنفسني.

سحبت جوالي لأبحث في جوجل عن «تكلفة اختبار الحمض النووي الخاص»، لكن حتى قبل أن أفك قفل شاشة جوالي أدركت مدى جنون هذا. لم أكن لأحصل على اختبار حمض نووي بنفس كفاءة التحليل في الشرطة من شركة على الإنترنت متخصصة في غش الأزواج. وماذا ستخبرني النتائج على أي حال، إذا لم يوجد أي شيء لمطابقتها به؟

عوضاً عن هذا، وجدت نفسي أتفقد البريد الإلكتروني، لم أتلق شيئاً من جودا، في الواقع لم أتلق شيئاً على الإطلاق. فلا يوجد شبكة جوال، لكن بدا لي أنني مرتبطة بالإنترنت اللاسلكي للسفينة فأعدت تنشيطه بصعوبة. لكن لم يظهر لي شيء، فعلامه التحديث الصغيرة تلك ظلت تدور وتدور، بعدها ظهرت عبارة، «لا يتوفر اتصال بالإنترنت».

تنهدت ووضعت الجوال في جيبني وأمعنت النظر في التوت البري بصحني، مذاق الفطائر المحلاة شهياً، لكنني فقدت شهيتي. بدا هذا مستحيلًا، من دروب الخيال: لقد شاهدت جريمة قتل -أو سمعتها

على الأقل - ومع ذلك كنت أحاول إجبار نفسي على تناول فطائر محلاة وقهوة، وطوال هذا الوقت هناك قاتل طليق، وليس بيدي حيلة لأفعل شيء.

هل علم بأنني سمعته وأبلغت عنه؟ بكل تلك الجلبة التي أحدثتها، والأسئلة التي طرحتها في أنحاء السفينة، إن لم يعرف ليلة أمس، فقد عرف الآن. لطمت السفينة موجة أخرى، تصادمًا عرضيًا، فدفعت الصحن بعيداً ونهضت.

سألني بجورن، «هل يوجد أي شيء آخر يا سيدة بلاكلوك؟» اندفعت بقوة والتفتت حول الطاولة، ظهر وكأنه جاء بفعل سحر من باب بجدار خشبي في مؤخرة الغرفة، يكاد يستحيل رؤيته ما لم تعرف إنه هنا، هل كان هنا طوال الوقت، يراقبني؟ هل يوجد نوع ما من ثقوب التجسس؟

هززت رأسي نافية وبذلت قصارى جهدي لأبتسم وأنا أسير عبر الأرضية التي تتمايل ببطء.

«لا شكراً يا بجورن، شكراً على كل مساعدتك».

«صباحك سعيد، هل لديك خطط ما؟ لو لم تخططي لأي شيء فلتجربي رؤية الإطالة من أعلى سطح السفينة بالمستحم الدافئ فهو مذهل». فجأة راودتني رؤية لنفسي وأنا وحيدة في المستحم الدافئ وتدفعني أسفل الماء يد ترتدي قفازاً مطاطياً...

هززت رأسي مجدداً. «يفترض أن أذهب للمستحم المعدني على ما أعتقد، لكن ربما أذهب لأتمدد في مقصورتني أولاً، فأنا متعبة جداً، لم أنم جيداً ليلة أمس».

«بالطبع». نطقها بالتشديد على حروفها، «أتفهم تمامًا، ينصح بالقليل من هذا وذاك ربما!».

«هذا وذاك؟».

«ليس تعبيراً، بل أعني بهذا وذاك الراحة والاسترخاء؟».

«أه!» احمرت وجنتاي خجلاً. «الراحة والاسترخاء، أجل بالطبع، أسفة.. كما قلت، أنا متعبة جداً..». مشيت بتؤدة نحو الباب وفجأة اقشعر بدني من فكرة العيون الخفية التي قد تراقب محادثتنا، على الأقل في مقصورتني يمكنني التأكد من أنني وحيدة. «استمتعي باستراحتك!».

قلت، «سأفعل»، واستدردت لأذهب.. فإذا بي اصطدم بعيني بين هوارد الناعستين. «بلاكلوك!».

«هوارد».

«ليلة أمس..». قالها بحرج، فهزرت رأسي. لم أكن لأخوض تلك المناقشة أمام بجورن عذب الكلام، والذي ابتسم على الجهة المقابلة من الغرفة. قلت باقتضاب، «دعنا لا نناقش هذا هنا، كنا ثملين، هل استيقظت لتوك؟».

«أجل». وتثاءب بعمق. «بعد أن تركت مقصورتك التقيت مصادفة بأرشر وانتهى بنا المطاف ونحن نلعب البوكر مع لارس وريتشارد بولمر حتى ساعة متأخرة من الليل».

«أه». مضغت شفتي. «متى أويت إلى فراشك؟».

«الرب أعلم، في الرابعة وشيء على ما أعتقد».

«فقط لأن..». شرعت في الحديث، ثم توقفت، لم يصدقني نيلسون، كنت أصل إلى النقطة التي أصدق فيها نفسي بالكاد، لكن بين... سوف يصدقني، أليس كذلك؟

عاودت التفكير في الوقت الذي قضيناه سوياً،

وكيف انتهت علاقتنا... وفجأة لم أعد متأكدة تمامًا.
قلت باقتضاب، «لا تبال، سأخبرك لاحقًا، تناول
فطورك».

«هل أنت بخير؟» قالها وأنا التفت لأذهب. «تبددين
في حالة مريضة».
«في خير حال، شكرًا».

«لا، أعني فحسب.. إنك لم تنامي بالقدر الكافي».
«لم أنم». حاولت ألا أبدو فظة، لكن القلق والإجهاد
جعلاني أتحدث بجفاء أكثر مما عنيت. عندئذ مالت
السفينة بفعل موجة أخرى، «أشعر أن هذا البحر
متهيج بعض الشيء».

«أجل؟ أنا محظوظ، فدوار البحر لا يصيبني
البتة». شعرت بشيء من العجرفة في صوته
وقاومت الحاجة الملحة لأرد سريعًا بكلمة مقتضبة
وحادة. «لا تبال، سنصل إلى ترونديم في الصباح
الباكر».

«غدا؟» حتمًا إن صوتي خائني وبدا علي الهلع،
لأنه نظر لي بحدة.
«أجل، لماذا، ما الأمر؟».

«اعتقدت.. تخيلت، اليوم..». سكت تدريجيًا.

هز كتفيه. «إنه طريق طويل كما تعرفين».

«لا تبال». كنت بحاجة للعودة إلى غرفتي والتفكير
في هذا مليًا.. أحاول أن أفكر فيما رأيت وما لم أراه.
«سأعود إلى غرفتي.. وأتمدد».

«قطعًا، أراك لاحقًا يا بلاكوك». قالها بين بنبرة
هادئة، لكن عينيه وهو يراقب رحيلي كانتا قلقتين.

اعتقدت أنني متجهة إلى السلام للوصول إلى
طابق المقصورات، لكنني حتمًا انعطفت إلى مكان
خطأ لأن المقام استقر بي في المكتبة.. وهي

نسخة مصفرة لمكتبة منزل ريفي مكسوة بالألواح، والمصحوبة بمصاييح إنارة خضراء وأرفف متدرجة. تنهدت وحاولت أن أفكر أين أخطأت وإذا كان يوجد منعطف أسرع للعودة عوضاً عن تعقب خطواتي ومواجهة بين مجدداً. بدا أنه من المستحيل التيه في سفينة صغيرة إلى هذا الحد، لكن ثمة شيء مربك جداً في الطريقة التي نسقت بها الغرف، وكأنها أحجية الأقفال صممت لاستغلال كل بوصة من المساحات الخالية، وصار السير في تلك المتاهة أكثر تعقيداً بفعل طريقة تلاعب حركة القارب بإحساسي بالاتجاهات.

وعلى عكس العبارة لم يسعفني وجود مخططات للطوابق ولافتات مصفرة.. على ما أفترض أن السبب في هذا إعطاء الانطباع بأن هذا منزل خاص وأنه صادق وأن شاركت زمرة من الأثرياء فيه.

رأيت مخرجين، واعتباطاً نوعاً ما فتحت الباب المؤدي إلى سطح السفينة، على الأقل يمكنني التأكد أي الطرق أواجه. وعندما خرجت، شعرت بالهواء يلفح وجهي، وسمعت صوتاً أجشاً مشبهاً بالنيكوتين من خلفي.

«عزيزتي، إنها معجزة إنك تقفين! كيف حالك هذا الصباح؟».

التفت فوجدت تينا، تقف أسفل زجاج منحني للوقاية من الدخان، وسيجارة بين إصبعيها. التقطت نفساً عميقاً، «أجهدك العمل بعض الشيء؟».

قاومت الرغبة الشديدة في الاستدارة والهرب، إذ يفترض علي تكوين شبكة علاقات، وما كنت لأسمح بصداع الثمالة الذي ألحقته بنفسي أن يحول دون ذلك، حاولت الابتسام على أمل أن تبدو ابتسامة

مقنعة.

«قليلاً، ما كان ينبغي لي أن أسرف في الشراب». «حسناً، ما أذهلني حقاً هو مقدار ما تجتنبينه»، قالتها بابتسامة متهجمة بعض الشيء. «كما قالت لي مديرتي السابقة عندما بدأت بالعمل في مجلة «إكسبريس» في زمان لقاءات الغداء الطويلة بحق، لو استطعت التفوق في الشراب على من تحاورينه، فأنت في طريقك إلى أول سبق صحفي».

نظرت إليها عبر ضباب من الدخان، فما عرفته عنها من خلال النسيمة المكتبية إنها شقت طريقها وتسلقت سلم الشركات باستغلال شابات أكثر مما في استطاعتك حسابه، وما إن عبرت السقف الزجاجي، سحبت السلم من خلفها. أتذكر ما قالت له لي روان ذات مرة، إن تينا إحدى النساء اللاتي يفكرن في أن كل ذرة هرمون أنثوي في غرف مجلس الإدارة تشكل تهديداً على وجودها.

لكن بطريقة أو أخرى لم أستطع المطابقة بين ملاحظاتها والمرأة الواقفة أمامي. عرفت على الأقل إحدى الزميلات السابقات التي قالت بأنها تدين لتينا بمسيرتها المهنية، وعندما أنظر إليها الآن بعينيها المثقلتين بمستحضرات التجميل تضحكان لي، أفكر كيف كان يبدو الحال عندما تصبحين صحفية أنثى في هذا الجيل، وتشقين طريقك بأظافرك عبر مناصب تشغلها شبكة قديمة من الفتيان، صار الأمر أصعب بما فيه الكفاية الآن، ربما لم يكن خطأ تينا إنها لم تستطع اصطحاب كل امرأة في المكتب معها. قالت، «تعالى إلى هنا يا عزيزتي، سوف أخبرك سراً صغيراً»، وأشارت إلي بأصابعها لأذهب إليها، مع رنين خواتمها على أصابعها النحيلة. «شرب أتبعه مضاجعة طويلة وبطيئة».

لا يوجد إلا رد واحد محتمل لا يبدأ بالتأفف، وهو التزام الصمت مع عدم التحيز لأي رأي، ففقت تينا بضحكة مشبعة بالنيكوتين مرة أخرى.

«هل صدمتك».

«ليس بحق، لكن فقط - كما تعرفين - ليس لدينا كثير من المرشحين».

«اعتقدت أنك وبين هوارد الصغير الجذاب كنتما ودودين ليلة أمس..». سكتت تدريجياً.

منعت نفسي من هز كتفي. «أنا وبين كنا سوياً منذ سنوات مضت»، قلقتها بصرامة. «وليس لدي رغبة للعودة إلى هذه العلاقة».

«معقول جداً يا عزيزتي. » ربتت على ذراعي، وشعرت برنين خواتمها على جلدي. «كما يقول الأفغان، لا يجب على المرء الاستحمام أبداً في نفس البحيرة مرتين».

لم أكن متأكدة بما ينبغي الرد به على هذا.

قالت فجأة، «ما اسمك مجدداً؟ لويس أليس كذلك؟».

«لو. اختصاراً لاسم لورا في الواقع».

«يسعدني لقاءك يا لو، وأنت مع روان في مجلة «فيلوسيتي»، أحقاً هذا؟».

قلت «أجل، هذا صحيح، أكتب الموضوعات الرئيسية». ثم أدهشت نفسي عندما قلت، «لكني أمل أن أعطي محلها في إجازة الأمومة التي تقضيها، على ما أعتقد إن هذا سبب جزئي لقدمي إلى تلك الرحلة، أرادوا جس النبض وأن يروا ماذا أصنع».

مع أنه إذا كان ذلك اختباراً، فأنا على وشك الفشل فيه تماماً. فاتهم من يستضيفونني بالتغطية على

وفاة ليس قطعاً ما يجول في خاطر «فيلوسيتي».
 سحبت تينا نفساً من سيجارتها مجدداً، ثم تفلت
 بعض التبغ وهي تنظر إلي لتقييمني.
 «مسؤولية كبيرة، هذا الدور. لكن من الرائع أنك
 ترغبين في التقدم خطوة للأعلى، وماذا ستفعلن
 عندما تعودين؟».

فتحت فمي لأرد.. ثم توقفت. ماذا سأفعل؟ أعود
 لوظيفتي القديمة؟ كنت أتساءل فحسب كيف
 أجيب عندما تحدثت هي.

«اتصلي بي في أحد الأوقات عندما تعودين
 للمكتب. فأنا أبحث دوماً عن العاملين المستقلين،
 على وجه الخصوص الصغار الأذكاء ممن لديهم
 بعض الطموح».

قلت بأسف، «أنا من الموظفين بعقد». قدرت هذا
 الإطار، ولم أرد أن أرد، لكنني كنت متيقنة تماماً أن
 تلك الفقرة في العقد التي تنص على عدم منافسة
 صاحب العمل لن تسمح لي بالعمل في وظيفة
 أخرى.

«افعلي المناسب لك»، قالتها تينا بهزة كتف،
 فتمايلت السفينة وهي تتحدث، وترنحت مقابل
 الحاجز المعدني. «تبا، انطفأت سيجارتي، ليس معك
 قداحة، أليس كذلك يا حلوة؟ تركت قداحتي في
 غرفة الجلوس».

قلت، «لا أدخن».

«اللعنة». قذفت ما تبقى من السيجارة عبر الحاجز
 ونحن نراقب الرياح وهي تتلقفها عن أعيننا، قبل
 أن تلمس حتى المياه المتموجة. كان ينبغي علي
 حقاً أن أعطيها بطاقة عملي، أو على الأقل أبدأ في
 نقاشها حول خطط مجلة «فيرنيان» حول المواضيع

المستقبلية وإلى أي مدى وصلت في تملق اللورد بولمر، هذا ما كانت روان لتفعله، وكان بين ليحصل على عقد بعمل مستقل الآن، وينتهك فقرة عدم منافسة صاحب العمل في العقد.

لكن في تلك اللحظة تحديداً - مع نيلسون الذي يحاول الآن مع القبطان أن يملأ قصتي بالثغرات - لم تبد مسيرتي المهنية بهذا القدر من الأهمية. فلو كان يوجد أي شيء ينبغي أن أسألها عنه، فهو سؤالها عن مكانها ليلة أمس. ففي النهاية، كان بين يلعب بوكر مع لارد وأشر وبولمر، ما يخلف زمرة صغيرة نسبياً ممن كانوا في المقصورة المجاورة لي. هل كانت نينا قوية بما فيه الكفاية لتدفع بامرأة من على متن السفينة؟ تفرستها خلسة عندما بدأت في السير بصعوبة عبر سطح السفينة المبلل بالماء المالح تجاه الباب، وانزلق كعباها العاليان قليلاً على سطح السفينة المعدني المدهون. إنها نحيلة جداً مثل الكلاب السلوقية، تغلب عليها الأعصاب القوية أكثر من العضلات، لكن ليس في استطاعتي تخيل وجود قوة من الأعصاب في هذين الذراعين، والصورة التي رسمتها روان لامرأة عوضت حجمها الضئيل بقسوتها.

«ماذا عنك إذن؟» قلتها وأنا أتبعها نحو الباب. «هل حظيت بوقت رائع ليلة أمس؟».

توقفت فجأة عند هذه العبارة، وهي تمسك بالباب الثقيل بإحدى يديها، وأصابعها متشبثة بالمعدن، كانت الأوتار على يدها من الخلف بارزة مثل سلوك معدنية، واستدارت لتحقق إلي.

«ماذا قلت؟» اندفعت بعنقها للأمام مثل ديناصور من نوع فيلوسيرابتور وهي ترمقني بنظرات ثاقبة. «أنا..». توقفت، ثم عدت للوراء من شراسة ردها.

«لم أ.. كنت أتساءل فحسب..».

«حسنًا، أقترح أن تتوقف عن التساؤل، وتحتفظي بتلميحاتك لنفسك، إن فتاة ماهرة مثلك تعرف أفضل من هذا كيف لا تصنع أعداء في مجال العمل هذا».

ثم أفلتت الباب وتركته يرتطم من خلفها. وقفت عند سطح السفينة وأنا أصدق بانشداه إليها عبر الباب المشبر بالماء المالح، وأتساءل عما حدث للتو بحق هذه الدنيا.

هززت رأسي، واستجمعت قواي، لا مغزى من محاولة معرفة سبب هذا الآن، يجب أن أعود إلى المقصورة وأحافظ على الدليل الصغير الوحيد الذي تركته.

أوصدت الباب قبل أن أغادر مع نيلسون لكني أدركت وأنا أقطع طريقي بحرص للأسفل عبر درجات السلالم المؤدية إلى سطح المقصورات ورأيت عاملات النظافة يسحبن مكنساتهن الكهربائية من خلفهن، أن حواملهم المتحركة مليئة بالمناشف والملاءات، وأناي نسيت وضع علامة «ممنوع الإزعاج».

وبالداخل، رأيت الجناح حظي بخدمة فائقة، فالحوض ملمع والنوافذ نظفت من رذاذ المحيط؛ وحتى ملابس المتسخة وفستان السهرة الممزق اختفوا بطريقة سحرية.

لكني لم أهتم بأي من هذا، بل اتجهت مباشرة إلى الحمام، إلى الأرفف المرتبة من مستحضرات التجميل والمطهرات على طاولة التزيين. أين هو؟

طرحت جانبًا أحمر الشفاه وملمعها ومعجون

الأسنان والمرطب ومزيل مجمل العيون وعبوة حبوب للبثور مستخدم نصفها... لكني لم أجده. لم الملح وميضاً من اللونين الوردي والأخضر، تحت الطاولة إذن أو في سلة القمامة؟ لم أجد شيئاً.

ذهبت إلى غرفة النوم الرئيسية وفتحت الأدراج واحداً تلو الآخر وأنا أتفرس أسفل المقاعد. أين هو؟ أين هو؟

لكني عرفت الإجابة حتى عندما استلقيت على الفراش واضعة رأسي بين يدي، لقد اختفى أنبوب مجمل الرموش، تلك الحلقة الوحيدة المتصلة بالفتاة المفقودة.

صحيفة هارينجاي إيكو، السبت 26 سبتمبر

اختفاء سائحة لندنية من سفينة بحرية نرويجية
 كثر الحديث على أن أصدقاء وأقارب لورا بلاكوك اللندنية يشعرون «بالقلق الزائد» حيال أمنها. أفاد رفيقها جودا ليويس (البالغ من العمر 35 عام) أن بلاكوك (البالغة من العمر 32 عام) وتقيم في ويست جروف بهارينجي اختفت خلال عطلة على متن سفينة بحرية حصرية تدعى «أرورا بوريليس». وقد أفاد السيد ليويس الذي لم يكن مع السيدة بلاكوك على متن السفين، إنه بات يشعر بالقلق نظراً لعدم رد السيدة بلاكوك على رسائله من على متن السفينة وعندما فشلت محاولاته الإضافية في التواصل معها.

وقد أكد المتحدث باسم «أرورا بوريليس» التي غادرت مدينة هول يوم الأحد الماضي في أولى رحلاتها أن السيدة بلاكوك لم تظهر منذ رحلة مخطط لها إلى مدينة ترونديم يوم الثلاثاء 22 سبتمبر، لكن قالت الشركة إنهم افترضوا مبدئياً إنها قررت اختصار رحلتها. لكن حينما لم تعد السيدة

بلاكوك إلى المملكة المتحدة يوم الجمعة أثار رفيقها ضجة قائلاً بأن مغادرتها لم تكن مخططة. وقالت بامبلا كرو، والدة المفقودة إنه ليس من طبيعة ابنتها أبداً ألا تتصل بها وناشدت أي أحد شاهد السيدة بلاكوك، المعروفة أيضاً باسم لو، بأن يعلن عن هذا.

الجزء الرابع

14

حاولت أن أمنع الجذع من التغلب علي.
شخص ما كان في الغرفة.
شخص ما عرف.

شخص ما عرف ما رأيته، وما سمعته وما قلته.
أعيد ملء الثلاجة الصغيرة، واشتقت إلى شراب
من نابع أحشائي، لكنني طرحت تلك الفكرة بعيداً
وبدأت في زرع المقصورة جيئة وذهاباً، تلك
المقصورة التي بدت رحبة أمس، وتبدو الآن وكأنها
تطبق علي.

شخص ما كان هنا، لكن من؟

صارت عندي حاجة ملحة لأصرخ وأفر وأختبئ
أسفل الفراش وألا أخرج أبداً، لكن لا مفر.. ليس إلا
إذا وصلنا إلى ترونديم.

هذا الإدراك صدم أفكاري وجعلها تخرج عن تلك
الحالة الأشبه بفرار الفئران فنهضت، ووضعت يدي
على منضدة الزينة، وحنيت كتفي، ونظرت إلى
وجهي الشاحب والهزيل في المرأة، لم يكن بسبب
الحرمان من النوم فحسب، ورأيت تلك الدورات
العميقة من الإجهاد أسفل عيني، لكن شيئاً في
عيني نفسيهما هو ما جعلني أتوقف.. نظرة خوف،
مثل حيوان يركض على الأرض.

صدر أنين هادر من الردهة، وتذكرت بارتجاف
عاملات التنظيف اللاتي يخدمن الغرف. فالتقطت
نفساً عميقاً واستقمت في وقفتي وأنا أهز شعري
لأعيده فوق كتفي. ثم فتحت الباب وتناولت
برأسي خارجاً في الردهة، حيث مازال يصدر طنين
المكنسة الكهربائية. إيوانا، المرأة البولندية التي
قدموني لها بالطابق السفلي، إنها تنظف مقصورة

بين هوارد قبيل آخر الردهة، والباب مفتوح على مصراعيه.

«معذرة!» ناديتها لكنها لم تسمع، فجازفت بالاقتراب أكثر. «معذرة!».

انتفضت والتفتت وهي تضع يدها على قلبها. «عذراً!» قالتها بأنفاس متقطعة وهي تضغط على زر الإغلاق بقدمها لتسكت المكنسة، كانت ترتدي زياً رسمياً باللون الأزرق الداكن مثلما ترتديه باقي عاملات التنظيف، واحمرت ملامحها البارزة على إثر الإجهاد. «أشعر بالفزع».

قلت بصبر، «أسفة، لم أقصد إخافتك، أردت أن أسأل.. هل نظفت غرفتي؟».

«أجل، فعلت هذا بالفعل، هل هناك شيء غير نظيف؟».

«لا، بل إنها نظيفة جداً.. جميلة في الواقع، لكن كل ما في الأمر أنني تساءلت.. هل رأيت مجمل الرموش؟».

«مجمل...؟» هزت رأسها بتعبيرات وجه غير مستوعبة. «ما هذا؟».

«مجمل رموش، لعينيك.. هكذا». حاكيت طريقة وضعه وانقشع الجهل عن وجهها.

«أه! أجل، أعرف»، ثم قالت شيئاً من قبيل «توش دو ريش». لكن ليست لدي فكرة إن كانت هذه هي المرادف البولندي لكلمة «مجمل الرموش» أم «وضعتها في سلة القمامة»، لكني أومأت برأسي بنشاط.

«أجل، أجل، في أنبوب باللونين الوردي والأخضر، مثل..». سحبت جوالي، بغية البحث على جوجل عن كلمة (ميبيلين)، لكن الإنترنت اللاسلكي مازال

لا يعمل. «اه سحقًا، لا تبالي، لكنه باللونين الوردي والأخضر، هل رأيته؟».

«أجل، رأيته ليلة أمس عندما نظفت».

سحقًا. «لكن ليس هذا الصباح؟».

«لا». هزت رأسها وبدأ القلق على وجهها. «أليس في الحمام؟».

«لا».

«أسفة، لم أره، بإمكانني أن أسأل كارلا المضيضة إن أمكن أن، أه.. كيف أقولها... تشتري واحداً جديداً...؟».

وفجأة جعلتني كلماتها المتخبطة وتعبيراتها القلقة أدرك ما يبدو عليه الأمر حتمًا.. امرأة مجنونة تتهم ضمناً عاملة تنظيف بسرقة مجمل رموش مستخدم. هزرت رأسي، ووضعت يدي على ذراعها.

«أسفة، لا يهم، رجاء لا تقلقي».

«لكن أجل، هذا يهم!».

«لا، بأمانة، على الأرجح أنا السبب، أتوقع أنني تركته في أحد جيوبي».

لكني عرفت الحقيقة، اختفى مجمل الرموش.

بالعودة إلى المقصورة غلّقت الباب ووضعت السلسلة، ثم التقطت الهاتف وضغطت على رقم صفر وطلبت الحديث إلى نيلسون. سمعت موسيقى انتظار استمرت وقتًا طويلة وعاد على الخط امرأة بدا صوتها مثل كاميليا ليدمان.

«سيدة بلاكوك؟ شكرًا على انتظارك، سأوصلك به».

سمعت تكتكة وخشخشة، ثم جاء على الخط صوت عميق لرجل.

«مرحبًا؟ يحدثك يوهان نيلسون، هل يمكنني

مساعدتك؟».

«اختفى مجمل الرموش»، قلتها بلا مقدمات.

عم الصمت، واستطعت الشعور به وهو يبحث في الملفات الذهنية بداخله عن تلك النبذة.

قلت بنفاد صبر، «مجمل الرموش، ذلك الذي أخبرتك عنه ليلة أمس.. الذي أعطتني إياه المرأة في المقصورة العاشرة، هذا يثبت وجهة نظري، ألا تفهم ما أرمي إليه؟».

«لا أفهم..».

«جاء أحدهم إلى مقصورتى وأخذه». تحدثت ببطء، في محاولة للحفاظ على رباط جأشي، ولدي شعور غريب أنني إذا لم أتحدث بهدوء وصفاء فربما أشعر في الصراخ عبر الهاتف. «لماذا يفعلون هذا، لو لم يكن لديهم أي شيء يخفونه؟».

عم الصمت طويلاً.

«نيلسون؟».

أخيراً قال، «سأتي لرؤيتك، هل أنت في المقصورة؟».

«أجل».

«سأصل بعد قرابة عشر دقائق، أنا مع القبطان ويجب أن أفرغ مما أفعله هنا، سأتي في أقرب فرصة ممكنة».

قلت، «مع السلامة» وطرقت السماعة بغضب يفوق ما خشيته، لكنني لم أعرف إن كان غضب مني أم من نيلسون.

زرعت المقصورة الصغيرة جيئة وذهاباً مجدداً، وأنا أراجع أحداث ليلة أمس، الصور والأصوات والمخاوف التي تعج براسي. أما الخوف الذي لم أستطع تجاوزه فهو خوف الاقتحام.. دخل أحدهم

غرفتي. استغل أحدهم فرصة انشغالي مع نيلسون وجاء ليفتش في أغراضي وسرق ذلك الدليل الذي يدعم قصتي.

لكن من لديه بطاقة دخول؟ إيوانا؟ كارلا؟ جوزيف؟

سمعت طرقًا على الباب والتفت بحدة وذهبت لأفتحه، وقف نيلسون بالخارج مع مزيج عجيب من الانزعاج وضخامة الدببة والضجر. لم تكن الدوائر الداكنة أسفل عينيه مثل التي لدي، لكنه على وشك الوصول لتلك المرحلة.

كررت، «أخذ أحدهم مجمل الرموش».

فأوما برأسه، «هل يمكنني الدخول؟».

رجعت للخلف، ودخل بجانبه إلى الغرفة.

«هل يمكنني الجلوس».

«رجاء».

جلس، فاحتجت الأريكة بلطف، وقعدت على الجهة المقابلة له من الكرسي من طاولة التزيين. ولم يتحدث أي منا، كنت أنتظره لكي يبدأ. ربما كان يفعل نفس الشيء أو يحاول ببساطة أن يجد الكلمات المناسبة. فقرص جسر أنفه، بإيماءة لطيفة بدت ساخرة بطريقة غريبة لمثل هذا الرجل الضخم.

«سيدة بلاكوك..».

«لو»، قلتها بحزم.

تنهد وعاود الحديث مجدداً. «لو إذن، تحدثت إلى القبطان، ولا أحد مفقود من طاقم العمل، إننا متأكدون تمامًا من هذا الآن. وتحدثنا أيضًا لكل طاقم العمل ولم ير أحد منهم أي شيء مثير للشكوك في تلك المقصورة، وكل هذا يقودنا إلى نفس الاستنتاج..».

«مهلاً»، قاطعته باحتدام، وكان منعه من قول تلك الكلمات سيؤثر بطريقة أو أخرى على الاستنتاج الذي توصل إليه مع القبطان.
«سيدة بلاكلوك..».

«لا. لا تقدم على فعل هذا».

«لا أقدم على فعل ماذا؟».

«أن تناديني «سيدة بلاكلوك» في مرة، وتخبرني إنك تحترم مخاوفي وأني راكبة تقدرونها إلخ، وفي المرة التالية تنفضني عنكم وكأنني أنثى مصابة بهوس ولم تر ما رآته».

«أنا لم..». بدأ في الكلام لكنني قاطعته بغضب يفوق صبري على الاستماع.

«لا يمكنك أن تحظى بكليهما، إما إنك تصدقني أو.. آه، لا مهلاً!» تجمدت في مكاني، وأنا غير قادرة على تصديق أنني لم أفكر في هذا من قبل. «ماذا عن كاميرات المراقبة؟ أليس لديهم نوع ما من أنظمة الأمان؟».

«سيدة بلاكلوك..».

«يمكنك تفقد الأشرطة الخاصة بالردهة، وستكون الفتاة في إحداها.. ينبغي أن توجد فيها!».

«سيدة بلاكلوك!» قالها بصوت عالٍ. «لقد تحدثت إلى السيد هوارد».

«ماذا؟».

قال بسأم أكثر، «تحدثت إلى السيد هوارد، بين هوارد».

«وماذا إذن؟» قلتها وقلبي يخفق بقوة. «ما الذي يمكن لبين أن يعرفه عن هذا؟».

«إن مقصورته على الجانب الآخر من المقصورة الخاوية، ذهبت لرؤيته، لاكتشف إن كان سمع أي

شيء، إن كان في استطاعته أن يصدق على روايتك عن صوت بطيط الماء».

قلت، «لم يكن هناك، بل كان يلعب البوكر».
«أعرف هذا، لكنه أخبرني..». سكت نيلسون تدريجيًا.

قلت في نفسي، أه يا بين، وشعرت بانقباض معدتي من الذهب. بين هوارد، أيها الخائن، ماذا فعلت؟

عرفت ما سيقوله، عرفت من وجه نيلسون، لكني لم أكن لأفله من بين يدي بهذه السهولة.

قلت، «أجل؟» وأنا أجز على أسناني، سوف أجبره على فعل هذا بالطريقة الصائبة، سوف أجبره على النطق بهذا، كل كلمة موجهة على حدة.

«أخبرني عن ذاك الرجل في شقتك، السارق».
«ليس لهذا علاقة بذاك».

«إنه، ماذا أقول..». سعل، وربع يديه أولاً ثم أتبعها بقدميه. صورة رجل في حجمه وهو جالس في وضع غير مريح ويحاول أن ينزوي ليختفي، تكاد تكون هزلية إلى حد كبير، لم أقل شيئًا، فإحساس النظر إليه وهو يتلوى كانت غريبة بعض الشيء. جال في خاطري بقسوة، أنت تعرف، تعرف كم أنت حقير.

قال بصعوبة، «قال لي السيد هوارد أنك، وا، لم تنامي جيداً منذ، وا، حادث اقتحام شقتك».

لم أقل شيئًا، بل جلست في مكاني باردة وقاسية مع شعور بالغضب تجاه نيلسون، لكنه ينصب أكثر على بين هوارد. تلك آخر مرة أثق فيه، ألن أتعلم أبداً؟

«ناهيك عن موضوع المشروبات الكحولية». قالها

وبدا وجهه الأشقر المجعد تعيشاً. «وهذا، وا... لا يناسب تمامًا».

سكت تدريجياً عن الكلام، واستدار برأسه نحو باب الحمام، صوب الكومة المثيرة للشفقة من الأغراض الشخصية.

«لا يناسب ماذا؟» قلتها بصوت منخفض وقاس ويتنافى مع طبيعتي تمامًا.

رفع نيلسون عينيه إلى السقف، وأشعت الغرفة بانزعاجه.

«مع... مضادات الاكتئاب»، قالها بصوت مثل الهمس، ورمق بنظره مرة أخرى عبوة الحبوب المكومة والمستخدم نصفها إلى جوار الحوض ثم ولى وجهه شطري مجددا والأسف بادياً على كل شبر في جسده.

لكن تلك الكلمات خرجت من فمه، ولا يمكن أن تعود إليه، وكلانا نعرف هذا.

جلست ولم أقل شيئاً، لكن خدي كانا ملتهبين وكأنهما صفعا. إذن هذا هو الحال، أخبره بين هوارد فعلياً بكل شيء، هذا الحقير الدنيء، بعد بضع دقائق تحدث إلى نيلسون. أثناء محادثة واحدة وفي ذلك الوقت لم يخذلني فقط في عدم تأييد قصتي، لكنه أفشى كل تفاصيل حياتي الخاصة التي بين يديه وجعلني أبدو إنسانة غير جديرة بالثقة وكيمياء جسمها غير متزنة وفي طريقها للتحول إلى غصابية.

أجل، أجل، أتناول مضادات الاكتئاب، فما الضير؟ حتى وإن كنت أتناول تلك الحبوب لسنوات وأحتسي الخمر بعدها، ومهما بلغت نوبات القلق التي تصيبني، لكنها ليست أوهاماً.

لكن حتى وإن كنت مصابة باضطراب عقلي كامل فهذا لا ينفي حقيقة أنه بحبوب أو بلا حبوب، فقد رأيت ما رأيت.

«إذن هذا هو الأمر»، أخيراً قلت تلك الكلمات المقتضبة والجافة. «تعتقد إنه بسبب بضع حبوب فأنا مخبولة مصابة بجنون الارتياب والتي لا يمكنها التفرقة بين الحقيقة والخيال؟ ألا تعرف إن مئات الآلاف من الأشخاص يتناولون نفس الدواء الذي أتناوله؟».

قال نيلسون بارتباك، «ليس هذا قطعاً ما حاولت قوله، لكن الحقيقة إنه ليس لدينا دليل لدعم روايتك أيضاً، يا سيدة بلاكوك مع احترامي لك، فما اعتقدت إنه حدث يشبه جداً تجربتي..».

«لا!» صرخت بها ثم وقفت لأعلو جسده المنزوي التعيس، على الرغم من أنه في العادة أطول مني بنصف قدم. «أخبرتكم، لا تقدم على فعل هذا، لا تقدم على مناداتي بأسماء خنوعة وترفض ما قلته لك. أجل، أصابني الأرق. وأجل، احتسيت المشروبات الكحولية. وأجل، اقتحم شخص ما شقتي، لا علاقة لهذا بما رأيته».

«لكن هذه هي المشكلة، أليس كذلك؟» وقف هو الآخر الآن كمن لدغ، وعلى خديه العريضين حمرة الخجل. «لم تري أي شيء، رأيت فتاة، وعلى هذه السفينة يوجد العديد منهم، وبعدها بوقت كبير سمعت صوت أطيظ، وانطلاقاً من هذا قفزت إلى الاستنتاجات القريبة جداً من ذلك الحدث العصيب الذي مررت به منذ بضع ليال.. وكأنك تقولين إن اثنين زائد اثنين يساوي خمسة. وهذا لا يكفي للتحقيق في جريمة قتل يا سيدة بلاكوك».

قلت، «اخرج من هنا». على ما يبدو أن ثلج الصبر

قد ذاب حول قلبي، استطعت الشعور أنني على
وشك إفساح المجال لشيء غبي جداً.
«سيدة..».

«أخرج من هنا!».

سرت تجاه الباب وفتحته على مصراعيه، ويداي
ترتجفان.

«اخرج من هنا!» كررتها. «الآن، مالم ترغب في أن
أتصل بالقبطان وأخبره إن مسافرة وحيدة طلبت
منك مراراً أن تترك مقصورتها وأنت رفضت. اخرج
من مقصورتي المقيمة!».

طأطأ نيلسون رأسه ومشى بتصلب نحو الباب،
وتوقف للحظة وكأنه على وشك قول شيء ما، لكن
ربما أن وجهي أو شيء ما في عيني حال دون ذلك،
لأنه عندما رأى نظرتي، بدا وكأنه جفل ونكص على
عقبه.

قال، «مع السلامة يا سيدة..».

لكني لم أمهله لأسمع المزيد، بل صفعت الباب في
وجهه ثم طرحت نفسي على الفراش لأخرج النشيج
من قلبي.

15

لا يوجد سبب، ولو نظري على الأقل، يجعلني بحاجة لتلك الحبوب لأمضي قدماً في حياتي، أمضيت طفولة رائعة ولدي والدان محبان، كل ما يحتاجه المرء. ولم أضرب أو أتعرض للتحرش ولم أقع تحت ضغط التوقعات بالحصول على الدرجات النهائية. لم أ حظ إلا بالحب والدعم، لكن بطريقة ما لم يكن هذا كافياً.

تقول صديقتي إرين إن لدينا جميعاً شياطين بداخلنا، أصوات تهمس بأننا لسنا خيرين، وإننا إن لم نحصل على تلك الترقية أو درجة الامتياز في الاختبار سوف نكشف للعالم بالضبط كم إننا بحق كتلة لا قيمة لها من الجلد والأعصاب. ربما هذا حقيقي، ربما أن لشياطيني أصواتاً أعلى فحسب.

لكني لا أعتقد أن هذا بنفس البساطة، فالإكتئاب الذي سقطت ضحية له بعد الجامعة لم يتعلق بالامتحانات وتقدير الذات، بل شيئاً أغرب، يتعلق بكيمياء الجسم، شيئاً ما كان ليصلحه العلاج بالتحدث.

العلاج المعرفي السلوكي أو الاستشارة أو العلاج النفسي.. ما كان ليفلح أي من هذه بحق معي كما فعلت الحبوب التي أتناولها. تقول ليزي إنها تعتبر إعادة توازن مزاجك كيميائياً فكرة مخيفة، وتقول إن السبب في فكرة تناول شيء يمكن أن يغير ماهيتها بحق. لكني لا أراها بتلك الطريقة؛ بالنسبة لي الأمر مثل وضع مساحيق التجميل.. ليس تنكراً لكنها طريقة لجعل نفسي أبدو بالطريقة التي أنا بحق عليه أكثر، أي أقل طبيعية. أفضل ما يمكن أن أصبح عليه.

لقد راني بين بلا «مساحيق تجميل». وانصرف

بعيداً، وغضبت لوقت طويل، لكن في النهاية أدركت أنني لا ألومه. فالعام الذي أكملت فيه سن الخامسة والعشرين كان مريفاً جداً، لو استطعت الانصراف عن نفسي لفعلت.

لكن هذا لا يعطيه عذراً لما فعله الآن.

«افتح الباب!».

توقف صوت لوحة مفاتيح الحاسوب المحمول وسمعت مقعداً ينزاح للوراء، ثم فتح باب المقصورة بحرص.

«ماذا؟» ملأ وجه بين الفراغ وتغيرت تعبيراته إلى الدهشة عندما رأيته. «لوا ماذا تفعلين هنا؟».

«ماذا تعتقد؟».

كانت لديه الكياسة ليبدو خجلاً بعض الشيء. «آه، هذا الأمر».

«أجل، هذا الأمر». اندفعت متجاوزة إياه إلى الغرفة. «تحدثت إلى نيلسون»، قلتها بحدة.

«اسمعي...». وضع يده علي لطيب خاطري، لكنني لم أكن في حالة يمكن تلطيفها.

«لا تقل لي اسمعي، كيف أمكنك فعل هذا يا بين؟ ما المدة التي استغرقتها كي تفشي السر - السرقة والعقاقير وحقيقة أنني كدت أن أفقد وظيفتي - هل أخبرته عن كل هذا؟ هل أخبرته عن الأيام التي لم أستطع فيها ارتداء ملابسني ولم أستطع ترك المنزل؟».

«لا! بالطبع لا. يا إلهي، كيف أمكنك التفكير هكذا؟».

«الحبوب فحسب إذن؟ وحقيقة أنني كنت محطمة شذر مذر لتعطيه فكرة إنه بالتأكيد لا يمكن الوثوق بي؟».

«لا! لم يكن هذا هو الحال!» مشى صوب باب الشرفة ثم عاد ليواجهني، وهو يمرر يديه عبر شعره حتى وقف. «أنا فقط.. سحفاً، صدر مني كل الكلام، لا أعرف كيف، إنه بارع في وظيفته».

«أنت صحفي! ماذا جرى بحق الجحيم لعبارة «لا تعليق»؟».

تأوه قائلاً، «لا تعليق».

قلت، «ليست لديك فكرة عما فعلته». اعتصرت يدي لتشكلا قبضتين، وانغrust أظافري براحتي يدي وأجبرت نفسي على بسطهما، ثم فركت يدي المتألمتين في بنطالي الجينز.

«ماذا تعني؟ اسمعي، مهلاً، أنا بحاجة إلى قهوة، أتريدين كوباً؟».

أردت إخباره بأن يغرب عن وجهي، لكن الحقيقة أنني أردت قهوة، فأومأت برأسي بفضاظة.

«بيضاء بلا سكر، أليس كذلك؟».

«أجل».

«تغيرت بعض الأشياء»، قالها وهو يملأ قهوة الإسبريسو بمياه معدنية ووضع فيها عبوة مغلفة، فرمقته بنظرة نارية.

«تغيرت كثير من الأشياء بحق الجحيم، وأنت تعرف هذا. كيف سمحت لنفسك بأن تخبره عن كافة تلك الأشياء؟».

«أنا.. أنا لا أعرف». دس يديه في شعره النافر مجدداً، وهو يمسك بمنابت شعره وكأن في استطاعته أن يختلق عذراً من بين يديها إن شده بالقوة الكافية. «لقد ركض نحوي وأنا في طريقي من الفطور وأوقفني عند الردهة وبدأ يقول إنه قلق عليك - أشياء لها علاقة بضوضاء في الليل -

وكنت ثملاً، لم أستطع حقاً أن أستشف ما يتحدث عنه. اعتقدت إنه يتحدث عن اقتحام شقتك في البداية، ثم بدأ يتحدث عن إنك في حالة مزرية.. يا إلهي، أسف يا لو، ليس الأمر كما قد يبدو بأني ذهبت إليه وقرعت بابه على أمل أن نتسامر سوياً، ما الذي يسعى إليه؟».

«لا يهم». أخذت القهوة التي مد يده بها، والتي لم أستطع شربها لسخونتها الشديدة، فوضعتها في حجري.

«بل يهم، إنه شيء يعكر صفو مزاجك، هل حدث شيء ليلة أمس؟».

رغب 95 في المائة مني أن يخبر بين هوارد بأن يغرب عن وجهي، وإنه خان حق ثقتي بالتطرق إلى حياتي الخاصة ومصادقيتي كشاهدة في عيني ويلسون، لكن لحسن الحظ بدت نسبة 5 في المائة الباقية قوية بما فيه الكفاية.

«أنا..». ابتلعت ريقى على عكس رغبة بلعومي المتوجع، وبرغبة مني في أن أخبر شخصاً ما عما حدث. ربما إن أخبرت بين يمكنه اقتراح شيء لم أفكر فيه؟ إذ كان يعمل مراسلاً صحفياً في نهاية المطاف، وأيضاً هو مراسل مرموق بحق، مع إنه من المؤلم الاعتراف بهذا.

التقطت نفساً عميقاً، ثم راجعت القصة التي سردتها لنيلسون الليلة السابقة وأنا أترثر تلك المرة، على أمل أن أجعل قصتي مقنعة.

أخيراً قلت، «كل ما في الأمر، إنها كانت موجودة يا بين، يجب أن تصدقني!».

قال بين، «أوه، أوه، بالطبع أصدقك».

«أوتفعل؟» انتابني الدهشة حتى إني وضعت

كوب قهوتي سمعت صوت قعرها على سطح الطاولة الزجاجية. «حقاً؟».

«بالطبع أصدقك، لم أعهدك أبداً تتخيلين أشياء».

«لكن نيلسون لا يصدقني».

قال بين، «يمكنني فهم لماذا لا يريد أن يصدقك نيلسون. أعني كلنا نعرف أن وقوع جريمة على سفن سياحية يلوث سمعتها».

أومات براسي، عرفت كما يعرف هو - وكما يعرف أي صحفي مسافر - عن الشائعات المحيطة بالسفن السياحية. لا يعني هذا أن الملاك أعتى إجراماً من أي مجال آخر في مجالات السياحة، لكن فقط يوجد منطقة رمادية متأصلة تتعلق بالجرائم المرتكبة في البحر.

لم تكن «أرورا» مثل بعض السفن التي كتبت عنها، والأقرب إلى المدن العائمة من كونها سفناً، لكنها تحظى بنفس الحالة القانونية المتناقضة في المياه الدولية. حتى في الحالات التي تقع فيها حالات الاختفاء المسجلة جيداً، تكس الشواذب أسفل بساط الكذب. فدون سلطة قضائية واضحة للشرطة لتأخذ بزمام الأمور، كثيراً ما يترك التحقيق للعاملين بالأمن على متن السفينة، والمعينين من الشركة المالكة للسفينة ولا يسعهم إزعاجهم بإحداث بلبلة، حتى وإن أرادوا ذلك.

فركت ذراعي جراء البرد المفاجئ الذي شعرت به على الرغم من الدفء المستشري في أنحاء المقصورة، ذهبت إلى بين بغية توبيخه وأشعر بحال أفضل. لكن آخر ما توقعته أن يلطف هو من قلقي.

«أكثر ما يقلقني..». قلتها ببطء، ثم توقفت.

شجعني بين قائلاً، «ماذا؟».

«إنها... أعارتني مجمل رموش، وهكذا التقيتها.. لم أعرف أن المقصورة خاوية، وقرعت على الباب لأسألها إذا كان في استطاعتي استعارة مجمل رموشها».

«صحيح..». ارتشف بين جرعة أخرى من القهوة، وبدأت الحيرة أعلى وجهه البادي من الكوب، فمن الواضح إنه لم يفهم إلى أين سيؤدي هذا. «وماذا؟».

«و... اختفى».

«ماذا.. مجمل الرموش؟ ماذا تعنين بأنه اختفى؟».

«اختفى، سرق من المقصورة عندما كنت مع نيلسون. يمكنني التفاوضي عن أي شيء آخر تقريبًا.. لكن إذا لم يحدث أي شيء، فلماذا يسرق مجمل الرموش؟ لقد كان الشيء المادي الوحيد الذي يمكنني من خلاله إثبات وجود شخص ما في المقصورة، وها قد اختفى الآن».

نهض بين وذهب إلى الشرفة، وهو يسدل الستائر المصنوعة من الشاش، مع إنها بدت حركة غريبة غير ضرورية. لدي هذا الانطباع الغريب سريع الزوال إنه لا يرغب في مواجهتي وإنه يفكر فيما سيقوله.

ثم التفت وعاد الجلوس على طرف الفراش، وصارت تعبيراته صارمة كجلسة عمل.

«من أيضًا يعرف عن هذا؟».

«عن مجمل الرموش؟» كان سؤالاً جيداً، سؤال أدركته بشيء من الغم لأنني لم أفكر في طرحه على نفسي.

«أه... اعتقد... لا أحد بخلاف نيلسون».

لم تكن فكرة مطمئنة، نظرنا لبعضنا طويلاً، فعكست عينا بين الأسئلة المزعجة التي صارت

تتمخض بداخلي فجأة.

أخيراً قلت، «لكنه كان معي، عندما سرق».

«طوال الوقت؟».

«حسناً... إلى حد ما... لا مهلاً، هناك فجوة، تناولت الفطور وتحدثت إلى تينا».

«إذن ربما كان في متناوله سرقاته».

«أجل»، قلتها ببطء. «أمكنه فعل هذا». هل كان هو من دخل مقصورتى؟ أهكذا عرف عن عقايرى ونصيحة عدم مزجها بالمشروبات الكحولية؟

أخيراً قال بين، «اسمعي، أعتقد إنه ينبغي عليك الذهاب ومقابلة ريتشارد بولمر».

«اللورد بولمر؟».

«أجل. كما قلت، لعبت معه البوكر ليلة أمس وبدأ لي رجلاً محترماً. ولا جدوى من العبث مع نيلسون.. فلدى بولمر تنتهي كل خيوط اللعبة. اعتاد والدي أن يقول، إن كانت لديك شكوى فإذهب مباشرة إلى القيادة».

«هذه ليست مجرد مشكلة خدمة عملاء يا بين».

«بغض النظر، لكن نيلسون هذا.. لن يبدو الأمر جيداً بالنسبة له، أليس كذلك؟ وإن كان هناك أي شخص على هذه السفينة يمكنه مساءلة نيلسون فهو بولمر».

«لكن هل سيفعل؟ أعني هل يحمله المسؤولية؟ إن لديه نفس الدافع بقدر نيلسون للتكتم على هذا الموضوع، بل أقوى منه في الواقع. وكما تقول، يحتمل أن يسفر هذا الموضوع عن مساوئ شديدة له يا بين. فلو نشر عن هذا سيهتز مستقبل «أرورا» كثيراً، فمن يرغب بحق الجحيم في دفع عشرات الآلاف من الجنيهات الإسترلينية لقضاء رحلة فارهة

على سفينة قتلت عليها فتاة؟».

«أراهن إن هناك سوقاً مخصصة لمثل هذه الرحلات»، قالها بين بابتسامة ملتوية بعض الشيء. فهززت كتفي.

قال بإصرار، «اسمعي، لا ضير من الذهاب والتحدث إليه، على الأقل نعرف أين كان طوال ليلة أمس، وهذا أكثر مما يمكننا قوله في حق نيلسون». «أوافق أنت ألا أحد من الأشخاص الذين كنت معهم غادر المقصورة؟».

«متأكد قطعاً، كنا في جناح كلوي ولارس جينسين.. ولا يوجد سوى باب واحد جلست في مواجهته طوال الليل. نهض الناس وذهبوا للمرحاض وما إلى ذلك، لكنهم استخدموا الحمام في جناح المقصورة. جلس كلوي وقرأ قليلاً ثم ذهب إلى الغرفة المجاورة.. ولا مخرج لتلك الغرفة إلا من خلال الغرفة الرئيسية للجناح. ولم يغادر أي أحد حتى الرابعة فجراً على الأقل، يمكنك استبعاد أربعة رجال بالإضافة إلى كلوي».

قطبت جبيني وعددت الركاب على أصابعي. «إذن هذا يشمل... أنت وبولمر وأرشر ولارس وكلوي. ما يترك أمامنا كول وتينا وأليكسندر وأوين وايت والسيدة بولمر، إلى جانب طاقم العمل».

«السيدة بولمر؟» رفع بين حاجبيه. «أعتقد أن هذه مبالغة في البحث».

«ماذا؟» قلتها بطريقة دفاعية. «ربما ليست مريضة كما تبدو».

«أجل، هذا صحيح، إنها تخلق أربعة سنوات من السرطان المتكرر والعلاج الكيميائي والعلاج الإشعاعي المرهق فقط لتوفر حجة غياب لجريمة

قتل فتاة غريبة».

«لا حاجة للتهكم، كنت أوضح وجهة نظري فحسب».

قال بين، «أعتقد أن الركاب ما هم إلا تشتيت عن الفاعل الأصلي أيضًا، فلا يمكنك الإفلات من حقيقة أنك ونيلسون من عرفتما بشأن مجمل الرموش هذا وفقط، لو لم يأخذه فحتما إنه أخبر الشخص الذي أخذه».

قلت، «حسنًا..». ثم توقفت، انتابني شعور غير مريح، لا يختلف عن الشعور بالذنب، والذي بدأ ينفغزني في عنقي من الخلف.

«ماذا؟».

«أنا.. كنت أحاول التفكير، عندما رافقني نيلسون في جولة مع طاقم العمل، لا أستطيع التذكر تمامًا... ربما ذكرته».

قال بين وهو يحدق إلي، «يا إلهي ماذا دهاك يا لو، هل ذكرته أم لم تذكره؟ فهذا مهم إلى حد ما».

«أعرف هذا»، قلتها بغيظ، فتمايل القارب صعوداً وهبوطاً على إثر موجة، واجتاحني شعور الغثيان مجدداً، تحركت الفطائر المحلاة شبه المهضومة داخل معدتي باضطراب. وحاولت أن أفكر في المحادثات التي أجريتها بالطوابق السفلية، غير أنني وجدت صعوبة في التذكر. لقد شعرت بصداع الثمالة وتشتت من رهاب الأماكن المغلقة والأضواء الصناعية لتلك المقصورات الضيقة عديمة النوافذ. أغمضت عيني، وأنا أشعر بترنح وتمايل الأريكة أسفل مني، وحاولت التفكير فيما حدث بمقصف العاملين وتلك الوجوه المسرورة والنظيفة التي قابلتها، ماذا قلت بحق الجحيم؟

أخيراً قلت، «لا يمكنني أن أتذكر، لا يمكنني بحق، لكن ربما ذكرت هذا الأمر، لا أعتقد أنني ذكرته، غير أنني لا أستطيع الجزم بذلك».

«سحقاً، اتسع الخرق على الراقع إذن».

أومات براسي برزانة.

أخيراً قال بين، «اسمعي، ربما رأى أحد الركاب الآخرين شيئاً، شخصاً ما دخل وخرج من المقصورة الخاوية، أو أياً كان من دخل مقصورتك وسرق مجمل الرموش، من المقيم في المقصورات الأمامية؟».

«واها..». عددتهم على أصابعي. «حسناً، أنا في المقصورة التاسعة وأنت في الثامنة وأليكسندر في... أعتقد في السادسة ربما؟».

قال بين وهو يتفكر، «وتينا في الخامسة، رأيتها تدخل إليها ليلة أمس، ما يعني أن أُرشر في السابعة حتماً. حسناً، أتريدان الذهاب ومقابلتهما على الأبواب؟».

قلت، «حسناً»، ولسبب ما.. ربما تزايد الغضب أو الشعور بأن هناك من يصدقني أو ربما مجرد تأثير وجود خطة ما.. شعرت بحال أفضل بالفعل. لكنني لاحظت الساعة على الحاسوب المحمول لبين. «هراء، لا يمكنني، ليس الآن، لدي هذا اللقاء بالمستحم المعدني البغيض في وقت النسوة».

سأل بين، «متى سينتهي؟».

«لا أعرف، لكن لا أعتقد إنه سيتجاوز وقت الغداء حتماً. ماذا يفترض أن يفعل الرجال في هذا التوقيت؟».

نهض بين وقلب في الكتيب السياحي على المكتب. «جولة في غرفة القيادة. هذا لطيف

ومتحيز جنسيًا.. يعاين الرجال الأجهزة التقنية فيما تحظى النساء بالاستشفاء العطري. أهًا، مهلاً، ثمة مستحم معدني للرجال صباح غد». التقط مفكرة وقلقًا من على منضدة الزينة. «أنا بحاجة للذهاب أيضًا، لكن لنرى ما يمكننا الكشف عنه هذا الصباح، ثم نلتقي بعدها هنا مجدداً بعد الغداء ونلتقي ببقية الركاب من على الباب. بعد هذا يمكننا نقل الصورة بأكملها لبولمر، ربما في استطاعته جعل السفينة ترفاً بأحد الموانئ ويطلب صعود الشرطة المحلية على متن السفينة».

أومات براسي، فنيلسون لم يأخذ الأمر على محمل الجد، لكن إذا كان في استطاعتنا العثور على شيء تغدو به قصتي متسقة.. حتى ولو شخص آخر سمع بطيط الماء.. سيصعب أكثر على بولمر تجاهل الأمر. «أواصل التفكير فيها»، قلتها بلا تفكير ونحن في طريقنا إلى الباب.

توقف بين ووضع يديه على المزلاج. «ماذا تقصدين؟».

«في الفتاة -الفتاة في مقصورة بالمجرين، ما الذي شعرت به عندما استهدفها- وفيما إذا كانت على قيد الحياة عندما ألقى بها، ظلت أفكر فيما بدت عليه تلك الواقعة، صدمة الماء البارد، ومنظر السفينة وهي تبتعد..».

هل صرخت مع إطباق الأمواج عليها؟ هل حاولت النداء عندما غمرت المياه المالحة رنتيها، وصدرها يعاني مع اشتداد قرصة البرد وتسرب الأكسجين من دمها، وهي تفرق أعرق فأعرق...

وجسدها وهو ينحرف عبر الظلام البارد والصامت لذلك المحيط العميق، ببياضها الناصع تلتقم الأسماك عينيها، وشعرها يطفو في التيار مثل

خيوط دخان داكنة.. ظللت أفكر في كل هذا أيضًا مع أنني لم أقله.

قال بين، «لا تفعلي، لا تجعلني خيالك ينقلب عليك يا لو».

قلت وأنا أفتح الباب، «أعرف كيف يبدو الأمر، ألا تفهم؟ أعرف ما شعرت به، عندما هجم عليها أحدهم في زلفة من الليل، لهذا يجب أن أعرف من فعل هذا بها».

ولأنني إن لم أعرف، ربما أستهدف أنا الأخرى بعد ذلك.

16

كانت كلوي وتينا تنتظران عندما وصلت، وبينما انحنيت تينا على الطاولة، تقرأ شيئاً ما على الحاسوب المحمول الذي تركته إيفا مفتوحاً من خلف مكتب الاستقبال، اتكأت كلوي على مقعد منجد بجلد من طراز عتيق وهي تلعب بجوالها. أدهشني رؤية إنها بدت مختلفة تماماً بدون مساحيق تجميل، فبطريقة ما اختفى مجمل الرموش المتدرج وعظام الخد البارزة من ليلة أمس. رصدتني وأنا أنظر إليها في المرأة وابتسمت حتى بدت نواجذها.

«هل تتساءلين عن مستحضرات التجميل؟ على ما يبدو إن مستحضرات تجميل الوجه نفدت مني، كما أخبرتك، أنا فنانة في استخدام مستحضرات التجميل».

«آه، لم أفعل». سكت تدريجياً، وشعرت بحمرة الخجل.

قالت كلوي، «التجميل بتحديد هيكل الوجه». واستدارت بالمقعد لتواجهني ثم غمزت. «بأمانة، سوف يغير حياتك، يمكنني أن أحولك إلى أي أحد بداية من كيم كاردشيان إلى نتالي بورتمان باستخدام ما لدي في مقصورتي».

كنت على وشك الرد مازحة عندما لاحظت حركة بطرف عيني، وصدمت حينما رأيت أن إحدى المرايا بائلة الطول خلف مكتب الاستقبال تتحرك، وتتأرجح للداخل. باب آخر؟ جدياً، كم عدد المداخل الخفية في هذه السفينة؟

رفعت تينا رأسها سريعاً عن الحاسوب المحمول عندما عبرت تينا من الثغرة وهي تبتسم بأدب.

سألته، «هل يمكنني مساعدتك يا سيدة ويست، إننا نحتفظ بقوائم عملائنا ومعلومات سرية على هذا الحاسوب، لذلك أخشى أن أخبرك إننا لا نسمح للضيوف باستخدامه، لو أردت استخدام حاسوب فستسعد كاميليا ليتمان بترتيب إرسال حاسوب إلى مقصورتك».

استقامت تينا بطريقة غريبة وأعادت الحاسوب المحمول ليواجه مكتب الاستقبال مجدداً. «أسفة يا عزيزتي». كانت تتمتع باللباقة الكافية التي تجعلها تستحي قليلاً. «أنا، أه... كنت أبحث فقط عن قائمة الاستشفاء».

بما إنه يوجد قائمة كاملة منها في الملف الصحفي فهذا العذر واهن بعض الشيء.

قالت إيفا، «يسعدني أن أقدم لك مطبوعات». لم يبد في صوتها أي برود، لكنها نظرت إلى تينا بتقدير. «لدينا الأنواع المعتادة من التدليك والاستشفاء، العناية بالوجه وبالقدمين وما إلى ذلك. أما العناية بالأظافر والعناية بالشعر ففي هذه الغرفة». أشارت إلى المقعد الذي قبعته عليه كلوي.

كنت أتساءل فحسب أين تجرى أنواع الاستشفاء الأخرى، لأنه لم يوجد إلا مقعد واحد فحسب في المستحم المعدني ولا أثر لغرفة أخرى على سطح السفينة العلوي حسب معرفتي -احتل الحوض الساخن والحمام البخاري معظم المساحة المتبقية - ثم تأرجح باب الطابق وفتح دخلت أن بولمر، ما أدهشني بعض الشيء. بدت أفضل حالاً قليلاً عن ليلة أمس، ببشرة أقل تورماً، ووجه مسترخ أكثر بطريقة ما، لكن أحاطت عينيها الداكنتين هالات عميقة وكأنها لم تنم.

قالت بأنفاس متقطعة ومحاولة لأن تبتسم.

«يتطلب الأمر وقتاً طويلاً للصعود على السلالم حالياً».

«إليك!» نهضت كلوي سريفاً وحاولت أن تفسح الطريق لها حتى وصولاً إلى جانب غير شاغر من الغرفة. «تفضلي مقعدي».

قالت أن، «لا داعي لذلك». حاولت كلوي الإصرار لكن إيفا قاطعت هذا العرض الرقيق بابتسامة.

«سوف نتجه إلى غرف الاستشفاء الآن على أي حال يا سيدات. سيدة بولمر، هل تودين الجلوس هنا؟ سيدة ويست، سيدة بلاكلوك وسيدة جينسين، هلا نزلنا للأسفل؟».

للأسفل؟ وقبل حتى أن أتساءل عما تعنيه، فتحت الباب ذا المرأة خلف المكتب - وبلمسة على الإطار جعلته يتأرجح للداخل - وبدأنا النزول على مجموعة من السلالم الضيقة والداكنة، واحدة تلو الأخرى.

كان التباين شديد التنافر، بعد الأضواء والأجواء في غرفة الاستقبال، ووجدتني أرمش، حاولت عيناى أن تعتاد على الإضاءة المنخفضة. إذ وضعت شموع كهربائية صغيرة على حوامل في الفواصل على طول السلم، لكن الوهج الأصفر المتذبذب الذي أشعلوه زاد فحسب من الظلام حوله، ومع تمايل القارب على إثر موجة كبيرة، شعرت بدوار لحظي شديد. ربما السبب في اختفاء درجات السلم في الظلام أسفل منا، أو ربما هو إدراك أن أقل لمسة من كلوي - التي تسير خلف منى مباشرة - ستطرحني على تينا وإيفا من أمامي، لو كسرت عنقي لن أجد أي طريقة أعرف بها أنني لم أتعثر ببساطة في الظلام.

وأخيراً، بعد أن بدا النزول بلا نهاية، توقفنا عند

ردهة صغيرة. سمعت خرير الماء من نافورة صغيرة على كوة في الجدار، ذلك النوع الذي يترقرق إلى ما لا نهاية مياه معاد تدويرها على كرية حجرية. يفترض أن الضوضاء الناجمة عنها مصدر تهدئة، وربما كانت لتحظى بهذا التأثير على اليابسة، لكن اختلف تأثيرها على السفينة بطريقة ما. فبدأت أفكر في التسريبات ومخارج الطوارئ، هل نحن أسفل سطح الماء هنا؟ إذ لا توجد نوافذ على الإطلاق.

بدأ صدري يضيق واعتصرت قبضتي، قلت في نفسي، لا تجزعي، لا تصيبك نوبة هلع هنا لوجه الرب.

واحد، اثنان، ثلاثة...

أدركت أن إيفا تتحدث، وحاولت التركيز على كلماتها، وليس على السقف المنخفض والمساحة عديمة الهواء، ربما عندما ندخل إلى غرف الاستشفاء ويقل الزحام نصبح أفضل حالاً.

كانت إيفا تقول، «... ثلاثة غرف استشفائية بالأسفل هنا، إلى جانب المقاعد بالطابق العلوي، لذلك تصرفت بحرية لاختيار الطرق الاستشفائية التي يمكننا إجراؤها بالتزامن».

رجاء، رجاء، رجاء اجعليني في الطابق العلوي، غرزت أظفري في راحتي يدي.

قالت إيفا وهي تراجع قائمتها، «سيدة ويست اخترت لك الاستشفاء العطري هنا بالأسفل في الغرفة الأولى مع هاني، سيدة جينسين ستحظين بعناية الوجه في الغرفة الثانية مع كلاوس، أمل ألا تمنعي أن المعالج رجل؟ سيدة بلاكلوك حجزت لك حمام الطين في الغرفة رقم ثلاثة مع يولا».

شعرت بتسارع أنفاسي.

قالت كلوي وهي تنظر حولها، «ماذا عن السيدة بولمر؟ أين هي؟».

«سوف تحظى بالعناية بالأظافر بالطابق العلوي». تحدثت على استحياء، «وا... لا أفترض... هل يمكنني أن أحظى بعناية الأظافر بالطابق العلوي أيضًا؟».

«أسفة»، قالتها إيفا دون أن تبدو أسفة. «لكن يوجد مقعد واحد فقط بالطابق العلوي، سيسعدني أن أحجز لك جلسة عناية بالأظافر عصر هذا اليوم بعد حمام الطين. أم يوجد استشفاء آخر تفضلينه؟ يمكننا تقديم (الريكي) للاستشفاء بالطاقة أو التدليك السويدي أو التدليك التايلاندي أو علم المنعكسات... ولدينا أيضًا خزانة الطفو.. إن لم تجربني إحداها من قبل، فهي ملطفة إلى حد مذهل».

«لا!» قلتها لا إرادياً، قلبت تينا وكلوي أيديهما، وأدركت فجأة لأي درجة علا صوتي، فخفضت من حدته عن عمد. «لا، لا شكراً لك، الطفو ليس.. ليس من اهتماماتي بحق».

مجرد فكرة التمدد هنا في كفن بلاستيكي محكم الإغلاق وملء بالماء...

«لا مشكلة»، قالتها إيفا مبتسمة. «حسناً، لو كنتن جميعكن مستعدات للبدء؟ إن غرف الاستشفاء في نهاية الردهة، ولكل واحدة منها حمام ملحق بها. وستجدون هنالك البرانس والمناشف».

أومات براسي وأنا أسمع تعليماتها بصعوبة، وبينما عادت هي للصعود إلى الأعلى تبعت كلوي وتينا إلى آخر الردهة، على أمل ألا يكون خوفي المتزايد قد بدا على وجهي، بإمكانني فعل هذا. لا يمكنني أن أجعل حالات الرهاب التي تنتابني تحول دون

أدائي لوظيفتي على أكمل وجه. مرحباً يا روان، لا لم أجرب المستحم المعدني لأنه كان أسفل سطح السفينة بطابقين وليست به نوافذ، أسفة. لا، محال أن أفعل هذا، من الأفضل لو خرجنا من هذه الردهة الضيقة ودخلنا غرف الاستشفاء الخاصة بنا.

كنت أمل أن يمنح لي وقت المستحم المعدني فرصة للحديث مع تينا وأن وكلوي، وأن أستنطقهن بشأن تحركاتهن ليلة أمس، لكن بما أن كلوي اختفت في غرفة الاستشفاء الخاصة بها، أغلق الباب من خلفها، وأدركت إن هذه لن تكون الحالة.

وعلى الجانب الآخر من الردهة، توقفت تينا عند عتبة الباب التي كتب عليها «غرفة الاستشفاء رقم 1» فانتظرت حتى تدخل بحيث أتمكن من التحرك لآخر الرواق، لكنها استدارت لتواجهني ويدها على مقبض الباب.

قالت ببعض الحرج، «عزيزتي، ربما، وا... ربما تصرفت ببعض الفظاظه عندما تحدثنا آخر مرة». وللحظة لم أستطع التفكير فيما تتحدث عنه، ثم عاودتني أحداث هذا اللقاء.. مقابلتنا على سطح السفينة وهي تستشيط غضباً على إثر أسئلتني. لماذا تصرفت بتلك الحساسية حيال تحركاتها ليلة أمس؟ «ماذا أقول... صداع الثمالة... افتقاري إلى السجائر. لكن ليس هذا بعذر لأنفجر فيك». إن طريقتها وسلوكها بأكمله نم عن امرأة اعتادت على طلب الاعتذار لكن لا تعتذر.

قلت بحزم. «لا بأس، أفهم هذا تمامًا، لست من المعتادين على الحديث نهائياً أيضاً. أنا، بأمانة اعتبره أمراً منسياً». لكنني شعرت بوجهي ينضح بتلك الكذبة.

مدت تينا يدها واعتصرت ذراعي، بما يفترض أنه

يعني أنها علامة وداع ودية، لكن خواتمها الباردة قرصت بشرتي، ومع تأرجح الباب انغلاقاً من خلفها، سمحت للارتجاف الذي كبحته بتملكي.

ثم أخذت نفساً عميقاً وطرقت باب غرفة الاستشفاء رقم ثلاثة.

«أدخلي يا سيدة بلاكلوك!» هكذا قال صوت من الداخل، فتأرجح الباب وانفتح بينما وقفت يولا هناك مبتسمة وهي ترتدي زياً رسمياً أبيضاً للمستحم المعدني. دلفت إلى الغرفة الصغيرة وجلت فيها بنظري، غرفة صغيرة لكنها ليست بنفس ضيق الردهة وليس فيها سوى يولا وأنا فشعرت بقدر أقل من الزحام، وأحسست بانفراج ضيق صدري قليلاً.

أضيئت الغرفة بنفس الشموع الكهربائية مثل درجات السلم، وفي المنتصف انتصب سرير مرفوع، مغطى بطبقة بلاستيكية صافية، وطبقت ملاءة بيضاء عند موضع القدم.

قالت يولا، «مرحباً في المستحم المعدني يا سيدة بلاكلوك، اليوم سوف تجربين حمام الطين، هل تجربته من قبل؟».

هززت رأسي نافية دون أن أنبس ببنت شفة. «إنه ممتع وجيد جداً لإزالة السموم من البشرة، الخطوة الأولى، أن تخلعي ملابسك رجاء وتتمدي على السرير ثم تتغطي بالملاءة».

«هل أترك لباسي التحتاني؟» قلتها في محاولة لأن أبدو وكأنني أذهب للمستحمامات المعدنية كل يوم.

قالت يولا بحزم، «لا، سيلطخها الطين». ربما عبر وجهي عن مشاعري، لأنها انحنت والتقطت ما بدا مثل منشفة يد مجمعة من خزينة.

«إن كنت تفضلين فنحن نقدم سراويل

يمكن التخلص منها، والتي يستخدمها بعض ضيوفنا والبعض الآخر لا يستخدمها، وبهذه الطريقة تشعرين بالراحة تمامًا. والآن سأترك لتخلي ملابسك، والمنضح ها هنا إن رغبت في الاستحمام».

أشارت إلى الباب على يسار السرير ثم تراجعت خروجًا من الغرفة مع ابتسامة وهي تغلق الباب بلطف وبدأت في خلع ملابسها قطعة تلو الأخرى فازداد شعوري بالانزعاج. كومت ملابسني على المقعد إلى جانب حذائي، ثم عندما صرت عارية تمامًا ارتديت الملابس التحتانية الرقيقة وصعدت على السرير، تلاصقت بشرتي العارية بطبقة البلاستيك فانزعجت، وسحبت الملاء البيضاء للأعلى نحو ذقني.

وبمجرد أن فعلت هذا تقريبًا - بسرعة كافية وسوست لي نفسي بسؤال ما إذا كانت هناك كاميرا من نوع ما في الغرفة - سمعت طرقة لطيفة على الباب وسمعت صوت يولا.

«هل يمكنني الدخول سيدي بلاكولوك؟».

«أجل»، قلتها بصوت أجش، فدخلت وهي تحمل وعاء لما بدا، وعلى ما يفترض أنه، طين دافئ.

قالت يولا بلطف، «لو تحبين التمدد على بطنك»، فتقلبت في مكاني. وأدهشني صعوبة الأمر، مع الطبقة اللاصقة المتشبثة بجلدي، وشعرت بانزلاق الملاءة، لكن يولا أعادتها ببراعة لمكانها. لمست شيئًا على جانب الباب فامتلات الغرفة بأصوات حيتان رقيقة وتلاطم الأمواج. هنا تخيلت مجدداً تلك الصورة المزعجة لثقل الماء على الجانب الآخر مباشرة لهذا الهيكل المعدني الرفيع...

«هل يمكنك...؟» قلتها بحرج وأنا أتحدث مولية

وجهي للسريـر. «هل يوجد مقطع صوتي آخر؟». قالت يولا، «بالطبع». فضغطت على شيء وتغيرت الموسيقى إلى أجراس التبت وأجراس الرياح. «هذا أفضل؟».

أومات برأسي فقالت، «الآن، لو كنت جاهزة...؟». أدهشني أن الاستشفاء ملطف، ما إن أجبرت نفسي على الاسترخاء قليلاً، حتى إنني اعتدت على تدليك جسدي المتعري معظمه بالطين من إنسانة غريبة عني. وفي خضم هذه الأفكار أدركت باندفاع أن يولا تتحدث إلي.

رددت بصوت ناعس، «أسفة، ماذا قلت؟». تمتت، «لو كان في استطاعتك الانقلاب»، فانقلبت على ظهري، وانزلق الطين وانسال على طبقة البلاستيك. ثنت يولا الملاءة فوق الجزء العلوي من جسدي مرة أخرى، وبدأت في تدليك ساقي من الأمام.

وتعاملت بمنهجية وصولاً إلى الجزء العلوي من جسدي، وفي النهاية لظخت بالطين جبيني وحدودي وأغمضت عيني قبل أن تتحدث مجدداً بصوتها المنخفض اللطيف.

«سوف أغلفك الآن يا سيدة بلاكوك، لأسمح للطين أن يعطي مفعوله، وسأعود بعد قرابة نصف ساعة لمساعدتك على نزع الغلاف والاستحمام. إن احتجت أي شيء يوجد زر للاتصال على يمينك». أرشدت يدي نحو مجموعة أزرار على جانب السرير. «هل كل شيء على ما يرام؟».

قلت بخمول، «على ما يرام». كان دفء الغرفة وموسيقى الرنين الهادئة يبعثان على النعاس. ووجدت إنه من الصعب تذكر كل شيء حدث الليلة

السابقة، صعب علي الاهتمام، أردت النوم فحسب... شعرت بالتصاق الطبقة البلاستيكية حولي، ثم شيء ثقيل ودافئ أعلى منها.. منشفة على ما أعتقد. ومن وراء جفوني المغمضة كنت مدركة بأن أضواء الغرفة خفتت.

قالت، «سأكون بالخارج فحسب»، وسمعت تكة الباب الخافتة. توقفت عن مقاومة التعب وجعلت الدفء والظلام يطبقان على رأسي.

حلمت بالفتاة تنجرف لأميال أسفل منا في عمق بحر الشمال البارد عديم الشمس، حلمت بعينيها الضاحكتين بلون أبيض ومنتفختان بالماء المالح وبجلدها الناعم مجعد ومنسلخ، وبقميصها ممزق من الصخور الناتئة وممزق إلى أشلاء.

بقي فقط شعرها الأسود الطويل يطفو عبر الماء مثل إشنيات طحالب البحر المشتبكة بالأصداف وشبكات الصيد، يهيم على الشاطئ في لفائف مثل أحبال مفتولة، حيث قبع، رخوة، ورجوف الموج على الخصى يملأ أذني.

استيقظت منزعة وبثاقل من الرهبة، واستغرقت برهة من الوقت لأتذكر أين كنت، ووقت أطول لأدرك أن الرجوف الذي سمعته ليس جزء من الحلم، بل حقيقياً.

نهضت عن السرير وأنا أرتجف قليلاً وأتساءل لكم من الوقت ظللت راقدة هنا. لقد بردت المنشفة الدافئة وجف وتشقق الطين على بشرتي. وبدأت الضوضاء وكأنها صادرة من الحمام الملحق بالغرفة.

شعرت بخفقان قلبي في صدري وأنا أقترب من الباب المغلق، لكنني استجمعت شجاعتي وأدركت مقبض باب الحمام لأفتحه سريعاً، فغشتني موجة من البخار الدافئ. سعلت وأنا أشق طريقي عبر

الحمام المليء بالضباب لأقفل المنضح، فصرت شبه مبتلة على إثر ذلك. هل جاءت يولا وفتحته؟ لكن لماذا لم توقظني؟

وبينما توقف المنضح تدريجياً، تحسست طريقي نحو الباب، وشعري المبلل يلتصق بوجهي، ومددت يدي أتحسس زر الضوء.

ضغطت على الزر وغمر الضوء الحمام.. وعندئذ رأيت ما رأيت.

كتب على المرأة المليئة بالبخار المكثف، بأحرف بطول 15 سنتيمتراً تقريباً، كلمات، «كفي عن التقصي».

أخبار (بي بي سي)، الاثنين 28 سبتمبر

بريتون لورا بلاكلوك المفقودة:

صيادون دنماركيون يعثرون على جثة

انتشل صيادون دنماركيون في بحر الشمال بالقرب من ساحل النرويج جثة امرأة.

استدعيت جهات التحقيق من دائرة شرطة العاصمة بسكوتلاند يارد للبحث في أمر الجثة المكتشفة التي انتشلت في ساعات باكراً لصباح يوم الاثنين من صيادين دنماركيين، وترجح التوقعات أن المتوفاة ربما تكون الصحفية البريطانية المفقودة لورا بلاكلوك (32 عام)، والتي اختفت الأسبوع الماضي أثناء قضاء إجازة في النرويج. وقد أكدت المتحدثة باسم سكوتلاند يارد على استدعائهم للمساعدة في التحقيقات لكنه رفض التعليق على احتمالية ارتباط هذا باختفاء السيدة بلاكلوك.

وفي نفس السياق أفادت الشرطة النرويجية أن الجثة لامرأة قوقازية شابة، وجاري العمل على التأكد من هوية المرأة.

من جهته رفض جودا ليويس رفيق لورا بلاكلوك التعليق عند التواصل معه هاتفياً بمنزله، باستثناء قوله إنه «محطم لورا ما تزال مختفية».

الجزء الخامس

17

للحظة لم أقو على فعل أي شيء كان، وقفت في مكاني فحسب أحرق إلى الأحرف التي ينسال منها بخار الماء، وقلبي يخفق حتى ظننت أنني سأمرض. سمعت خريراً غريباً في أذني، واستطعت تمييز أصوات تنهد مثل حيوان خائف.. صوتاً مريغاً بين الرعب والألم وعرف جزء منعزل بداخلي أن تلك الأصوات صادرة مني.

ثم بدأت الغرفة وكأنها تتحرك والجدران تتمايل نحوي، وأدركت أنني أصاب بنوبة هلع وسوف يغشى علي ما لم أذهب إلى مكان آمن. ترنحت على السرير بحركة أشبه بالزحف، حيث رقدت عليه وانكفأت على نفسي كجنين في محاولة لأبطئ من أنفاسي. تذكرت مدرب العلاج المعرفي السلوكي الذي اعتاد أن يقول لي: اهدأي، تنفسي بوعي يا لو، واسترخي بالتدريج.. كل عضلة على حدة. استرخي بوعي. اهدأي... واستوعبي. استوعبي... واهدئي...

كرهته حتى حينئذ، فهذا كان يخفف قليلاً نوبة الهلع حينها، ناهيك عن الوقت الراهن حيث يوجد بحق شيء للهلع منه.

اهدئي... واستوعبي... سمعت صوته المتعجرف والمنخفض في رأسي وبطريقة ما تذكرت جيداً الغضب الراسخ بداخلي، ما جعلني قوية بما فيه الكفاية لأبطئ من أنفاسي الضحلة والمزعورة، وأخيراً، لكي أتمكن من النهوض، تخللت بيدي شعري المبلل وبحثت عن هاتف.

قطعا يوجد هاتف على الطاولة جانب عبوة فارغة من طين المستحم المعدني، اهتزت يداي التي يتقشر من عليها الطين المجفف حتى إنني بالكاد استطعت التقاط السماعة، ناهيك عن الضغط

على رقم صفر، لكنني فعلتها، وسمعت صوتاً بلهجة اسكندنافية يقول، «مرحباً، هل يمكنني مساعدتك؟» لم أتحدث، لكنني جلست فحسب، وأصابني متارحة فوق المفاتيح.

ثم وضعت السامعة بصوت تكة.

اختفت الرسالة، استطعت رؤية مرآة الحمام من حيث جلست على السرير، والآن أغلق المنضح ودارت مروحة الشفط، وقد اختفى البخار كله. كل ما استطعت رؤيته هو بعض الماء المنسال حيث بقيت كلمة «تقصي»، وهذا كل ما بقي. لن يصدقني نيلسون أبداً.

عندما استحمت وارتديت ملابس عبرت الردهة مجدداً، ورأيت بابي الغرفتين الآخرين مفتوحين، فنظرت أثناء مروري، لكنهما خاويتان، وبدا إن الأريكتين فيهما نظفتا تماماً استعداداً للعميل التالي. كم استغرقت من الوقت في نومي؟

عندما صعدت على درجات السلم وصولاً إلى مكتب استقبال المستحم المعدني، رأيته خالياً إلا من إيفا، والتي كانت تجلس على المكتب وتنقر على لوحة مفاتيح الحاسوب المحمول، فنظرت للأعلى نحوي عندما صعدت من الباب الخفي وابتسمت.

«أه! سيدة بلاكلوك، هل استمتعت بالاستشفاء؟ نزلت يولا لإزالة الأغلفة منذ بعض الوقت لكنك غطت في النوم. كان في نيتها العودة خلال ربع ساعة، أمل أنك لم ترتبكي عندما استيقظت وحدك».

قلت باقتضاب، «لا بأس، متى غادرت كلوي وتينا؟».

«منذ عشرين دقيقة حسب ما أعتقد».

أومات برأسي نحو الباب خلفي، الذي أغلق مجدداً وصار خفياً مالم تعرف بشأن سر المرأة.

«أهذا هو المدخل الوحيد للمستحم المعدني؟».

قالت ببط، حيث أربكها السؤال بوضوح، «هذا يعتمد على ما تقصدينه بالمدخل. إنه المدخل الوحيد لكنه ليس المخرج الوحيد، فهناك مخرج لطوارئ الحرائق بالطوابق السفلية والذي يؤدي إلى أماكن طاقم العمل، لكنه... ما الكلمة المناسبة، الطريق الوحيد؟ فهو يفتح للخارج فحسب، كما إنه مزود بجهاز إنذار لذلك لا أنصحك باستخدامه وإلا سيتم إخلاء المكان! لماذا تسألين؟».

«بلا سبب».

لقد أخطأت بالثرثرة مع نيلسون هذا الصباح، ولن أكرر ذلك الخطأ مجدداً.

قالت إيفا، «إنهم يقدمون الغداء بصالة جلوس ليندجرين، لكن لا تقلقي، لم يفتك أي شيء.. إنه غداء بصوان مفتوح لذلك فالناس أحرار في المجيء والذهاب. أه، وقد نسيت تقريباً»، قالتها وأنا ألتفت للذهاب، «هل وجدك السيد هوارد؟».

«لا». تجمدت كالجثة في مكاني ويدي على الباب. «لماذا؟».

جاء هنا بحثاً عنك، فشرحت له أنك تخضعين للاستشفاء ولذلك لم يستطع التحدث إليك شخصياً، لكنه ذهب للطابق السفلي لترك رسالة مع يولا، أتحبين أن أعرف ماهيتها؟».

قلت باقتضاب، «لا، سوف أجده بنفسه، هل نزل أي أحد آخر للأسفل؟».

هزت رأسها نافية. «لا، كنت هنا طوال الوقت، سيدة بلاكلوك، أنت واثقة أن كل شيء على ما

يرام؟».

لم أجب، وإنما التفت وغادرت المستحم المعدني وأنا أشعر برطوبة جلدي المرتجف أسفل ملابسي، ورهبة باردة تنتشر على أعماق بعيدة.

خويت صالة جلوس ليندجرين إلا من كول الجالس على طاولة وكاميرته أمامه، وكلوي الواقفة على الجهة المقابلة منه وتحقق خارج النافذة وهي تغرز الشوكة في طبق الخضر المقطعة بذهن شارد، نظرت للأعلى عندما دخلت وأومات برأسها إلى المقعد المقابل لها.

«مرحى! ألم يكن المستحم المعدني مذهلاً؟».

«أعتقد»، قلتها وأنا أسحب مقعداً ثم أدركت كم بدوت غريبة وسمجة، ثم حاولت مجدداً. «أعني، أجل، كانت مذهلة، واستشفائي كان رائعاً جداً. أنا فقط.. لا أشعر بخير في الأماكن المغلقة، فلدي رهاب الأماكن المغلقة نوعاً ما».

تهللت أساريرها، «آه! كنت أتساءل لماذا بدوت متوترة للغاية بالأسفل، اعتقدت إنه صدام الشمال».

«حسناً»، افتعلت الضحك، «ربما هذا أيضاً».

هل يحتمل أن تكون هي، بالأسفل في المستحم المعدني؟ يحتمل هذا تماماً. لكن بين كان واضحاً جداً ليلة أمس.. إنها لم تغادر الغرفة أبداً.

ماذا عن تينا إذن؟ فكرت في قوة أعصابها، وردة فعلها العنيفة على سؤالي حيال ما كانت تفعله ليلة أمس، وقطعاً يمكنني التصديق إن في إمكانها دفع شخص ما من على متن السفينة.

هل يحتمل أن يكون بين؟ لقد نزل إلى المستحم المعدني، وفي نهاية المطاف لم أعرف حجة غيابه إلا منه ليلة أمس.

أردت أن أصرخ، إن هذا يثير جنوني.

«اسمعي»، قلتها لكلوي عرضًا، «كنت تلعبين البوكر ليلة أمس، أليس كذلك؟».

«لم أكن ألعب، لكني كنت هناك أجل، تعرض لارس المسكين لخسارة فادحة، لكن في استطاعته تحملها على أي حال». ضحكت ضحكة قصيرة وإن كانت قاسية، ونظر كول من الأعلى عند الطاولة الأخرى وابتسم ابتسامة عريضة.

«سيبدو هذا سؤالاً غريبًا... لكن هل ترك أي أحد من الآخرين المقصورة؟».

قالت كلوي، «لا أستطيع أن أعرف بأمانة، لقد ذهبت إلى غرفة النوم المجاورة بعد مهلة، إن البوكر من أكثر الألعاب التي تصيبك بالملل عند مشاهدتها، وكان كول هناك بعض الوقت، أليس كذلك يا كول؟».

قال كول، «لقراءة نصف ساعة فحسب، فكما تقول كلوي ليس البوكر باللعبة الممتعة لتشاهدها، أتذكر مغادرة هوارد، فقد ذهب ليأتي بمحفظته». وفجأة شعرت بجفاف في حلقي وهو يردف، «لماذا ترغبين في المعرفة؟».

«لا يهم». حاولت أن أجبر نفسي على الابتسام، وغيّرت الموضوع قبل أن يلح علي بالإجابة. «كيف حال صورتك؟».

قال، «ألقي نظرة إن شئت»، وهو يرمي بالكاميرة عبر المنضدة بعدم اهتمام حتى إنني شهقت، وكدت أن أسقطها. «اضغطي على زر التشغيل في الخلف ويمكنك أن تقلبي بينها. سوف أرسل لك صورة مطبوعة لما تودين منها».

بدأت في تقليب الصور، وأنا أعود بالوقت عبر

الرحلة، وأتخطى الصور المزاجية للسحب والنورس الناقع، وصولاً إلى لعبة البوكر ليلة أمس، فوجدت صوراً لبولمر ضاحكاً ويفتخر فيشاته نحوه، ولارس يتأفف وهو يضع زوجين من ورق اللعب عليها رقم اثنين مقابل ثلاثة أوراق لعب عليها رقم خمسة لبين. ورأيت صورة من ليلة أمس كادت أن تحبس أنفاسي، إنها صورة لكلوي أخذت عن قرب شديد، وعيناها ترمقان الكاميرا بنظرة، وبإمكانك رؤية شعر صغير على خدها، ذهبي على ضوء المصباح والابتسامة التي ارتسمت على جانب فمها، ورأيت شيئاً حميمياً للغاية ولطيفاً جداً حيال الصورة إلى درجة أنني شعرت وكأنني أتطفل بالنظر إليها، وجهت بصري نحو كلوي، سهواً تقريباً، وأنا أتساءل عنها وعن كول فنظرت للأعلى.

«ما الأمر؟ أوجدت شيئاً لي؟».

هززت رأسي، وعلى عجلة قلبت إلى الصورة التالية قبل أن يسنح لها الوقت بالنظر من فوق كتفي نحو شاشة الكاميرا الصغيرة. والصورة التالية كانت لي، تلك الصورة التي التقطها كول ليلة أمس على حين غرة وسببت اندلاق قهوتي، حيث باغتني وأنا أرفع رأسي تحسباً، وجفلت من النظرة على عيني.

واصلت الضغط على الزر.

مزيد من الصور الأخرى للسفينة فحسب.. إحداها لتينا على سطح السفينة تلقي نظرة ثاقبة نحو الكاميرا، بعينين مثل الطيور الجارحة، وصورة لبين يحمل حقيبة ظهر على سلم السفينة. وتذكرت الحقيبة الهائلة لكول، ما الذي وضعه فيها؟ معدات تصوير كما قال، لكن كل ما رأيته يستخدمه إلى الآن تلك الكاميرا التي يؤشر بها وينقر فحسب.

ثم انتهيت من صور السفينة ووصلت إلى حفلة اجتماعية من نوع ما، كنت على وشك رد الكاميرا إليه عندما بدا قلبي محطماً في صدري وتجمدت في موضعي. رأيت الشاشة تعرض صورة رجلاً يأكل شرائح كانابيه.

«من هو؟» قالتها كلوي من فوق كتفي، ثم أردفت، «مهلاً، أليس هذا أليكسندر بيلهوم في الخلفية يتحدث إلى أرشر؟».

كان كذلك، لكنني لم أولي انتباهي لأليكسندر وأرشر، بل إلى النادلة التي تحمل صينية شرائح الكانابيه.

أشاحت بوجهها نصف استدارة عن الكاميرا وشعرها الداكن ساقط من مشبكه عبر خدها.

لكنني تأكدت تقريباً -تأكدت تماماً تقريباً- إنها المرأة في المقصورة العاشرة.

18

رددت الكاميرة بحذر، وأنا أتساءل إن كان ينبغي علي قول شيء. إن هذا دليل - دليل دامغ - على أن كول وأرشر وأليكسندر كانوا في نفس الغرفة مع المرأة التي رأيته. يجب أن أسأل كول إذا ما كان يعرفها؟

جلست في حال مأساوية عاجزة عن اتخاذ قرار عندما أغلق كاميرته وبدأ يحزمها.
تبا، تبا، هل يجب أن أقول شيئاً؟

لم تكن لدي أية فكرة عما ينبغي علي فعله، على الأرجح أن كول لم يدرك أهمية الصورة التي التقطها. فالفتاة لم تكن ظاهرة تمامًا، والتركيز كان على شخص آخر تمامًا، رجل لم أقابله قط.

لو أن لدى كول شيء يخفيه، فسأكون حمقاء تمامًا إن أفصحنا عما رأيته، سوف ينكرها ثم سيحذف الصورة على الأرجح.

وعلى الجانب الآخر، لم تكن لديه فكرة على الأرجح من كانت الفتاة، وربما لديه استعداد ليدعني أحتفظ بالصورة. لكن لو أثرت الموضوع الآن أمام كلوي ومع من يحتمل أنه يسمع أيضًا ولا أعرفه...

فكرت في الطريقة التي ظهر فيها بجورن من ورائي من خلف الجدار المكسو بالألواح ونظرت بحركة لا إرادية من فوق كتفي. آخر ما أردته أن تفلت تلك الصورة مع مجمل الرموش، لن أقترف نفس الخطأ مرتين، لو قررت مواجهة كول، يجب أن أفعل هذا على انفراد. فالصورة في أمان على كاميرة كول حتى الآن، وستكون بأمان لبعض الوقت.

نهضت وارتجفت ركبتي فجأة.

قلت لكلوي، «أنا.. أنا فعلينا لست جائعة، ويفترض

أن التقى ببين هوارد».

قالت عرضاً، «أه، نسيت. كان هنا يبحث عنك، لقد التقيته خارجاً من المستحم المعدني وقال إن لديه شيء مهم ليخبرك إياه».

«هل قال إلى أين سيذهب؟».

«سيعود إلى مقصورته لأداء بعض العمل، على ما أعتقد».

«شكراً».

ظهر بجورن وكأنه جني من خلف الحاجز الخفي.
«هل يمكنني أن آتي لك بمشروب يا سيدة بلاكلوك؟».

هزرت رأسي نافية. «لا، لقد تذكرت إنه يفترض أن التقى شخصاً ما، هل يمكنك أن ترسل شطيرة لجناحي رجاء؟».

«بالتأكيد». أوما برأسه وخرجت من الغرفة بإيماءة اعتذار لكول وكلوي.

هرعت عبر الردهة التي تؤدي إلى المقاصير الأمامية عندما انعطفت حول أحد الأركان وركضت إلى بين.. حرفياً. وقد ارتطمنا ببعضنا فزفرت الهواء.
«لوا!» أمسك بذراعي. «لقد كنت أبحث عنك في كل مكان».

«أعرف، ماذا كنت تفعل بالأسفل في المستحم المعدني؟».

«ألم تسمعيني؟ كنت أبحث عنك».

حدقت إليه، إلى وجهه، وصورة البراءة بلحيته الداكنة ومن فوقها عيناه المستديرتان ينمان عن خطب ما. هل يمكن أن أثق به؟ ليست لدي أية فكرة على الإطلاق. منذ بضع سنوات كنت لأقول أنني أشد الناس به خبرة.. حتى اللحظة التي هجرني. والان

تعلمت إنه ليس في استطاعتي حتى الثقة تمامًا بنفسي، ناهيك عن شخص آخر.

سألته فجأة، «هل دخلت إلى غرفة استشفائي؟». «ماذا؟» بدا مرتبكًا لحظيًا. «لا، بالطبع لا، قالوا إنك تخضعين للتغليف بالطين، لم أفكر أن أقترح عليك المكان، كما قيل لي أن أبحث عن فتاة تدعى يولا، لكنها لم تكن موجودة لذلك دفعت ورقة ملحوظة أسفل بابك وعدت أدراجي». «لم أر أي ورقة».

«حسنًا، لقد تركت ورقة، ما السبب وراء كل هذا؟». شعرت بشيء ينفجر في صدري.. خليط من الخوف والإحباط. كيف يمكنني أن أعرف تحديدًا إن كان بين يقول الحقيقة؟ ستكون الورقة شيئًا غبي للكذب حياله على أي حال.. حتى لو كتب الرسالة على البخار، فلماذا يكذب بشأن ترك ملحوظة؟ ربما كانت موجودة هناك، وغفلت عنها من الذعر.

أخيرًا قلت، «شخص آخر ترك لي رسالة، مكتوبة على بخار المرأة بالحمام في الباب المقابل، بينما كنت أخضع للاستشفاء. تقول «كفي عن التقصي»». «ماذا؟» وهن وجهه الوردي من الصدمة، وفغر فاهه. لو كان يمثل، فهذا أفضل أداء رأيته منه من قبل. «أنت جادة؟».

«مئة بالمائة».

«لكن.. لكن ألم تلاحظي دخوله؟ هل يوجد أي مدخل آخر للحمام؟».

«لا، لقد عبر حتمًا من الغرفة، أنا..». شعرت بالخزي بدرجة غريبة عند قول هذا، لكنني رفعت ذقني للأعلى، رفضًا لأن أبدو اعتذارية. «استسلمت للنوم،

يوجد مدخل واحد للمستحم المعدني وتقول إيفا إنه لم يدخل أحد باستثناء تينا وكلوي... وأنت». «والعاملين بالمستحم المعدني، إلى جانب مخرج حرائق بالأسفل حتماً هناك؟».

«يوجد مخرج، لكنه من اتجاه واحد، ويؤدي إلى مكان العاملين، لكن لا يمكنك فتحه من الجانب الآخر. لقد سألت عن هذا».

بدا بين غير مقتنع. «لن يصعب على شخص ما إلى هذه الدرجة أن يفسخه بعجلة ويعبر من خلاله، أليس كذلك؟».

«لا، لكنه مزود بجهاز إنذار، وكانت صافرات الإنذار لتعم المكان».

«حسناً، أعتقد أن هذا ممكن إن عرفت عن النظام بما فيه الكفاية بحيث تتلاعبين بخصائص الإنذار، لكن إيفا لم تكن موجودة طوال الوقت كما تعلمين». «ماذا تعني؟».

«لم أجدها عندما صعدت مجدداً، بل وجدت آن بولمر.. تنتظر جفاف ملمع أظافرها، أما إيفا فرحلت آنذاك، لذلك إن قالت إنها ظلت موجودة طوال الوقت، فهي لا تقول الحقيقة».

يا إلهي، فكرت في نفسي ممددة هناك، شبه عارية أسفل طبقات الأغلفة الرقيقة والمناشف، وكيف يمكن لشخص ما - أي شخص - أن يدخل ويضع يده على فمي، أو يحيط رأسي بطبقة بلاستيكية... قلت في محاولة لأن أبدو طبيعية، «إذن لماذا أردت رؤيتي؟».

بدا بين منزعجاً. «أه... هذا الأمر. حسناً، تعرفين إننا كنا في جولة بغرفة القيادة وما إلى ذلك؟». «أومات براسي».

«حاول أرشر أن يبعث رسالة نصية لشخص ما على ما أعتقد وأسقط جواله. فالتقطته، ورايته مفتوحاً على قائمة جهات الاتصال». «ومن ثم؟».

«الاسم المدون «جيس»، لكن الصورة لفتاة تطابق كثيراً ما وصفته. في أواخر العشرينيات وشعر طويل وداكن، وعينين داكنتين... وهذا ما في الأمر.. كانت ترتدي قميصاً عليه فرقة (بينك فلويد)».

شعرت بوخز شيء بارد أسفل عمودي الفقري، تذكرت أرشر ليلة أمس، ووجهه الضاحك وهو يلوي ذراعي خلف ظهري، وكلوي واستهجان كلوي «ربما الشائعات عن زوجته الأولى صحيحة»...

سألت، «هل كانت هي التي تحاول أن تبعث له رسالة نصية؟».

هز بين رأسه، «لا أعرف، ربما ضغطت على بضعة أزرار عندما أفلت الجوال».

وبطريقة تلقائية، سحبت جوالي على استعداد للبحث على جوجل عن «جيس وأرشر فينلان»، لكن مربع البحث دار دون جدوى. فمازال الإنترنت معطلاً ورسائل بريدي الإلكتروني مازالت لا تحمل.

سألت بين، «هل الإنترنت لديك يعمل؟» فهز رأسه نافياً.

«لا، يوجد عطل ما في موجه مسار الشبكات على ما يبدو، أعتقد أن مشاكل الاتصال اللاسلكي أمر اعتيادي بالرحلات الأولى، لكنه شيء مؤلم. نفس أرشر عن غضبه من هذا على الغداء؛ وأشفى غليله على مسكينة تدعى هاني، اعتقدت إنها على وشك الانفجار باكية في مرحلة ما. على أية حال، ذهبت للحديث مع كاميللا وتسارفيس، وسيصلح عن قريب

على ما يبدو. على الأقل، كلي رجاء أن يحدث هذا..
فلدي ملف لأسلمه».

تجهمت وأنا أدفع الجوال لجيبي مجدداً، هل
يعقل أن أرشر هو نفس الشخص الذي كتب الرسالة
على البخار؟ فكرت في قوته، وطيف القسوة في
ابتسامته ليلة أمس، وشعرت بالاشمئزاز من فكرة
مشيه على أطراف أصابعه إلى جوارى وأنا نائمة.

قال بين وكأنه يقرأ أفكارى، «ذهبنا للأسفل لغرفة
المحركات، إنها على مسافة ثلاثة طوابق للأسفل،
وعلى الأرجح إننا مررنا بالقرب جداً من مخرج
المستحم المعدني الذي تتحدثين عنه».

سألته، «هل لاحظت انشقاق أي أحد من
المجموعة؟».

هز بين رأسه نائفاً. «أشك في هذا، فطابق المحرك
كان مزدحماً جداً، وكنا أشبه بالغائبين عن الوعي،
فنزلق دخولاً وخروجاً من الأماكن الضيقة، وقد
التم شمل المجموعة فقط عندما صعدنا مجدداً
للطابق العلوي».

انتابني فجأة شعور رهاب الأماكن المغلقة المثير
للغثيان، وكان الترف المتصلب للسفينة يطبق عليّ
من حولي.

قلت، «يجب أن أخرج على أي حال، إلى أي مكان».
«لو». وضع بين يداً حول كتفي، لكنني سحبت
نفسي بعيداً عن أصابعه التي تمسك بي وانطلقت
كالسهم نحو باب سطح السفينة، وفتحته على
الرغم من الرياح.

أصابتنى الرياح في وجهي وكأنها لكمة، وترنحت
صوب الحاجز لاثبتت به، وأنا أشعر بتأرجح
السفينة. امتدت الأمواج وكأنها صحراء.. ميلاً بعد

ميل، تمتد في الأفق، بلا أي بوادر لليابسة من أي نوع، ولا حتى سفينة أخرى. أغمضت عيني وأنا أرى هذا الدوران عديم الجدوى لأيقونة البحث على الإنترنت، فكان محال حرفياً طلب أي نجدة.

«أنت بخير؟» سمعت الصوت من خلف كتفي، تبعني بين، فأغمضت عيني بقوة على إثر الرذاذ المالح الذي أصاب جانب السفينة وهزرت رأسي.

«لو...؟».

«لا تلمسني»، قلتها وأنا أجز على أسناني ثم صعدت السفينة وهبطت فوق موجة عالية واستثنائية وشعرت بتقلص في معدتي فتقيأت على الحاجز، ظلت معدتي تضطرب وتضطرب إلى أن اغرورقت عيناى بالدموع ولم يتبق شيء سوى الحمض. ورأيت بلذة خبيثة أن قيني يكسو بالبقع هيكل السفينة وكوة المقصورة أسفل منه. ها هو الدهان لم يعد مثاليًا الآن، هذا ما فكرت فيه وأنا أمسح فمي بكمي.

«أنت بخير؟» قالها بين مجدداً من خلفي، فأحكمت قبضتي على الحاجز، تعاملني بلطف يا لو... استدرت وأجبرت نفسي على الإيماء برأسي. «أنا فعلياً أشعر بحال أفضل قليلاً، فلم أكن أبداً بحارة ماهرة».

«أه يا لو». وضع ذراعه حولي واعتصرني، وتركت نفسي لأسحب في حضنه، وكبحت الحاجة للنفور منه، كنت بحاجة لبين إلى جوارى، أردته أن يثق بي، ويعتقد أنني أثق به...

شممت دخان سجائر في منخاري وسمعت نقر كعبين عاليين أتيان من على مسافة بعيدة بسطح السفينة.

«يا إلهي». استقمت أكثر بقامتي وتحركت بعيداً عن بين تقريباً وكأنها مصادفة. «إنها تينا، هل يمكننا الدخول؟ لا أطيق مواجهتها في تلك اللحظة».

ليس الآن، والدموع تجف من على خدي والقيء على كمي، لم تكن تلك الصورة الاحترافية الطموحة التي أحاول أن أعكسها لها.

«بالتأكيد»، قالها بين باهتمام وأمسك الباب ليفتحه بينما هرعنا إلى الداخل، تماقاً في نفس الوقت الذي انعطفت فيها تينا من الركن.

بعد قصف الرياح بالخارج صارت الردهة هادئة فجأة وساخنة إلى حد خائق، شاهدنا بصمت تينا وهي تتجه صوب الحاجز وتنحني عليه، قبل بضع خطوات عكس اتجاه الرياح من حيث تقيأت منذ بضع لحظات.

قال بين، «لو أردت معرفة الحقيقة»، ثم نظر للخارج نحو ظهر تينا، «فأراهن بمالي عليها، إنها ساقطة باردة كالجلمود».

نظرت إليه مصعوقة، أحياناً ما كان بين يتصرف بعدائية حيال النساء اللاتي عمل معهن، لكنني لم أسمع قط هذا البغض الصريح في صوته.

«معذرة؟ هل لأنها امرأة طموحة؟».

«ليس هذا فحسب، لم تعلمي معها، أما أنا فعملت معها. وقد التقيت بعدد قليل ممن يكرسون أنفسهم للحياة المهنية في زمني، لكنها في مستوى مختلف. أقسم إنها قد تقتل لتغطية قصة أو نيل علاوة، وعلى ما يبدو إنها تنتقي من بين النساء. لا أطيق النساء على هذه الشاكلة، فهن أسوأ أعداء لأنفسهن».

التزمت الصمت، ففي كلماته ونبرته اشتممت

رائحة كراهية للنساء قليلاً، لكن في نفس الوقت ما قاله قريب إلى حد مزعج مما قالته روان ولم أكن متأكدة إن استطعت رفض ما قاله فحسب.

كانت تينا معي في الطوابق السفلية عندما رأيت الرسالة، ثم تلك الآلية الدفاعية التي تعاملت بها صباخاً...

قلت على مضض، «سألتها أين كانت ليلة أمس، وتصرفت بغرابة حقيقية، بل بعدوانية شديدة، قالت إنه لا ينبغي لي صنع أعداء».

قال بين، «هذا ما في الأمر إذن»، ثم ابتسم لكنها ليست بالابتسامة الصافية، بل رأيت فيها شيئاً غير لطيف. «لن تجعلها تعترف بهذا، لكن صادف وعرفت إنها مع جوزيف».

«جوزيف؟ أتقصد جوزيف مسؤول ضيافة المقصورات؟ هل تمازحني؟».

«كلا، عرفت هذا من أليكسندر خلال الجولة، إذ رأى جوزيف يسير على أطراف أصابعه خروجاً من مقصورة تينا في الساعات الباكرة وفي حالة.. لنقل فحسب متحلل من ملابسه».

«يا للهول».

«أمر مهول فعلاً، من كان ليعتقد أن حرص جوزيف على الركاب سيمتد إلى هذا الحد، إنه ليس نوعي حقاً لكن أتساءل إن كان في استطاعتي إقناع يولا بفعل نفس الشيء..».

لم أضحك، ليس مع تلك الغرفة الضيقة عديمة الشمس البعيدة والأسفل حيث نقف ببضعة طوابق فحسب.

إلى أي مدى قد يصل المرء للهرب من الطوق المفروض عليه؟

لكن عندئذ استدارت تينا حيث كانت واقفة تدخن عند الحاجز، ولمحتني أنا وبين داخل السفينة. ألقت بسيجارتها من فوق الحاجز وغمزت لي سريعا قبل أن تشق طريقها بالعودة مرة أخرى إلى سطح السفينة، وفجأة شعرت بالحقارة من فكرة كل الرجال الذين يغتابونها بسبب مغامرتها الصغيرة.

قلت بصيغة اتهام، «ماذا عن أليكسندر إذن، إذا وصل الأمر لهذا؟ فمقصورته أمامية مثلنا، وما الذي كان يفعله بتجسسه على تينا في منتصف الليل؟».

نخر بين. «هل تمازحيني؟ وزنه قرابة 160 كيلوجراما، لا أتخيل إن في استطاعته رفع امرأة بالغة من فوق الحاجز».

«لم يكن يلعب البوكر، لذلك ليست لدينا فكرة أين كان، باستثناء حقيقة إنه يجوش المكان في ساعات النهار الباكرة». تذكرت أيضا بقشعريرة مفاجأة إنه كان في الصورة بكاميرا كول.

«إنه بحجم حيوان الفظ، إلى جانب إنه مصاب بمرض في القلب، هل رأيته وهو يصعد على السلالم قط؟ أو ما أرمي إليه أكثر، هل سمعته. إنه يبدو مثل قطار يسير بالبخار، وينتابك القلق متى سيصل إلى القمة بحيث يتعطل ويسقط عليك، فلا يمكنك تخيل أن يتغلب على أي أحد في نزاع».

«ربما كانت ثملة للغاية، أو مخدرة، أراهن أن بإمكان أي أحد طرح امرأة فاقدة الوعي من على متن سفينة.. المعضلة في رفعها فحسب».

«إن كانت فاقدة الوعي فماذا عن الصرخة؟» قالها بين فُشعرت بنبضة مفاجئة من الحنق تسري بداخلي.

«يا إلهي، أو تعرف، سنمت من الجميع يتصيدون لي الأخطاء ويستجوبني وكأنه ينبغي علي امتلاك

كافة الإجابات على كل هذا، لا أعرف يا بين، لا أعرف ما ينبغي علي التفكير فيه، حسناً؟».

قال بلطف، «حسناً، أسف.. لم أقصد هذا المعنى، كنت أفكر بصوت عالٍ فحسب، أليكسندر..».

«تحدثون عن اسمي سدى؟» صدر الصوت من نهاية الردهة، والتفتنا كلانا، شعرت بتورّد خدي إلى اللون الأرجواني، منذ متى كان أليكسندر هنا؟ هل سمع توقعاتي؟

«أه، مرحباً بيلهوم»، قالها بين بسلاسة، لم يبد مرتدغاً. «كنا نتحدث عنك للتو».

«هذا ما سمعته». وقف أليكسندر معنا على نفس المستوى، وهو يلهث قليلاً، أدركت أن بين كان على حق، فأقل جهد يجعله يلهث حتى تنقطع أنفاسه. «بكل خير على ما أمل؟».

قال بين، «بالطبع، كنا نناقش فحسب العشاء الليلة، حيث تحدثني لو عن مقدار معرفتك الهائلة بالطعام».

ولدقيقة لم أفكر فيما يمكنني قوله، وأذهلني مدى براعة بين في الكذب منذ أن كنا سوياً، أم إنه كان دوماً مخادعاً ماهراً ولم ألحظ فحسب؟

ثم أدركت أن بين وأليكسندر كانا في انتظاري لأتحدث وتلعثمت، «أه أجل، أتذكر، أليكسندر؟ كنت تخبرني عن الفوجو».

«بالطبع، يا لها من مغامرة مثيرة للحماس، أعتقد إنه من مسؤولية المرء أن ينتزع كل أونصة إحساس من الحياة، ألا تعتقدان هذا؟ وإلا فإنه فاصل قصير ومقرف ووحشي حتى الممات».

ابتسم ابتسامة عريضة تشبه التمساح قليلاً، وأسفل ذراعه حمل شيئاً، كان كتاباً؛ مجلداً للرواية

باتريشيا هايسميث كما رأيت.

سأله بين عرضيًا، «إلى أين كنت ذاهبًا، أنا متاح لبضع ساعات حتى وقت العشاء الآن، على ما أعتقد؟».

قال أليكسند وهو يستأمنه، «لا تخبر أي أحد، لكن هذا اللون ليس طبيعيًا تمامًا». ولمس خده بلون مكسرات عين الجمل. «لذلك أنا منطلق إلى المستحم المعدني لأجل بعض اللمسات التجميلية، دائمًا ما تقول زوجتي إنني أبدو في حال أفضل عندما أضفي بعض اللون».

قلت، «لم أعرف إنك متزوج». على أمل ألا تبدو دهشتي جلية للغاية.

أوما أليكسندر برأسه. «تكفيراً عن خطاياي، لقد أمضيت معها ثمان وثلثين سنة هذا العام، يعاقب المرء بأقل من هذا على جريمة القتل حسبما أعتقد!».

ضحك بحدة بعض الشيء، وجففت بداخلي. لو لم يكن سمع بما قلناه لاحقًا، فلتلك ملاحظة غريبة، ولو سمع فذوقها سيء للغاية بالفعل.

قلت ببرود، «وقتًا سعيداً في المستحم المعدني». ابتسم مجددًا، «سأفعل، أراك على العشاء!».

كان على وشك الذهاب عندما أغواني دافع لم أستطع صده تمامًا، فقلت، «مهلاً يا أليكسندر..».

التفت، وهو رافع لأحد حاجبيه، فشعرت بوهن عزيمتي، لكنني واصلت.

«أنا.. سيبدو هذا غريبًا، لكنني سمعت بعض الجلبة ليلة أمس، من المقصورة العاشرة، تلك التي في نهاية السفينة، يفترض إنها خاوية لكنني وجدت فيها امرأة بالأمس.. والان فحسب لا نستطيع العثور

عليها. هل رأيت أو سمعت أي شيء ليلة أمس؟ صوت بطيط في الماء؟ أي جلبة أخرى؟ قال بين إنك كنت مستيقظًا».

قال أليكسندر بجفاء، «كنت بالأعلى بالفعل، فأنا أعاني من الأرق.. وسوف تعانين منه كما تعرفين عندما تصبحين في سني، والفراش الجديد يزيد الطين بلة دومًا. لذلك صعدت لأعلى سطح السفينة لأجل السير قليلاً في منتصف الليل. وفي طريق عودتي رأيت البعض في حالة جيئة وذهاب. صديقتنا العزيزة تينا زارها أحد طاقم ضيافة المقصورات المعتنين بعمالهم للغاية. وأخذ السيد ليديرر الوسيم يجوس في المكان في أحد المراحل، ولا أعرف ما كان يفعله خارج نطاقه، فمقصورته تقع على الطرف الآخر من السفينة تمامًا، وتساءلت إن كان جاء ليراك...؟».

رفع حاجبه لي فاستشطت غضبًا.

«لا، قطعًا لا. هل يحتمل أن يكون ذهب إلى المقصورة العاشرة؟».

قال أليكسندر نادماً، «لم أر، فقط اختلست نظرة سريعة عليه وهو ينعطف عند الركن، في طريق عودته إلى المقصورة ليخلق عذراً لجرائمه، ربما». سأل بين، «كم كانت الساعة حينئذ؟».

ضم أليكسندر شفثيه. «وا... حتمًا قرابة الرابعة أو الرابعة والنصف على ما أعتقد».

تبادلت النظرات أنا وبين، كنت مستيقظة حتى الساعة 3:04. لذلك فإن رؤية جوزيف في الرابعة صباحًا تستبعد تينا ربما.. على افتراض إنه كان في مقصورته طوال الليل، لكن كول... ما السبب الذي يحتمل أن يدفعه لقطع كل هذه المسافة حتى نهاية السفينة؟

فكرت مجدداً في حقبة المعدات العملاقة التي
اثقل على سلم السفينة وهو يحملها.

«ومن تلك المرأة التي رأيته تخرج من
مقصورتك؟» قالها أليكسندر بخبث وهو ينظر إلى
بين.

فطرف بين بعينه. «معذرة؟ هل أنت متأكد أنك
رأيت المقصورة الصحيحة؟».

«رقم ثمانية، أليس هذا صحيحاً؟».

«هذه مقصورتى»، قالها بين بضحكة منزعة.
«لكن يمكنني أن أؤكد لك ألا أحد كان في مقصورتى
سواي».

«أهذا صحيح؟» رفع أليكسندر حاجبه مجدداً،
ثم ندغ ضاحكاً. «حسناً، إن كنت تقول هذا، كانت
الأجواء داكنة، ربما أخطأت في المقصورة». تأبط
بالكتاب مجدداً. «حسناً لو لم يكن لديكما أي أسئلة
إضافية يا عزيزاي؟».

قلت بتردد قليلاً، «لا... لا... على الأقل ليس الآن، هل
يمكن أن آتي وأبحث عنك لو فكرت في أي شيء
آخر؟».

«بالطبع، في تلك الحالة، إلى اللقاء حتى العشاء،
حيث أظهر بلون بشرة برونزي مثل أدونيس في
شبابه، وبجلد مقشر كديك أعياد الميلاد المجيدة.
مع السلامة..».

سار بأنفاس متقطعة حتى نهاية الردهة، فراقبته
أنا وبين وهو ينعطف من عند الركن.

قال بين عندما اختفى، «إنه كامل الأوصاف، أليس
كذلك؟».

«بلى.. إنه مفعم بالحماس، هل تعتقد أن هذه
الشخصية مجرد تمثيل؟ أم إنه على هذا الحال

طوال أيام الأسبوع؟».

«ليست لدي فكرة، أشك إن الأمر بدأ بوضعية معينة اتخذها لنفسه، حتى جُبل على هذا».

«وزوجته.. هل قابلتها قط؟».

«لا، لكن من الواضح إنها موجودة بالفعل، على ما يفترض إنها سليفة أحد النبلاء الألمان، وعلى ما يبدو إنها كانت فاتنة الجمال في شبابها. لديهما منزل مذهل في ساوث كينزنجتون والمليء بالأعمال الفنية.. روبينز وتايتان أو اثنين آخرين، أشياء لا تصدق تمامًا. وقد كانت أحد التحف الفنية التي سلط عليها الضوء من مجلة «هيلوا» منذ وقت مضى وسمعت كل تلك الشائعات بأنهم نهبوا أشياء من إرث النازية وأن المؤسسة الدولية للبحوث الفنية أشادت بهم، غير أنني أعتقد أن هذا هراء».

«لا يمكنني أن أستفسر ما إذا قال أي شيء مفيد».

فركت يدي على وجهي في محاولة لإزاحة القلق الذي بدأ يتشكل عليه مثل غيوم سوداء. «تلك الأشياء حول كول، كانت غريبة، أليس كذلك؟».

«أجل... أعتقد. لكن إذا كان الوقت في قرابة الرابعة، فهل سيساعد هذا بحق؟ وللأمانة، بدأت أفكر إنه ربما يخلق الأمور لإضفاء هالة على نفسه. فهذا الأمر الذي ادعاه عن وجود فتاة في مقصورتي محض هراء، أنت تصدقيني في هذا، صحيح؟».

«أنا..». شعرت بغصة في حلقي، لقد أنهكني التعب، شعرت بالتعب الشديد، لكني لم أستطع الارتياح. يا إلهي، هذه الرحلة تعرض مسيرتي المهنية للخطر أكثر مما توقعت، لو واصلت إحداث مشاكل هكذا، ربما ينتهي بي المطاف بدفتر عناوين مليء بالأعداء وليس المعارف.

تمكنت من قول، «أجل، بالطبع». فنظر بين إلي

وكانه يحاول أن يستشف ما إن كنت أقول الحقيقة. أخيراً قال، «رائع، لأنني أقسم إنه لم يوجد أي أحد في مقصورتى، مالم يدخل أحد ما أثناء غيابي بالطبع».

«هل تعتقد إنه سمعنا؟» سألته من باب تغيير الموضوع أكثر من سبب رغبتى في المعرفة. «قبل هذا أعني؟ الطريقة التي جاء بها من عند الركن.. هل تعتقد أن شخصاً بهذا الحجم يأتيك خلصة هكذا».

هز بين كتفيه. «أشك في هذا، لكني لا أعتقد إنه من النوع الذي يحمل ضغينة على أي حال».

لم أتفوه بكلمة، لكن بداخلي لم أتأكد إن كنت متفقة معه، إن الانطباع الذي أخذته عن أليكسندر إنه بالضبط من النوع الذي يحمل الضغائن، ويستمتع بكنها أيضاً.

سأل بين، «ماذا تريدان أن تفعلني الآن؟ هل تريدانني أن آتي معك لنعثر على بولمر؟».

هزرت رأسي، كنت بحاجة لأن أعود إلى مقصورتى، وأقتات بعض الطعام. فضلاً عن هذا، لم أكن متأكدة تماماً إذا كان بين يرغب في المجيء معي ليرى اللورد بولمر.

19

كان باب مقصورتي مغلقاً، لكن بالداخل وجدت شطيرة مفتوحة وضعت على صينية على منضدة الزينة إلى جانب زجاجة مياه معدنية، بقيت هنا منذ بعض الوقت، بالنظر إلى تكثف قطرت الماء المنسالة حولها.

لم أتصور جوعاً، لكني لم أتناول شيئاً منذ الفطور، وتقيأت معظم هذا، لذلك جلست وأجبرت نفسي على الأكل، كانت شطيرة بالجُمبُري والبيض المسلوق جيداً على خبز حبوب الذرة، وبينما أمضغه رأيت ارتفاع البحر وهبوطه خارج النافذة، تردد صدى حركته التي لا تنقطع مع الأفكار التي لا تهدأ والتي تدور في خلدي.

كول وأليكسندر وأرشر كانوا فعلياً في نفس الغرفة مثل تلك الفتاة.. بت متأكدة تقريباً من هذا. أشاحت بوجهها من الكاميرا، وكان من الصعب علي أن أتذكر طيف ملامح وجهها الذي شاهدته عبر باب المقصورة المفتوح أمس، غير أنني أدركتها على الفور عندما رأيت صورتها بدفعة داخل جسدي أشبه بصدمة كهربائية.. وجب علي التشبث بتلك الحقيقة.

لدى أرشر على الأقل حجة غياب.. غير أنني بدأت أدرك إنها حجة مبنية بالكامل على شهادة بين، ولديه أسبابه الخاصة لأن يرغب في تأمين تلك الغرفة. ومهما حسبتها، فإنه كذب علي عن عمد. لولا ملاحظة كول بالصدفة، لما عرفت أبداً أن بين نفسه غادر المقصورة.

لكن بين، بين؟ بالطبع لا، لو كان في استطاعتي أن أثق بأي أحد على متن تلك السفينة فيجب أن أثق به، أليس كذلك؟

لم أعد متيقنة.

ابتلعت آخر كسرة من الخبز، ومسحت أصابعي بالمنديل ثم وقفت، وأنا أشعر بتقلب القارب وتمايله من تحتي. أثناء تناولي للطعام زحفت شبورة البحر، وبدأت الغرفة تزداد ظلامًا، لذلك فتحت الضوء قبل تفقد جوالي، لم أجد فيه شيئًا، فنشطه على أمل معدوم أن أجد بريدًا إلكترونيًا من أحد، أي أحد. لم أجرؤ على التفكير في جودا.. وفيما كان يعنيه صمته.

وعندما ظهر إشعار «فشل الاتصال» شعرت بتقلصات في معدتي تتراوح بين الخوف والارتياح. ارتياح لأنه يعني إنه ربما، ربما فحسب، كان جودا يحاول الاتصال بي. وأن صمته لا يعني أنني ما خشيته.

لكنه خوف من أن طول فترة انقطاع الإنترنت، جعلني أفكر أكثر أن شخصاً ما يحاول أن يحول بيني وبين الوصول إلى شبكة الإنترنت. وبدأ هذا يشعرنني بالقلق في الواقع.

إن باب مقصورة النبلاء رقم واحد مصنوع من نفس الخشب الأبيض المجهول تمامًا مثل باقي أبواب المقصورة، لكن بإمكانك أن تستشف هذا من حقيقة إنها واقعة في جُوجُو السفينة، مع مساحة شاسعة للردهة الممتدة من خلفنا، وهي حتماً شيء خاص جداً.

طرقت الباب بفضول، ولم أكن متأكدة مما أتوقعه.. ريتشارد بولمر أم حتى خادمة ربما، فلن يدهشني أي منهما. لكنني شعرت بذهول تام عندما فتح الباب ورأيت أن بولمر واقفة هناك.

لقد كانت تبكي بكل وضوح؛ وعيناها الداكنتان محاطتان بهالة حمراء ودوائر داكنة عميقة، ورأيت

أثار الدمع مازالت على خديها الهزيلين.

طرفت بعيني، وتلعثمت تمامًا فلم أعد قادرة على استرجاع طلبي الذي أعدته جيداً في تفكيري. وانزلت العبارات من عقلي، فكل منها غير مناسب أكثر من سابقتها ويستحيل تصديقها.. أنت بخير؟ ماذا بك؟ هل يوجد أي شيء يمكنني فعله؟

لم أقل شيئاً، لكنني ابتلعت ريقى فحسب. قالت، «أجل؟» بنوع من الاستخفاف، مسحت عينيها بجزء من عباءتها الحريريّة، ثم رفعت ذقنها. «هل يمكنني مساعدتك؟».

ابتلعت ريقى مجدداً، ثم قلت، «أنا.. أجل، أمل ذلك، آسفة على التطفل، حتماً أنك تعبت بعد المستحم المعدني هذا الصباح».

قالت بطريقة مقتضبة، «ليس تمامًا». قالتها باقتضاب، عضضت شفتي، ربما لم يكن الإشارة إلى مرضها بالشيء الملائم.

«كنت أمل فعلياً أن أتحدث إلى زوجك».

«ريتشارد؟» أخشى أن أقول إنه مشغول، هل يوجد شيء يمكنني مساعدتك فيه؟».

قلت بحرج، «لا.. لا أعتقد هذا»، ثم تساءلت إن كان يجب علي اختلاق أعذاراً وأرحل، أم أبقى وأشرح. شعرت بالأسى لإزعاجي إياها، لكن بدا إنه من الخطأ بنفس القدر أن أطرق الباب وأغادر على حين غرة. ويرجع جزء من شعوري بالانزعاج إلى الدموع.. هل ينبغي أن أتركها لفاجعتها الخاصة أم أبقى وأقدم مواساتي؟ لكن السبب أيضاً أنني وجدت وجهها الأعجف الأملس شديد الاضطراب، بدت منيعة للغاية من كافة النواحي، أن ترى إنسانة مثل أن بولمر، بكل تلك الخطوة وبكافة تلك المزايا التي

يمكن للمال شراءها - على الأقل الدواء وأفضل الأطباء وأنواع العلاج المتاحة - أن تراها وهي تكافح لأجل حياتها هكذا أمام أعيننا، شعور أكاد لا أطيقه.

أردت الهرب، لكن تلك المعرفة أجبرتني على التمسك بموقفي.

قالت، «حسناً، أسفة، ربما يمكن الانتظار حتى وقت لاحق؟ هل يمكن أن أخبره عن ماهية هذا الشيء؟».

«أنا..». شبكت بين أصابعي سويًا، ما الذي يمكنني فعله؟ محال أن يخالجنني الشك في تلك المرأة الضعيفة التي تبدو كمن مسه جان. قلت «أنا.. وعدني بمقابلتي»، وأنا أتذكر الكلمات التي تبادلناها بعد العشاء، فقد كانت شبه حقيقية في نهاية المطاف. «قال لي أن آتي إلى المقصورة عصر هذا اليوم».

أضاء وجهها، «آه، أسفة، حتماً إنه نسي، أعتقد إنه ذهب للحمام الساخن مع لارس ونفر من الآخرين، أمل أن تلحقني به على العشاء».

لم تكن لدي نية لأن أنتظر طوال هذا الوقت، لكني لم أقل هذا، بل أومأت برأسي فحسب.

سألت، «هل سيحدث.. سنراك على العشاء؟» وجفلت من الطريقة التي نطقت بها كلماتي. لوجه الرب، إنها مريضة وليست مجذومة.

أومأت برأسها. «أمل ذلك، أشعر بحال أفضل قليلاً اليوم، أنا أصاب بالتعب الشديد، لكن سيبدو الأمر مثل استسلام مشروط إذا جعلت جسدي يفوز كثيراً».

سألتها، «أما زلت تخضعين للعلاج؟» هزت رأسها

نافية، وهفهم غطاء الرأس الحريري حول دماغها وهي تفعل.

«ليس حالياً، لقد انتهيت من جولتي الأخيرة في العلاج الكيماوي، في اللحظة الراهنة على أي حال. سوف أخضع للعلاج بالأشعة عندما نعود أفترض إننا سنبحث فيما نفعله بعد ذلك».

قلت، «حسناً، أطيب التمنيات»، ثم جفلت من الطريقة التي جعلت بها هذه الملاحظة البريئة من نجاتها نوع من ألعاب الفرص. «و.. و، شكراً».

«لا مشكلة على الإطلاق».

أغلقت الباب واستدرت لأعود إلى درجات السلم نحو السطح العلوي وأنا أشعر بوجهي يحترق بنوع من الخزي.

لم أذهب قط إلى مستحم حار، لكنني عرفت أين سيكون حتماً أعلى سطح السفينة فوق صالة جلوس ليندجرين، خارج المستحم المعدني مباشرة. فصعدت على درجات السلم المفروشة بسجاد سميك نحو طابق المطعم، وأنا أتوقع هذا الشعور بالضوء والمساحة الذي عاينته من قبل.. لكنني نسيت الشبورة. عندما وصلت إلى الباب الذي يفتح على سطح السفينة استقبلتني غمامة رمادية من خلف الزجاج، والتي غشت السفينة بحيث ترى بالكاد من طرف السفينة إلى الطرف الآخر، ما أعطاني شعوراً غريباً بالكتمان.

بردت هذه الشبورة الأجواء، ونثرت رذاذاً ضبابياً على شعيرات ذراعي، وبينما وقفت غير متأكدة عند عتبة الباب، وأنا أرتجف في محاولة أن أعرف موقفي، سمعت بوق الضباب الطويل الحزين.

هذا المشهد جعل كل شيء يبدو عجيبيًا، واستغرقت بضع لحظات لأفكر أين السلم الذي

يؤدي إلى السطح العلوي، لكن في النهاية أدركت إنه حتفًا إلى يميني، أعلى أكثر نحو جُوجو السفينة. لم أستطع تخيل كيف يستمتع أي أحد بالمغطس الفوار في مثل هذا الطقس، ولوهلة فكرت ما إذا كانت أن بولمر مخطئة، لكن عندما انعطفت حول الجدار الزجاجي للمطعم سمعت ضحكة، ونظرت للأعلى فرأيت الأضواء متوهجة في الشبورة حول رأسي، صادرة من السطح الأعلى، على ما يبدو أنه يوجد نفر من الناس حمقى بما فيه الكفاية للتجرد من ملابسهم حتى في هذا البرد.

تمنيت لو أنني جئت بمعطفي، لكن لا مغزى من العودة لآتي بمعطف، لذلك تلفعت بذراعي وتسلقت الدرجات المنزلقة والمتقلبة نحو السطح العلوي، وأنا أتبع بسمعي الأصوات والضحكات.

رأيت حاجزاً زجاجياً في منتصف سطح السفينة، وعندما استدرت حوله رأيت لارس وكلوي وريتشارد بولمر وكول جالسون في أكبر مغطس فوار رأيتهم في حياتي. حتفًا مساحته ثمانية أو عشرة أقدام، وكانوا متمددين على الجوانب ولا تظهر إلا أكتافهم ورؤوسهم كان البخار يتصاعد بكثافة شديدة من الماء الفوار حتى إنه كان من الصعب للحظة أن أرى من كان فيه.

«سيدة بلاكولك!» قالها ريتشارد بولمر نابعة من قلبه، بصوت وصلني بسلاسة عبر صرير النفاثات بالمغطس. «هل تعافيت من ليلة أمس؟».

لوح بذراع مُسمر ومعضل يصاعد منه البخار وعليه أثر القشعريرة من الهواء البارد، فصافحت يده التي تقطر ماءً ثم تلفعت مجدداً بذراعي، وأنا أشعر بتلاشي دفء قبضته على الفور وبرودة الرياح على يدي المبللتين الآن.

«هل جنت لتغطسي؟» سألتني كلوي بضحكة وهي تلوح بيدها وتدعوني إلى هذه الفقايع وبقبقتها. هزئت رأسي نافية في محاولة لنلا أرتجف، «شكراً، لكن الجو بارد قليلاً».

«إنه أدفاً هنا، يمكنني أن أؤكد لك!» قالها بولمر وهو يغمز. «مغطس فوار ومنضح بارد». أشار إلى منضح مفتوح إلى جانب المغطس، منضح بماء المطر مستقر فوق حوض مسطح. ولا يوجد جهاز تحكم في درجة الحرارة، مجرد زر حديدي بمركز أزرق، فجعلني هذا المنظر أرتجف لا إرادياً .. ثم إلى المستحم المعدني مباشرة»، أشار بإبهامه نحو مقصورة خشبية خلف الحاجز الزجاجي. عندما رفعت رأسي استطعت رؤية باب زجاجي يتكثف منه بخار الماء، ومن خلال الماء المنسال رأيت الوهج الأحمر للموقد. «فلتغتسلي وتكرري بعدد المرات التي يتحملها قلبك».

قلت بحرج، «ليس هذا ما يستهويني بحق». قال كول، «لا ترفضيه حتى تجربيه». وابتسم حتى بدت قواطعه. «يجب أن أقول إن الخروج من الساونا إلى الحمام البارد تجربة جميلة لا تصدق، فما لا يقتلك يقويك، أليس كذلك؟».

جفلت. «شكراً، لكن أعتقد أنني لن أفعل هذا». قالت كلوي، «افعلي ما يحلو لك». مدت ذراعها بتراخ والماء يقطر منه على كاميرا كول، والتي وضعت على الأرضية بالأسفل، والتقطت زجاجة مجمدة من الشمبانيا من على المنضدة الصغيرة على طول المستحم.

«اسمع» التقطت نفساً عميقاً وتحدثت مباشرة إلى اللورد بولمر، في محاولة لتجاهل الأوجه المراقبة والمهتمة للآخرين. «يا لورد بولمر..».

قاطعني، «ناديني ريتشارد»،

عضضت شفتي وأومات براسي في محاولة لترتيب افكاري.

«ريتشارد، كنت أمل أن أتحدث معك عن شيء ما لكنني لست متأكدة إذا كان الوقت مناسباً الآن، هل يمكن أن آتي وأراك لاحقاً، في مقصورتك؟».

هز بولمر كتفيه، «ولماذا الانتظار، أحد الأشياء التي تعلمتها في العمل.. أن الوقت الراهن دوماً تقريباً هو الوقت المناسب، وما يبدو وكأنه حصافة مجرد جبن زاد أم نقص.. وسيصل شخص ما قبلك».

«حسناً..». قتلها ثم توقفت، وأنا غير واثقة مما ينبغي فعله. لم أرد حقاً أن أتحدث أمام الآخرين، وعبرة «سيصل شخص ما قبلك». لم تكن مطمئنة بالتأكيد.

قال بولمر، «فلتناولي شيئاً»، ضغط على زر على حافة المغطس الفوار وظهرت فتاة صامتة من العدم، إنها يولا.

قالت بآدب، «أجل يا سيدي؟».

«شمبانيا لأجل السيدة بلاكلوك».

«بالطبع يا سيدي»، واختفت بعيداً.

التقطت نفساً عميقاً، لا يوجد بديل، لا يمكن لأحد أن يغير وجهة القارب سوى بولمر، وإن لم يفعل هذا الآن، ربما لا تواتيني الفرصة. من الأفضل أن أتحدث الآن مع جمهور وألا أجازف... خمشت راحتي بأظفري، وأنا أرفض التفكير في تلك الاحتمالية.

فتحت فمي. كفي عن التقصي، هكذا همس الصوت في رأسي، لكنني أجبرت نفسي على الحديث. «لورد بولمر..».

«ريتشارد».

«ريتشارد.. لا أعرف إن كنت تحدثت مع رئيس الأمن لديك، يوهان نيلسون، هل رأيته اليوم؟».

«نيلسون؟ لا». قطب بولمر جبينه. «إنه يقدم تقاريره للقبطان وليس لي، لما تسألين؟».

«حسنًا..». بدأت الحديث، لكن قاطعتني يولا عندما ظهرت خلفي بصينية عليها كأس شمبانيا وزجاجة في دلو من الثلج.

قلت بتشكك، «أه، شكرًا». لم أكن متأكدة أنني أرغب في الشراب الآن - ليس بعد تعليقات نيلسون اللاذعة بخصوص صداع الثمالة ليلة أمس - وبدأ أنه مزيج متناقض مع ما أنا على وشك قوله، لكنني مجدداً شعرت باستحالة موقفي.. كنت ضيفة بولمر، وممثلة مجلة «فيلوسيتي»، ويفترض أن أذهل كل هؤلاء الناس بمهنتي، وأثير إعجابهم بلطفي، لكن عوضاً عن هذا كنت على وشك أن ألقى أسوأ اتهام ممكن على العاملين والضيوف، أقل ما يمكنني فعله أن أتقبل الشمبانيا عن طيب خاطر.

أخذت الكوب، وارتشفت بتردد منها وأنا أحاول ترتيب أفكاري. كانت لاذعة، وجعلتني أرتجف وكدت أن أمتعض لولا أن أدركت كم سيبدو هذا الفعل وقحاً لبولمر.

«أنا.. هذا صعب».

شجعني بولمر، «نيلسون، سألت إن كنت تحدثت له اليوم».

«أجل، حسنًا، ليلة أمس وجب علي الاتصال به، أنا.. سمعت جلبة، صادرة من المقصورة المجاورة لي، رقم عشرة»، قلتها وتوقفت.

كان ريتشارد ينصت إلي، لكن كذلك حال الثلاثة الآخرين، وخاصة لارس. حسنًا، حيث إنه ليس لدي

خيار، ربما يمكنني تحويل هذا لصالحى، أقيت نظرة سريعة على وجوه المتحلقين، فى محاولة لاستشفاف ردود أفعالهم، وأبحث عن أى أثر للشعور بالذنب أو القلق. ومن بين الثلاثة، رأيت شفتى لارس الرطبتين والحمراوين مضمومتين فى حالة من الشك وعدم التصديق، وعينى كلوى الخضراوين متسعيتين بفضول صريح، أما كول فهو الوحيد الذى بدا قلقاً.

قال بولمر، «مقصورة بالمجرىن أجل». كان مقطباً لجبينه ومتحيراً وكأنه يسأل أين سيؤدى هذا. «اعتقدت إنها خاوية، ألقى سولبيرج حجزه، أليس كذلك؟».

«ذهبت إلى الشرفة»، قلت وأنا أكتسب زخفاً، ورمقت ببصري المستمعين مجدداً. «وعندما بحث فى الخارج لم أجد أحداً هناك، لكنى رأيت دمًا على حاجز الأمان الزجاجى».

قال لارس، «يا إلهى». كان يضحك صراحة الآن، ولا يحاول حتى أن يخفى عدم تصديقه. «أهذا شيء من رواية ما».

أكان يحاول متعمداً التشكيك فى روايتى والإخلال بتوازنى؟ أم كان هذا سلوكه الطبيعى؟ لم أستطع القول.

«واصل الحديث»، قالها لارس بشيء أقرب إلى التهكم. «أنا منتظر بفارغ الصبر لأعرف ما سينم عنه هذا».

«سمح لى مسؤول الأمن لديك بالدخول»، قلتها لريتشارد بصوت أقوى وأسرع الآن. «لكن المقصورة كانت خاوية، والدم على الزجاج صار..».

صدر صوت انفلاق زجاج وتناثر سائل فتوقفت.

استدردنا لنجد أن كول يحمل شيئاً ما على جانب
المغطس الفوار ويداه تنقطان بالدماء، وتسيل
الدماء من أصابعه على سطح السفينة الخشبي
الباهت.

قال بثقل، «أعتقد أنني بخير، آسف يا ريتشارد، لا
أعرف كيف، لكنني أسقطت الشمبانيا مني و..».
مد يده بحفنة من قطع زجاج متناثرة وملطخة
بالدماء.

فابتلعت كلوي ريقها وأغمضت عينيها بقوة. «أف!»
وامتزج وجهها باللونين الأخضر والأبيض. «يا إلهي،
لارس..».

وضع ريتشارد كوبه، ورفع نفسه من المغطس
الفوار، بينما تصاعد بخار الماء من جسده شبه
العاري في الهواء البارد، وأمسك بعباءة بيضاء من
على كومة على المقعد الطويل. لدقيقة لم يتفوه
بكلمة، بل كان ينظر لا مبالياً إلى يد كول ودفق
الدماء المنسال منها على سطح السفينة، وألقى
نظرة إلى كلوي التي بدت على مشارف فقدان
الوعي، ثم أصدر سلسلة أوامر وكأنه جراح يلقي
بأوامره في غرفة عمليات.

«كول، لأجل الرب ضع كومة الزجاج هذه،
سأستدعي يولا لتساعد في تنظيفك. لارس، اذهب
بكلوي لتتمدد، امتقع وجهها وصار أبيض كالطباشير،
أعطها حبوب (فالسيوم) المهدئة إن تطلب الأمر هذا،
لدي إيفا تصرّيح باستخدام المعدات الطبية، وأنت
يا سيدة بلاكلوك..». استدرد نحوي ثم تمهل، على
ما يبدو إنه يوازن كلماته بحرص شديد وهو يحزم
برنسه حول نفسه. «سيدة بلاكلوك، رجاء تفضلي
بالجلوس في المطعم وعندما أرتب هذه الفوضى
سوف نراجع ما رأيته وسمعته بالفعل».

20

مع نهاية الساعة التالية، استطعت أن أفهم لماذا وصل ريتشارد بولمر إلى ما وصل إليه في الحياة.

إنه لم يراجع معي قصتي فحسب؛ بل إنه أضواني من التعب في كل كلمة نطقت بها، ويحاصرني في التفاصيل ويستخرج التفاصيل التي لم أعرفها حتى.. مثل الشكل المحدد للدم المتناثر على الحاجز الزجاجي والطريقة الملطخ بها وليس متناثراً بها على السطح.

لم يملأ أي ثغرات بتوقعات ولم يحاول أن يرشدني أو يقنعني بتفاصيل لم أتيقن منها، بل جلس وأطلق علي أسئلته بين رشقاته قهوته السوداء الساخنة، بعينين زرقاوين لامعتين للغاية: في أي وقت؟ ولأي مدة؟ ومتى كان هذا؟ ومدى ارتفاع صوت الجلبة؟ وكيف بدت؟ وبينما يتحدث، اختفت تلك اللهجة العامية الخفيفة في كلامه، وصارت نبرته من طبقة النبلاء الخالصة ومائة في المائة عملية. أولى قصتي انتباهاً تاماً بتركيز شديد وبلا أي عاطفة في وجهه.

لو أن أحدهم كان يمشي على سطح السفينة بالخارج واختلس النظر من النافذة، لما عرف أبداً أنني أخبرته للتو عن شيء يمكن أن يسد لكمة قاضية لشركته، وأني أمطت اللثام عن احتمالية وجود معتل نفسياً على متن سفينة صغيرة. ومع تكشف قصتي تدريجياً توقعت أن أرى ما يشبه تعنت نيلسون أو الإنكار القبلي للمضيفات، لكن مع أنني راقبت وجه بولمر بعناية لم أر أياً من هذه الصفات، وبلا أي بادرة اتهام أو استهجان. ربما كنا نحاول حل الكلمات المقاطعة نظراً لكافة المشاعر التي أبداه، ولم أستطع منع نفسي من الإعجاب

قليلاً برزانتته، مع أنه انتابني شعور غريب بأن أصبح الطرف المتلقي. لم يسعدني التعامل مع تشكيك نيلسون وحنقه، لكنني على الأقل شعرت بردة فعل إنسانية تمامًا. أما مع بولمر فلم أعرف ما كان يشعر به، هل كان مغتاضاً أم يشعر بالهلع وببساطة يستره جيداً؟ أم إنه بارد وهادئ بحق كما يبدو.

قلت في نفسي، ربما وهو يراجع معي هذا النقاش الذي خضته مع الفتاة مجدداً، فإن رباطة جأشه ببساطة هي ما كانت مطلوبة لينجز ما فعله.. يساعد نفسه بنفسه على تحسين موقفه في موضع يتعامل فيه مع مئات من الوظائف وملايين الجنيحات الاستثمارية.

أخيراً، عندما راجعنا روايتي بالسرد العكسي والمتسلسل ومن كافة جوانبها ولم يعد لدي مزيد من التفاصيل لأشاركها، جلس بولمر للحظة، وانحنت رأسه وعقد بين حاجبيه وأخذ يفكر. ثم نظر سريعاً إلى الساعة الرولكس على معصمه المسمر وتحدث.

«شكراً يا سيدة بلاكوك، أعتقد إننا تحدثنا بما فيه الكفاية، وأرى أن العاملين سيشرعون في رص الطاولات لأجل العشاء في الوقت الراهن. أسف، إن هذه التجربة كانت بائسة ومريعة جداً بالنسبة لك. إذا أذنت لي، أود مناقشة الأمر مع نيلسون والقبطان لارسن للحرص على فعل كل ما في وسعنا فعله، وربما يمكننا الالتقاء أول شيء في الصباح لمناقشة الخطوات التالية. وفي الوقت الراهن، أمل كثيراً أن تتمكني من الاسترخاء من خلال الاستمتاع بالعشاء القادم وبقيّة الأمسية عوضاً عما حدث».

سألت، «ما الخطوة التالية؟ أفهم إننا سنتجه إلى ترونديم، لكن هل من مكان أقرب في مقدورنا

التوقف عنده؟ أشعر أنه ينبغي علي إبلاغ الشرطة بهذا في أقرب فرصة ممكنة».

«يحتمل أن نجد مكانًا أقرب من ترونديم، أجل»، قالها بولمر وهو يقف على قدميه. «لكن سنصل إلى هناك في الصباح الباكر ولذلك فعلى ما يبدو إنه أفضل مكان نستطيع التوجه إليه. لو توقفنا في مكان ما بمنتصف الليل أعتقد ستقل فرصنا في إيجاد محطة شرطة مفتوحة، لكن يجب أن أتحدث مع القبطان لأعرف أفضل مسار إجرائي ينبغي علينا اتباعه. ربما لا تستطيع الشرطة النرويجية التصرف إذا ما وقعت الحادثة في مياه بريطانية أو دولية.. إنها مسألة نطاق سلطات قضائية كما تفهمين، ولا تتعلق باستعدادهم للتحقيق من عدمه، سيعتمد الأمر على كل هذه العوامل».

«وإن لم يكن؟ ماذا لو كنا في مياه دولية؟».

«السفينة مسجلة في جزر الكايمان، سينبغي علي التحدث إلى القبطان حول كيفية تأثير هذا على الموقف».

شعرت بغثيان في معدتي، قرأت تقارير عن تحقيقات جرت على السفن المسجلة في جزر الباهاما وما إلى ذلك.. إذ يرسل ضابط شرطة واحد من الجزيرة ليجري تحقيقًا متعجلًا ويزيح ملف هذه المعضلة عن مكتبه في أسرع وقت ممكن، وهذا فقط في حالة وجود قضية واضحة عن اختفاء شخص ما. فما الذي سيحدث في تلك القضية، حيث اختفى الدليل الوحيد حتى على وجود الفتاة منذ فترة طويلة؟

مع ذلك، شعرت بحال أفضل لأنني تحدثت إلى بولمر، على الأقل بدا إنه يصدقني، وأنه يأخذ قصتي على محمل الجد، على عكس نيلسون.

مد يديه يستسمحني بالمغادرة، وعندما التقت عيناه الزرقاوان الثاقبتين بعيني، ابتسم للمرة الأولى. كانت ابتسامة غير متماثلة ومثيرة للفضول جذب بها أحد طرفي شفتيه، لكنها لاءمته، وشعرت منها بشيء من التعاطف الساخر.

قلت بغتة، «ثمة شيء آخر عليك معرفته».

رفع بولمر حاجبيه، وأسقط يديه. «أجل؟».

«أنا..». ابتلعت ريقى، لم أرد أن أقول هذا لكن إذا ما تحدث لنيلسون فسيكشف له عنه على أي حال، فمن الأفضل أن يصدر مني. «احتسيت الخمر في الليلة السابقة.. السابقة لحدث هذا. وأتناول أيضًا مضادات الاكتئاب، واتبعت ذلك لعدة سنوات، منذ أن كنت في قرابة الخامسة والعشرين من العمر. فقد.. تعرضت لحدث جلل جعلني أنهار، ونيلسون.. أعتقد إنه شعر..». ابتلعت ريقى، رفع بولمر حاجبيه للأعلى.

«أتقولين أن نيلسون شكك في قصتك لأنك تتناولين أدوية مضادة للاكتئاب؟».

جفلت من صراحة كلماته، غير أنني أومأت برأسي. «لم يشكك في قدر كبير منها.. لكن أجل. علق على أدويتي وإنها لا تلائم تناول الكحول وأعتقد إنه حسب..».

لم يعلق بولمر، بل نظر إلي لا مباليا فحسب، ووجدت أن كلماتي تزيغ مني، وكأني أحاول الدفاع عن نيلسون تقريبا.

«كل ما في الأمر أنني تعرضت للسرقة قبل أن أصعد على متن السفينة، رأيت رجلاً.. اقتحم شقتي وهاجمني، واكتشف نيلسون القصة وأعتقد إنه شعر، حسنا، ليس بأنني اختلقت الأمر، لكني أني.. ربما بالغت في ردة فعلي».

قال بولمر، «أنا في غاية الحرج أن أحد العاملين بهذه السفينة جعل هذا الشعور ينتابك». أخذ بيدي وأمسك بها كأني نائبته. «رجاء صدقيني يا سيدة بلاكلوك، لقد سمعت قصتك بكل جدية».

قلت، «شكراً»، لكن تلك الكلمة الصغيرة لم توف حق هذا الارتياح الذي شعرت به أن شخص ما، شخص ما أخيراً صدقني. وليس مجرد شخص ما.. بل ريتشارد بولمر، مالك «أرورا». لو أن في استطاعة شخص ما أن يفند ما حدث، فإنه هو.

أثناء عودتي إلى مقصورتي، ضغطت بيدي على عيني، وأنا أشعر بالتعب ينهكهما، ثم مدت يدي في جيبتي لأتفقد الوقت في جوالي، الساعة الخامسة تقريباً، فيما مر هذا الوقت؟

وتلقائياً فتحت البريد الإلكتروني ونشطته عنوة.. لكن ظل الاتصال منقطعاً وشعرت بغصة من عدم الارتياح. بالتأكيد، بالتأكيد مرت مدة طويلة على هذا العطل إلى الآن؟ كان ينبغي علي أن أذكر هذا لبولمر، لكن الوقت متأخر الآن. لقد رحل.. توارى في أحد تلك المخارج الخفية المثيرة للقلق خلف حاجز ما، على ما يفترض لكي يتحدث إلى القبطان أو عبر اللاسلكي.

ماذا لو أن جودا بعث لي بريداً إلكترونياً؟ أو اتصل هاتفياً، مع أنني أشك إننا على مقربة كافية من اليابسة بحيث نلتقط شبكة جوال. هل مازال يتجاهلني؟ ولوهلة خاطفة تذكرت سريعاً يديه على ظهري ووجهي على صدره، والشعور بقميصه الدافئ أسفل خدي وشعرت بالاشتياق مع تلك القوة التي كدت أن أدهش من ثقلها.

سوف نصل إلى ترونديم غداً على أقل تقدير، ولا يمكن لأحد أن يحول بيني وبين الوصول للإنترنت

حينئذ.

«لوا» هتف صوت من خلفي واستدرت لأجد أن بين يمشي على طول الردهة الضيقة. لم يكن بالرجل الضخم لكنه بدا يملأ الردهة بالكامل، وكأنها خدعة تغير المنظور بقصة (اليس في بلاد العجائب) والتي جعلت الردهة تنكمش إلى لا شيء، ونما حجم بين أكبر وأكبر كلما اقترب.

قلت، «بين»، في محاولة لجعل صوتي يبدو مبتهجا بطريقة مقنعة.

«كيف سار الأمر؟» بدأ الحديث إلى جواري في طريقنا إلى مقصورتينا. «هل رأيت بولمر؟».

«أجل.. أعتقد أن الأمر سار على ما يرام، بدا إنه يصدقني على أي حال». لم أقل ما بدأت أفكر فيه بعد مغادرة ريتشارد، وهو إنه لم يفعل كل ما في وسعه بإظهار كافة أوراقه، لقد خرجت من هذا اللقاء وأنا أشعر بالرضا، لكن عندما فكرت مجدداً في كلماته أدركت إنه لم يعد بأي شيء.. في الواقع لم يقل بحق أي شيء يمكن اقتباسه خارج سياقه بأنه دعم غير كامل لقصتي. إذ كرر كثيراً جملاً من قبيل «لو كان هذا حقيقياً..» أو «لو أن ما تقولينه..». لم ألمس في كلامه ردوداً قاطعة عندما يتعلق الأمر بهذا.

قال بين، «أخبار عظيمة، هل سيرفاً بالسفينة؟»

«لا أعرف، بدا لي أنه اعتقد بأن الإرفاء بالسفينة لن يشكل فارقاً الآن، وأنه من الأفضل لنا المضي قدماً إلى ترونديم والوصول إليها في أسرع وقت ممكن».

وصلنا إلى مقصورتينا الآن، وسحبت بطاقة فتح الباب الإلكتروني من جيبتي.

«يا إلهي، أمل أن هذا العشاء ليس من ثمانية أطباق الليلة»، قتلها بضجر وأنا أفتح بابي. «أريد نيل قسط كافٍ من الراحة لتغدو روايتي متسقة لأجل تحقيق الشرطة في ترونديم غداً».

سأل بين، «أما زالت تلك خطتك إذن؟» وضع يده على إطار الباب، فحال دون خروجي أو إغلاق الباب، مع أنني افترضت إن هذا ليس مقصوداً إلى هذه الدرجة.

«أجل، بمجرد أن ترفأ السفينة سأذهب إلى هناك». «ألا يعتمد هذا على ما يقوله القبطان حول وضع القارب؟».

«على الأرجح، أعتقد أن بولمر يتحدث إليه في هذا الصدد الآن، لكن بغض النظر، أريد أن أسجل هذا مع شخص رسمي، حتى لو لم يستطيعوا التحقيق». حالما تدون كلماتي في ملف رسمي، سيزداد شعوري بالأمان.

قال بين بسلاسة، «أنصفت بما فيه الكفاية، حسناً، أيا كان ما سيحدث غداً فلديك سجل جنائي نظيف عند الشرطة. فلتلتزمي بالحقائق.. ولتكوني واضحة و اترك العاطفة جانباً كما فعلت مع بولمر، سوف يصدقونك، فليس لديك أي سبب لتكذبي». خفض يده وتراجع خطوة للوراء. «تعرفين أين تجدينني إن احتجتني، صحيح؟».

«أجل». ابتسمت له بتعب، وكنت على وشك أن أغلق الباب عندما وضع يده مرة أخرى على الإطار بحيث لا أتمكن من إغلاقه دون الارتطام بأصابعه.

قال عرضياً، «أه، كدت أن أنسى، هل سمعت عن كول؟».

«يده؟» كدت أن أنسى، لكنني استرجعت ما حدث

الآن بحيوية صادمة، هذا التقطير البطيء للدماء على سطح السفينة، ووجه كلوي الممتقع بلون أخضر. «يا للمسكين، هل سيحتاج إلى غرز طبية؟». «لا أعرف، لكن ليس هذا فحسب، ارتطم بكاميرته وأوقعها في الحمام الساخن في نفس الوقت.. يقول إنه لا يفهم كيف تركها قريبة إلى هذا الحد من الحافة».

«أتمازحني؟».

«لا، يعتقد أن العدسة ستكون بخير، لكن هيكل الكاميرا وبطاقة الذاكرة (الإس دي) انتهى أمرهما». أحسست بتقلب الغرفة وحركتها قليلاً، وكأن كل شيء يخرج من منظوره، ومر بذاكرتي وميض سريع لصورة الفتاة على شاشة الكاميرة الصغيرة.. صورة على الأرجح اختفت إلى الأبد الآن.

قال بين ضاحكاً، «اسمعي، لا حاجة أن تبدي تعيسة إلى هذه الدرجة! لديه تأمين أنا واثق من هذا، لكن المخزي هو ضياع الصور، إذ عرضها علينا أثناء الغداء، لقد التقط صوراً رائعة جداً، ورأيت صورة لطيفة لك من ليلة أمس». توقف ومد يده ليلمس ذقني. «أنت بخير؟».

«أنا بخير». دفعت رأسي بعيداً عنه، ثم حاولت أن أجبر نفسي على الابتسام بطريقة مقنعة. أنا فقط.. لا أعتقد أنني سأعاود الصعود على متن سفينة سياحية مجدداً، فهي لا تناسبني بحق... كما تعلم... البحر... وهذا النوع من التطويق والمحاصرة، أريد بحق أن أذهب إلى ترونديم فحسب الآن».

أحسست بخفقان شديد بقلبي، ولم أطق الانتظار حتى يبعد بين يده عن الباب ويغادر، كنت بحاجة لترتيب أفكارى، بحاجة لأتمعن في هذا.

«هل... تمانع؟» أوامات نحو يده التي ظلت على إطار الباب فهرنف ضحكًا، واستقام في وقفته.
 «بالطبع! أسف، ما كان ينبغي أن أترثر، فأنت ترغبين على الأرجح في ارتداء فستان السهرة.. صحيح؟».

قلت، «أجل». لكن بدا صوتي عاليًا وزائفًا، أزاح بين يده وأقفلت الباب بابتسامة معذرة.

وعندما رحل وضعت المزلاج ثم جلست القرفصاء واستندت بظهري على الباب الخشبي ضامة ركبتي إلى صدري ووضعت جبيني على ركبتي، هنالك جالت أمام جفوني المغمضة صورة مفاجأة. صورة لكلوي وهي تمد يدها نحو كأس الشمبانيا الخاص بها، ويدها تقطر بالماء على كاميرا كول على سطح السفينة أسفل منها.

محال أن يكون كول أو أي أحد آخر قد أسقط الكاميرة سهوًا، فلم تكن على حافة المغطس. لقد استغل أحدهم الجلبة التي حدثت خلال ما أعلنت عنه وانكسار الزجاج فالتقطها من على الأرضية ثم ألقي بها. ومحال أن أعرف على الإطلاق من كان هذا الشخص، يحتمل حدوث هذا في أي وقت.. حتى بعد أن غادرنا جميعًا سطح السفينة، ربما يكون أي من الضيوف أو العاملين تقريبًا جميعًا.. أو حتى كول نفسه.

بدت الغرفة وكأنها تطبق على صدري، فشعرت بحر قائظ وانقطاع الهواء، وعرفت إنه ينبغي علي الخروج.

وفي الشرفة باتت شبورة البحر تحيط بالسفينة من كل مكان، لكنني شهقت وملأت رئتي بالهواء البارد وشعرت بانتعاش الهواء يملأ رئتي، وأخرجني من حالة الذهول التي أعيشها، وجب علي أن أفكر.

شعرت أن كافة قطع الأحجية أمامي ، وأن في استطاعتي وضعها جميعها سوياً إن حاولت بالقدر الكافي فحسب، لولا أنني شعرت بصداع في رأسي إلى هذه الدرجة.

انحنيت على الشرفة، تماماً كما فعلت الليلة السابقة، وتذكرت تلك اللحظة.. وصوت باب الشرفة وهو يغلق خلسة، والأطيط العالي الذي شق جدار الصمت، ولطخة الدماء على الزجاج وفجأة تأكدت وتيقنت تماماً أنني لم أتخيل هذا، لم أتخيل أي شيء منه، لا مجمل الرموش ولا الدماء ولا وجه المرأة في المقصورة العاشرة. والأهم، لم أتخيلها. ولأجلها لن أسمح لهذا بأن يفلت، لأنني عرفت كيف هو حال أن أكون مثلها.. أن تستيقظي ليلاً مع شخص في غرفتك وتشعري بالعجز التام وأنت متأكدة من وقوع شيء مربع، ولا شيء في مقدورك لمنعه.

فجأة شعرت أن أجواء ليل سبتمبر هذا يتحول للبرودة، البرودة القارسة، ما ذكرني بمدى المسافة التي قطعناها إلى الشمال.. تقريباً في الدائرة القطبية الآن. فارتجفت بتشنج. وسحبت جوالي من جيبتي وتفقدت الشبكة مرة أخرى، رفعته للأعلى وكان هذا سيحسن بطريقة سحرية من الشبكة، لكنني لم أجد أي شرطة على مؤشر استقبال الشبكة. لكن غداً على أي حال، غداً سنصل إلى ترونديم، ومهما يحدث سوف أنزل من على متن تلك السفينة وأتجه مباشرة صوب أقرب محطة شرطة.

21

عندما بدأت في إعداد نفسي للعشاء تلك الليلة، شعرت أنني أضع طلاء الحرب الذي يدهنه المغاوير على وجوههم.. فطلبت طبقة من هذا القناع المهني البارد الذي سيمكنني من تجاوز هذا.

وشعرت أن جزءاً مني، جزءاً كبيراً مني، يريد أن ينزوي أسفل غطاء السرير. ففكرة الحديث الجانبي إلى جماعة من الناس من بينهم قاتل محتمل أو تناول الطعام الذي يقدمه شخص ما ربما قتل امرأة ليلة أمس.. تلك الفكرة مرعبة ومسيطرة على خيالي تمامًا.

لكن جزء آخر أكثر عناداً بداخلي رفض الاستسلام. وبينما وضعت مجمل الرموش الذي استعرتته من كلوي عند مرآة الحمام، وجدت نفسي أبحث عن انعكاسي لتلك الفتاة الغاضبة المثالية التي بدأت مسارها المهني في الجامعة منذ خمسة عشر سنة مضت، وأتذكر الأحلام التي راودتني لأصبح مراسلة صحفية وأغير العالم. عوضاً عن هذا انتهى بي المطاف كاتبة في مجلة «فيلوسيتي» لأسد فواتيري، وعلى الرغم مني تقريباً، بدأت أستمتع بها.. بل حتى بدأت أتلذذ بالمزايا وأحلم بمنصب مثل روان، بحيث أدير مجلتي الخاصة. ولا بأس بهذا.. لم أخجل من الكاتبة التي صرت عليها؛ فكما هو حال معظم الناس سأقبل بالعمل حيثما وجدته، وأحاول بذل أفضل ما في وسعي في هذه الوظيفة. لكن كيف أنظر لعين تلك الفتاة في المرأة، لو لم أملك الشجاعة للخروج والتحقيق في قصة تحقق في وجهي؟

فكرت في كافة النساء اللاتي أعجبت بهن وهن يقدمن تقارير إخبارية من مناطق الحرب في شتى

بقاع الأرض، وفي الناس الذين كشفوا الأنظمة الفاسدة واعتقلوا لحماية مواردهم وغامروا بحياتهم للوصول إلى الحقيقة. لم أتخيل مارثا جيلهورن وهي تطيع التعليمات «كفي عن التقصي»، أو كيت أدي تخبئ في غرفة فندقها لأنها خافت مما قد تكتشفه.

«كفي عن التقصي.» ظلت الكلمات على المرأة عالقة بذاكرتي. والآن وأنا أفرغ من مساحيق التجميل الخاصة بي مع مسحة من ملمع الشفاه، نفخت على المرأة وكتبت على البخار الذي بهت عليه انعكاسي كلمة واحدة: «لا».

فضلاً عن هذا، وأنا أغلق باب الحمام من خلفي وأنتعل حذاء السهرة، همس جزء أصغر وأكثر أنانية بداخلي بأنني سأصبح آمنة أكثر في وسط جمع من الناس، فلا أحد سيؤذيني أمام غرفة مليئة بالشهود. أخذت فحسب أعدل عباأتي عندما سمعت طرقة على الباب.

ناديت، «من الطارق؟».

«أنا كارلا يا سيدة بلاكوك».

فتحت الباب، ورأيت كارلا بالخارج وهي تبتسم بقليل من الدهشة التي لا تفارقها.

«مساء الخير سيدة بلاكوك، أردت فحسب تذكرك بأن العشاء خلال عشر دقائق، والمشروبات تقدم بصالة جلوس ليندجرين متى أحببت مشاركتنا».

قلت، «شكراً»، وما إن استدارت لتصرف اندفعت وناديتها، «كارلا؟».

«أجل؟» استدارت مجدداً، ورفعت حاجبها حتى بدا وجهها المستدير شبه متحرز. «هل ثمة شيء آخر يمكنني مساعدتك به؟».

«أنا... لا أعرف. إنه فحسب..». التقطت نفساً عميقاً، في محاولة للتفكير في كيفية صياغة الكلمات. «عندما جئت وتحدثت إليك من قبل اليوم في مكان العاملين شعرت وكأن... وكأنه يوجد شيء آخر يمكنك إخباري به، وأنت ربما لم ترغب في الحديث أمام السيدة ليدمان، وأردت فحسب أن أقول بأنني سأذهب إلى ترونديم غداً للحديث إلى الشرطة عما رأيت، فإذا كان هناك أي شيء - أي شيء على الإطلاق - أردت قوله، فالوقت الراهن مناسب بحق لتخبريني. وسأحرص على القول بأن المصدر مجهول». فكرت مجدداً في مارثا جيلهورن وكيت أدي، عن نوع المراسلة التي أردت أن أصبح عليها يوماً ما. قلت بصوت مقنع قدر الإمكان «أنا صحفية، وتعرفين هذا، نحن نحمي مصادرننا. هذا جزء من الصفقة».

لم تنبس كارلا بينت شفة، لكن شبكت بين أصابعها فحسب.

شجعته، «كارلا؟» وللحظة اعتقدت أن في عينيها الزرقاوين دموع، لكنها طرفت بعينيها لكف الدمع. قالت، «أنا لست..». ثم تمتمت بلغتها.

قلت، «لا بأس، يمكنك أن تخبريني، وأعدك إن ما تقولينه لن يخرج بيني وبينك، أنت خائفة من أحدهم؟».

قالت بكأبة، «ليس هذا ما في الأمر، أنا حزينة لأنني أشعر بالأسف عليك. يقول يوهان إنك تختلقين هذا، وإنك... ما هي تلك الكلمة؟ مصابة بجنون الارتياب، وإنك... تسعين للفت الانتباه باختلاق القصص، ولا أصدق هذا، لكنني أصدق إنك إنسانة طيبة وإنك تؤمنين بأن ما تقولينه حقيقي. لكن يا سيدة بلاكلوك، نحن بحاجة لوظائفنا، لو قالت

الشرطة بأن سوء حاق بهذه السفينة، لن يرغب أحد في السفر معنا، وربما لا يتيسر إيجاد وظيفة أخرى، أنا بحاجة لهذا المال، لدي ابن صغير، إريك، في البيت مع مربيته، وهي بحاجة للمال الذي أرسله إليها، فليس لمجرد أن شخصاً ما ربما سمح لصديقة باستخدام مقصورة خاوية أن هذا يعني بأنها قتلت كما تعرفين؟».

استدارت لترحل.

«مهلاً»، وضعت يدي على ذراعها في محاولة لاثنيها عن الرحيل. «ماذا تقولين؟ أنه كانت توجد فتاة هنا؟ هل هربها شخص ما على متن السفينة؟».

«أنا لا أقول شيئاً». سحبت ذراعها من قبضتي.

«أقول لك، رجاءً يا سيدة بلاكوك، لا تثيري المشاكل إن لم يحدث شيء».

ثم ركضت على طول الممر ونقرت بشيفرة الدخول على باب العاملين ثم اختفت.

في طريق صعودي إلى صالة جلوس ليندجرين وجدت نفسي أعاد مراجعة المحادثة في رأسي، في محاولة لأستشف ما تعنيه، هل رأت شخصاً ما في المقصورة أم شكت في وجود شخص ما هناك؟ أم فقط تنازعها نفسها بين التعاطف لأجلي وخوفها مما قد يحدث إذا كان ما أقوله حق؟

وخارج صالة الجلوس تفقدت جوالي خلسة، على أمل أن نكون على مقربة بما فيه الكفاية من الياصة لالتقاط شبكة، لكنني لم أجد شيئاً، وبينما أضعه في الحقيبة المسائية رأيت كاميليا ليتمان تصعد للأعلى.

«هل أخذ هذه نيابة عنك يا سيدة بلاكوك؟» أشارت إلى الحقيبة، فهزرت رأسي نافية.

«لا أشكرك». فجوالي مضبوط ليصدر رنيناً عند

اتصاله بشبكات الجوال، ولو التقت إشارة، أريده إلى جوارى بحيث أتصرف على الفور.

«حسنًا مفهوم، هل أقدم لك كأس شمبانيا؟» أشارت إلى صينية على منضدة صغيرة إلى جانب المدخل، وأومات براسي ثم تناولت كأسًا طويلًا. عرفت إنه ينبغي علي تصفية ذهني لأجل غد، لكن لن يضير كأسًا واحدًا لأتحلى بالشجاعة الدنماركية. قالت، «فقط لأعلمك يا سيدة بلاكوك أن الحديث على أضواء الشفق القطبي ألغي هذه الليلة». نظرت إليها بانشداه وأدركت أنني نسيت مجددًا تفقد خط سير الرحلة.

شرحت عندما رأت تعبيراتي، «كان يفترض تقديم عرض عن الشفق القطبي عقب العشاء، مع كلمة من اللورد بولمر وصور من السيد ليديرر، لكن لسوء الحظ فقد ألغى السيد بولمر هذا الأمر برمته على عجلة وجرح السيد ليديرر يده، لذلك أعيد ترتيب جدول الأعمال لأجل الغد، بعد عودة المجموعة من ترونديم».

أومات براسي مجددًا، واستدردت إلى باقي الغرفة لأرى من تخلف عن الحضور أيضًا.

تغيب كل من بولمر وكول، كما قالت كاميلا، ولم أجد كلوي أيضًا، وعندما سألت لارس قال إنها شعرت بالتعب وتمددت في غرفتها. كانت أن بولمر حاضرة، مع إنها بدت شاحبة، ورفعت كأسها نحو شفتيها، انزلقت عباءتها لتتكشف عن كدمة أرجوانية غائرة في عظم الترقوة، ورأيتني أرمقها بنظري فأشاحت بوجهها سريعًا، ثم ضحكت على استحياء.

«أعرف أنها تبدو مريضة أليس كذلك؟ تعثرت أسفل المنضح لكنني أتعامل بسلاسة مع الكدمات الآن، إنها

تبدو أسوأ مما هي عليه، وهذا للأسف تأثير العلاج الكيماوي».

بينما كنا نجلس على مقاعدنا لأجل العشاء، رأيت بين يسحب المقعد المجاور لمقعده المقابل لأرشر، لكنني تظاهرت بعدم رؤيته، وعوضاً عن هذا جلست على الكرسي الأقرب من حيث وقفت، إلى جوار أوين وايت. كان يتحدث إلى تينا لوقت طويل حول اهتماماته المالية ودوره في الشركة الاستثمارية التي يعمل فيها.

وبينما أنصت بقليل من الانتباه لحديثهما وقليل من الانتباه لباقي الطاولة، أدركت أن الحديث تحول وإنه يتحدث بصوت خفيض وكأنه غير مستعد لأن يسمع.

أسر القول إلى تينا، «... بأمانة شديد، لا. أنا فقط غير مقتنع بنسبة مائة في المائة أن هذا التجهيز مستدام.. فهذا نطاق استثماري مخصص جداً، لكنني لا أعتقد أن بولمر سيقابله أي مشكلة في تحصيل فائدة من مكان آخر. وبالطبع لديه مخزون وفير من المال الخاص به، أو حتى مع أن، لذلك بإمكانه الانتظار حتى صعود الشخص المناسب على متن السفينة، من المؤسف أن سولبيرج لم يستطع المجيء فهذا اختصاصه إلى حد كبير».

أومأت تينا برأسها بحصافة، ثم انتقل الحديث إلى مواضيع أخرى.. وجهات قضاها فيها عطلات سوية، هوية تلك المكعبات الخضراء المشعة الهلامية التي ظهرت فجأة على الأطباق أمامنا، والتي أحيط بها أكوام صغيرة من شيء على ما أعتقد إنه طحالب بحرية. تركت بصري يسافر عبر الغرفة، تحدث أرشر بشيء ما إلى بين وهو يقهقه. بدا ثملاً، وتلوت بالفعل ربطة العنق الفراشية التي يرتديها. وعلى

نفس الطاولة تحدثت أن إلى لارس، لم أجد أثراً للدموع التي رأيته قبلاً عصر ذلك اليوم، لكن في تعبيراتها شيء ملتحاق، وابتسامتها وهي تومئ برأسها على شيء يقوله لارس، ابتسامة مجهدة.

«تأملين في مضيقتنا؟» قالها صوت خفيض عبر الطاولة، واستدرت لأرى أليكسندر يحتسي كأسه. «إنها غامضة تمامًا، تبدو ضعيفة، ومع ذلك يقولون إنها القوة التي صنعت عرش ريتشارد، يمكنك القول إنها القبضة الحديدية في القفاز الحريري. أفترض أنه بوجود ذلك القدر من المال منذ الطفولة الذي يسيل فيه لعاب معظم الأطفال على وجبات رقائق الذرة الخاصة بهم له تأثير يسلب من الشخصية». سألت، «هل تعرفها جيداً؟».

هز أليكسندر رأسه. «لم ألتق بها قط، يمضي ريتشارد نصف وقته على طائرة، لكنها لا تغادر النرويج أبداً تقريباً. وهذا غريب جداً بالنسبة لي، كما تعرفين أنا أعيش لأجل السفر ولا أتخيل أن أحصر نفسي في دولة صغيرة جداً مثل النرويج وفي انتظاري مطاعم وعواصم العالم. لن تتذوق أبداً خنزيراً رضيعاً في مطعم (البولي) أو تتناول ذلك المزيج الرائع من الاكلات للطاهي جاجان في بانكوك! لكني أفترض أن هذه ردة فعل ضد طريقة تنشئتها. أعتقد إنها فقدت أبويها في حادث تحطم طائرة في سن الثامنة أو التاسعة وأمضت بقية طفولتها وهي تنتقل بين المدارس الداخلية بأوروبا برعاية من جدودها. أتخيل إنك قد تختارين سلك الطريق الآخر في سن الرشد».

التقطت شوكتة وبدأنا الأكل عندما سمعت جلبة عند الباب ونظرت للأعلى لأرى كول ينتظر بارتباك عبر الطاولة.

«سيد ليديررا» هرعت إحدى المضيفات لتأخذ مقعداً إضافياً من المقاعد على جانب الغرفة. «سيدة بلاكلوك، أستمحك فحسب..».

حركت طبقي ومقعدي قليلاً فوضعت المقعد على رأس الطاولة لأجل كول، والذي ارتدى أثقله عليه. ربطت ضمادات على يده وبدأ وكأنه احتسى كثيراً من الشراب.

«لا، لن أحتسى الشمبانيا»، قالها وهو يرد على هاني التي رفعت إليه الصينية. «سأتناول الاسكوتش».

أومأت هاني برأسها وأسرعت لتلبية طلبه، فيما جلس كول على مقعده ثم مسح بيده على وجهه غير الحليق.

قلت بحرص، «يوسفني ما حدث لكاميرتك». عبس، فعرفت إنه قد احتسى الكثير من الشراب بالفعل.

قال، «إنه كابوس مقيت، وأسوأ ما فيه إنه خطأي اللعين، كان ينبغي علي الاستعداد». سألته، «هل ضاعت كل صورك؟».

هز كول كتفيه. «ليست لدي فكرة، لكن أجل على الأرجح، لدي رجل في لندن ربما يتمكن من استخراج بعض البيانات، لكنها تظهر عبثاً عندما أوصلها بحاسوبي، ولا تقرأ حتى بطاقة الذاكرة».

قلت، «أسفة بحق». وشعرت بخفقان سريع في قلبي، لم أعرف إن كان هذا معقولاً، لكنني عرفت أنه ليس لدي ما أخسره الآن. «أكانت كلها صوراً من الرحلة؟ أعتقد أنني رأيت صورة من مكان آخر...؟»

«أه، أجل، كنت أبادل بين البطاقات، وبها عدد من الصور التقطتها منذ بضعة أسابيع عندما كنت في

(ماجلان)..».

عرفت (ماجلان).. إنه ناد حصري جداً وعضويته للرجال فحسب في ميدان بيكاديلي، والذي تأسس على إنه مكان للقاء الدبلوماسيين وما وصفهم النادي بأنهم «المسافرين اللطفاء». لم يسمح لأية امرأة بالدخول كعضوة، لكن سمح للضيفات من النساء وقد حضرت الفاعليات هناك مرة أو مرتين نيابة عن روان.

سألته، «هل أنت عضو؟».

فنخر. «ليس هذا محتملاً، هذا ليس النمط المناسب لي، حتى لو سمحوا لي بالدخول وهذا محل شك، فهذا فظ جداً بالنسبة لذوقي.. فأني مكان لا يسمحون فيه لك بارتداء الجينز لا يدخل ضمن تفضيلاتي. أنا أفضل أكثر (ذا فرونت لاين)، لكن أليكسندر عضو فيه على أي حال، وكذلك بولمر على ما أعتقد. تعرفين بواطن الأمور، إما أن تكوني أنيقة جداً لتلائمي المكان أو فاحشة الثراء، ولحسن الحظ لست أيأ منهما».

شقت كلماته جدار صمت عم فجأة، فترددت بصوت عالٍ جداً وتناهت إلى المسامع؛ ورأيت بضعة رؤوس تلتفت نحونا وأومات أن إلى المضيئة برأسها في إشارة تعني قدمي له الطعام قبل الويسكي.

قلت، «إذن ماذا كنت تفعل هناك؟» وأنا أحافظ على صوتي منخفضاً، وكأن في استطاعتي إقناعه أن يعدل من نبرته إذا ما نفثت هذا في زوعه.

«صوراً لأجل مجلة «هاربرز»». وصل طبقه وبدأ يلتقم الطعام من الصحن بعشوائية، ويدس في فمه لقيمات هشة على أشكال معينة دون حتى أن يذقها. «لأجل لقاء على غداء حسبما أعتقد، لا أتذكر،

يا إلهي!» نظر إلى يديه فرأى الشوكة تتزن بطريقة غريبة على الضمادات. «هذا ألم حاد. محال أن أجول حول كاتدرائية ترونديم بهذه الحال البائسة غداً، سأذهب إلى طبيب للكشف على هذا الجرح وأحصل على بعض المسكنات الملائمة».

بعد العشاء أخذنا قهوتنا إلى صالة الجلوس ووجدت نفسي أقف إلى جوار أوين وايت، وكلانا يحدق خارج النافذة السامقة نحو الضباب. أوما برأسه بأدب لكنه لم يبد متعجلاً على افتتاح المناقشة. حاولت التفكير فيما كانت ستفعله روان، هل ستغريه؟ أو تنحيه جانباً وتذهب للحديث إلى شخص أكثر نفعا لمجلة «فيلوسيتي»؟ أرشربما؟

ألقيت نظرة جانبية على أرشر ووجدت إنه شرب حتى الثمالة وقد زلق هاني في أحد أركان الصالة وظهرها إلى النافذة، فيما حاصرها هو بجثته الضخمة، أمسكت هاني بوعاء قهوة في إحدى يديها وتبسمت بأدب مع بعض الحذر، قالت شيئاً وأومات نحو وعاء القهوة، على ما يبدو إنها تطلب الإذن للمغادرة، لكنه ضحك ووضع ذراعه الضخم حول كتفها دلالة على التملك ما جعل بدني يقشعر قليلاً. قالت هاني شيئاً آخر لم أستوعبه، ثم انزلت من بين قبضتيه ببراعة متقنة. وللحظة بدا وجه أرشر خليطاً من الحماسة والحنق، لكنه بدا وكأنه أزاح هذا عن كاهله وذهب للحديث إلى بين.

استدرت إلى أوين وايت وتنهدت، مع أنني لم أكن متأكدة إذا تنهدت ارتياحاً لأجل هاني أم استكانة لأجل نفوري من التعامل مع المكروهين، حتى ولو لأجل مسيرتي المهنية.

أما أوين فبدا على العكس غير مؤذ إلى حد مطمئن، مع أنني أدركت وأنا أنظر خلسة إلى وجهه

في انعكاس الزجاج الداكن الضبابي إنه ليست لدي فكرة حقيقية ما إذا كان سيصبح مفيداً لمجلة «فيلوسيتي» أم لا. قال بين إنه مستثمر لكن وايت ظل منطوياً على نفسه إلى حد كبير في تلك الرحلة حتى إنه ليس لدي انطباع واضح لما يبدو بحق عليه. ربما سيكون المستثمر الملاك الملائم لتلك المجموعة، لو أن مالكة مجلة «فيلوسيتي» قررت الاستثمار في مجال مربح. في كل الأحوال، ليست لدي رغبة لأن أعبّر إلى الجانب الآخر من الغرفة.

بدأت الحديث بحرج، «إذن، أهأ، أشعر إننا لم نتعرف إلى بعضنا بالقدر الكافي، اسمي لورا بلاكوك، وأنا صحفية سياحية».

قال ببساطة، «أوين وايت»، لكني لم أستشعر أي بادرة صد في نبرته؛ بل ترك لدي انطباعاً بأنه رجل قليل الكلام، مد يده وصافحتها متعثرة بيدي اليسرى التي كانت تحمل كعكة فرنية، لكنها بدت أفضل من يدي اليمنى التي تحمل فنجان قهوة ساخن.

«إذن ما الذي جاء بك إلى «أرورا» يا سيد وايت؟»
«أعمل لشركة استثمارية»، قالها وارتشف من القهوة طويلاً. «وكان بولمر على ما أعتقد يأمل أن أوصي «بأرورا» كفرصة استثمارية».

«لكن.. بالنظر إلى ما كنت تقوله لتينا، فلن تصبح تلك توصيتك؟» قلتها بحرص، وتساءلت إن كان من سوء الأدب الاعتراف باستراق السمع، مع أنني لم أستطع منع نفسي من قول هذا أو ما برأسه، ولم يبد ممتعضاً.

«هذا هو الحال، ينبغي أن أعترف، فهذا ليس مجالي بحق، لكنني شعرت بالإطراء من دعوتي للحضور وأنا أفسد من أن أفوت فرصة رحلة

مجانية. وكما كنت أقول لتينا، من العار أن سولبيرج لم يستطع المجيء».

سألته، «كان يفترض أن يقيم في المقصورة العاشرة أليس كذلك؟» أوما أوين برأسه، وشعرت فجأة إنه ليس لدي صورة واضحة عن كان سولبيرج المفقود هذا أو لماذا لم يأت. «هل أنت.. أعني، هل تعرفه؟ أعني سولبيرج؟».

«أجل أعرفه جيداً، كنا في نفس مجال العمل، إنه يقطن في النرويج لكن مكثي الرئيسي في لندن، غير إنه عالم صغير نعمل فيه. فالمرء يعرف كافة منافسيه، وحتماً إن الأمر سيان في الصحافة كما أتخيل». ابتسم وهو يبتلع كعكة فرنية، وبادلته الابتسام إقراراً مني بحقيقة ملاحظته.

سألته، «إذن لو أن هذا ما يفضله لماذا لم يأت؟». لم يقل أوين وايت شيئاً، وللحظة تساءلت إن كنت تماديت، أو ما إذا كنت جريئة جداً في تساؤلاتي، لكنه ابتلع ريقه وأدركت إنه منزعج بعض الشيء من الكعكة.

«حدث اقتحام»، قالها بفم مليء بمكسرات الكعكة وابتلع الأكل مجدداً. «في منزله على ما أعتقد، وسرق جواز سفره لكني أعتقد أن هذا جزء فحسب من سبب عدم مجيئه.. فحسبما فهمت أن زوجته وأطفاله كانوا في المنزل، وشعروا بالصدمة جراء السرقة، ولتقولي ما تشائين عن الشركات الاسكندنافية..». توقف مجدداً وابتلع الكعكة بطريقة بطولية هذه المرة. «غير إنهم يفهمون أهمية وضع العائلة في المقام الأول. عزيزتي، أنصحك ألا تجري حلوى النوجا تلك مالم تكن أسنانك سليمة تماماً، أعتقد أنني خسرت حشو ضرسى».

«ليس النوجا» تناهت تلك الجملة إلى مسامعي

من الخلف وأنا أحاول فهم ما قيل للتو. فاستدرت لأرى أليكسندر يحدق إلى كلينا. «أوين، رجاء أخبرني إنك لم تأكلها».

«بل فعلت». تجرع أوين من القهوة وتمضمض بها وهو يجفل قليلاً. «للأسف».

«على أقل تقدير يجب على طاقم العمل أن يحمل لافتة تحذيرية بالمخاطر الصحية على الأسنان. أنت»، أشار إلي. «ما يلزم بصفتك تعملين في التحقيقات الصحفية، فمجلة «فيلوسيتي» ستكشف بجماحتها الصلات المشبوهة لريتشارد بولمر مع العاملين في تجميل الأسنان. في هذا الصدد وبشأن الحادثة الأخرى، أعتقد أن ضيوف المستقبل على تلك السفينة السياحية سيعتبرون إنه من الصعب جداً الحصول على تأمين صحي، ألا تعتقدين هذا؟».

«الحادثة الأخرى؟» قلتها بحدة في محاولة لأتذكر ما قلته لأليكسندر، كنت متأكدة أنني لم أذكر له القصة الكاملة للحادثة. هل حكى لارس المحادثة التي دارت في المغطس الساخن؟ «ما الحادثة الأخرى التي تتحدث عنها؟».

قال أليكسندر بعينين مفتوحتين بطريقة مسرحية، «لماذا، يد كول بالطبع، ما الذي تفكرين فيه؟».

بعد القهوة تفرق الجمع واختفى أوين بهدوء دون سلام، واستأذن لارس بصوت عال وهو يلقي مزحة حول كلوي، أما بولمر فلم أعثر عليه وكذلك أن.

«هلا جئت لتجرع كأس صغير عند المشرب؟» قالتها تينا لي وأنا أضع فنجانني على منضدة جانبية. «سوف يتبول أليكسندر على البيانو هنا».

قلت، «أنا، لست واثقة». كنت ما أزال أمحص ما قاله لي أوين وايت ونحن نحتسي القهوة بشأن

اقتحام منزل سولبيرج، ما معنى هذا؟ «ربما أخلد إلى النوم».

«بين؟» خنخت تينا.

نظر إليّ. «لو؟ أتريديني أن أصحبك إلى مقصورتك؟».

قلت، «لا حاجة لذلك، أنا بخير، واستدرت لأرحل، وصلت إلى الباب تقريبًا عندما شعرت بيد تمسك بمعصمي وتديرني، يد بين».

قال بهدوء، «مهلاً، ماذا يجري؟».

«بين». ألقيت نظرة من خلفه على الضيوف الآخرين، يضحكون ويتبادلون الأحاديث بوضوح بينما أخذت المضيفات ينظفن من حولهم. «للتجنب فعل هذا هنا، لا شيء يجري».

«لماذا تتصرفين إذن بتلك الغرابة طوال العشاء؟ لقد رأيتني وأنا أحجز لك المقعد وتجاهلتني عن عمد».

«لا شيء يجري». شعرت بضغط هائل في صدغي، وكأنني أنفس عن الغضب الذي كظمته طوال الليل. «لا أصدق، هيا، افصحي عن نواياك».

«لقد كذبت عليّ». انفجرت فيه بهمس غاضب، قبل أن أتدبر فيما إذا كان هذا الاتهام حقيقًا، أخذ بين على حين غرة من وقع الكلمة. «ماذا؟ لا لم أفعل!».

«حقًا؟» هكذا قلت بفحيح. «إذن لم تغادر المقصورة قط عندما كان الجميع يلعبون البوكر؟».

«لا!» صار دوره الآن ليلقي نظرة من خلفه على الضيوف الآخرين. كانت تينا تنظر إلينا فاستدار وخفض صوته. «لا، لم أفعل.. أه، لا، مهلاً، ذهبت لأحضر محفظتي، لكن هذه ليست كذبة.. ليست

كذلك حقًا».

«ليست كذبة؟ أخبرتني تفصيليًا ألا أحد غادر المقصورة، ثم اكتشفت من كول إنك لم تغادر فحسب، لكن كان في استطاعة أي أحد أن يغادر أيضًا، أثناء غيابك».

تمتم، «لكن هذا مختلف، لقد غادرت، يا إلهي، لا أعرف متى، لكن ذلك في زلفة الليل، ليس في نفس الوقت الذي تحدثت عنه».

«لماذا كذبت بشأن هذا إذن؟».

«لم تكن كذبة! أنا لم أفكر فحسب، يا إلهي، لو..». لكنني لم أتركه ليفرغ من عبارته، بل سحبت معصمي من قبضته، وأسرعت عبر الباب نحو الردهة تاركة إياه يحدق في دهول.

انشغلت جداً بتفكيري في بين وأنا أنعطف عند الركن حينما ارتطمت فجأة بإحداهن، كانت آن، وقفت مستندة إلى الجدار وكأنها تختلي بنفسها لغرض ما، غير أنني لم أعرف ما إذا كانت ستعود إلى الحفل أم ترجع إلى مقصورتها مجدداً، بدا إنها ضنيت من المرض، بوجه رمادي، والظلال حول عينيها داكنة أكثر من أي وقت مضى.

«أها، أنا في غاية الأسف!» شهقت، ثم فكرت في الكدمة على عظم الترقوة، «لم أؤذيك أليس كذلك؟».

ابتسمت، وتجددت البشرة الرقيقة حول فمها، لكن ذلك التعبير لم يصل إلى عينيها. «أنا بخير، لكنني متعبة جداً فحسب. أحياناً..». ابتلعت ريقها وتحشرج صوتها للحظة، شعرت بضعف لهجتها الإنجليزية الخالصة. «أحياناً يبدو أن هذا كله يفوق قدرتي على الاحتمال.. هل تعرفين ما أعنيه؟ هذا

الأداء».

«أعرف»، قلتها بتعاطف.

قالت، «أستاذك بالانصراف، سأوي إلى فراشي»، وأومات براسي واستدرت لأجعلها تمضي قدماً، إلى الأسفل نحو درجات السلم التي تؤدي لمجموعة المقصورات الخلفية.

وصلت تقريباً إلى عتبة باب جناحي عندما سمعت صوتاً غاضباً من خلفي.

«لوا لو، مهلاً، لا يمكنك إلقاء هذا النوع من التهم وتنصرفين».

سحقاً، إنه بين. شعرت بدافع قوي لكي أتملص داخل مقصورتي وأصفع الباب، لكنني أجبرت نفسي على مواجهته وظهري إلى الجدار المكسو بالألواح الخشبية.

«لم ألق اتهامات، بل قلت ما أخبروني إياه».

«لقد ألمحت إلى درجة كبيرة إنك تشكين في، الآن! لقد عرفنا بعضنا لأكثر من عشر سنوات! هل تدركين كيف يجعلني هذا أشعر.. قدرتك على اتهامي بالكذب هكذا؟».

لمست في صوته إحساساً مخلصاً بالأذى، لكنني رفضت أن ألين له. فقد كان ذلك أفضل أساليب بين في الجدل عندما كنت برفقته، أن يغير الحديث بعيداً عن أي شيء كان يضايقني إلى حقيقة أنني أذيت مشاعره وأني أتصرف بطيش. ومرة تلو الأخرى كان ينتهي بي المطاف بالاعتذار نظراً لحقيقة أنني أزعجته.. أما مشاعري الخاصة فتتجاهل تماماً، ودائماً في خضم ذلك الجدل يفضي هذا إلى نسيان الموضوع الذي أثار الخلاف في المقام الأول، ولن أقع في هذا الفخ الآن.

«أنا لا أجعلك تشعر بأي شيء»، قلتها في محاولة لجعل صوتي متزنًا. «أنا أقر بحقائق». «حقائق؟ لا تكوني سخيفة!».

«سخيفة؟» ربت ذراعي. «ما معنى هذا؟».

«أعني»، قالها بحدة، «أنك تتصرفين بجنون ارتياب تام، أنت ترين البعبع خلف كل ركن! ربما كان نيلسون...».

توقف، وأحكمت قبضتي حول حقيبة السهرة الرقيقة، وأنا أشعر بكتلة جوالي الصلبة أسفل الترتر المتزعزع عليها.

«هيا واصل؟ ربما كان نيلسون... ماذا؟».

«لا شيء».

«ربما كان نيلسون على صواب؟ ربما أتخيل أشياء؟».

«لم أقل هذا».

«لكن هذا ما لمحت إليه، صحيح؟».

«أنا أطلب منك فحسب أن تتراجعني خطوة للخلف وتنظري إلى نفسك يا لو، أعني، انظري إلى هذا بعقلانية».

أجبرت نفسي على التحكم في أعصابي وابتسمت. «أنا متعلقة، لكن سيسعدني للغاية أن أراجع خطوة للخلف». وعندما قلت هذا فتحت باب الجناح وتراجع خطوة للداخل ثم صفعت الباب في وجهه.

«لوا» سمعتها من الخارج مع طرقة على الباب، ثم توقف. «لوا».

لم أقل شيئًا، بل وضعت المزلاج والسلسلة، فلن يدخل أحد عبر هذا الباب إلا ودكت يده، على الأقل بين هوارد.

بدأ في الحديث، «لوا اسمعي، هلا تحدثت

إلي فحسب؟ هذا يخرج عن السيطرة بحق، هلا أخبرتني على الأقل بما ستقولينه للشرطة غداً؟» توقف في انتظاري لأرد. «هل تسمعينني حتى؟».

تجاهلته، وألقيت بحقيبتني على الفراش وخلعت عباءة السهرة ثم سرت نحو الحمام، أغلقت الباب وأدريت صنابير الاستحمام لأغطي على صوته، وعندما انزلت داخل الماء الساخن إلى حد محرق وأغلقت الصنابير، تناهى إلى مسامعي فحسب الطنين اللطيف للشفاط، حمداً للرب، أعتقد إنه استسلم أخيراً.

لقد تركت جوالي في غرفة النوم، لذلك لم أكن متأكدة من التوقيت عندما خرجت من الحمام، لكن أصابعي تشبعت بالماء وتجمدت وشعرت بتثاقل من النوم، لكن بطريقة رائعة على عكس الإجهاد المتوتر والحاد تماماً على مدار الأيام القليلة الماضية، وبينما أخذت أنظف أسناني جففت شعري وحزمت نفسي بالبشكير وفكرت في النوم الهانئ الذي سأحظى به تلك الليلة، والقصة المنطقية والتي تدربت عليها بإتقان وسأرويها غداً للشرطة.

ثم.. يا إلهي، شعرت بالضعف تقريباً من الراحة التي انتابتنني من التفكير في هذا، ثم سأستقل حافلة أو قطاراً أو أياً ما كانت المواصلة للعينة الموجودة في ترونديم وأصل إلى أقرب مطار وإلى المنزل.

عندما فتحت باب المقصورة، حبست أنفاسي، وأنا شبه متوقعة لبين وهو يتخبط ويصرخ لمعاودة الكلام من جديد، لكني لم أسمع أي صوت. مشيت بحرص نحو الباب بقدمين صامتتين على السجادة الباهتة السمكية، ورفعت الغطاء عن العدسة السحرية، نظرت بالخارج إلى الردهة ولم أجد أحداً

بها، على الأقل لا أحد أستطيع تمييزه.. وعلى الرغم من العدسة السحرية إلا أنني لم أستطع إلا رؤية جزء من الردهة، لكن ما لم يكن بين متمدداً على الأرضية أسفل الباب فإنه رحل.

تنهدت والتقطت حقيبة السهر التي تركتها لأتفقد الوقت على جوالي وأضبط المنبه لأجل غد، فلن أنتظر حتى توقظني كارلا.. بل أردت أن أنهض وأترجل عن السفينة في أسرع وقت ممكن.

لكن جوالي لم يكن بداخلها.

قلبت الحقيبة رأساً على عقب وهزرتها، لكنني عرفت أن هذا بلا جدوى.. فالحقيبة كانت صغيرة وخفيفة ومحال أن يخفى بداخلها شيء أثقل من بطاقة بريدية. ولم يكن على الفراش، هل انزلق ربما على الأرضية؟

حاولت أن أفكر بوضوح.

ربما تركته على طاولة العشاء.. لكنني لم أخرجته وعلى أية حال أتذكر بوضوح أنني شعرت به داخل حقيبة سهرتي خلال جدالي مع بين، وحتفا كنت سألاحظ اختفاء ثقله من الحقيبة عندما طرحتها على الفراش.

تفقدت الحمام في حالة ما إن كنت أخذته إلى الداخل على غفلة، لكنني لم أجده هناك أيضاً.

بدأت في البحث بدقة أكبر وألقيت بغطاء الفراش على الأرضية ودفعت الفراش على أحد الجوانب.. وحينها رأيت.

رأيت أثر دعة قدم، دعة رطبة، على السجادة إلى جانب باب الشرفة.

فتجمدت في مكاني.

هل يحتمل أنها مني؟ عندما خرجت من الحمام؟

لكنني أعرف إن هذا مستحيل، لقد جففت قدمي في الحمام ولم أمش إلى أي مكان بالقرب من تلك النافذة، اقتربت أكثر وتحسست بأناملي ذلك الشكل البارد الرطب، وأدركت إنه أثر حذاء، يمكنك رؤية شكل كعب الحذاء.

وهناك احتمالية واحدة فقط.

نهضت وفتحت باب الشرفة وخرجت إليها. وهنا أمسكت بالحاجز ونظرت للخارج وأنا أبحث في الشرفة الخاوية إلى يساري، كان الحاجز الزجاجي الذي يحفظ الخصوصية ضبابيا ومرتفعا ومنحدرا، لكن لو أنك جسور ولا تهاب المرتفعات ولا تمنع من احتمالية الانزلاق في قبر الماء هذا، يمكنك فحسب أن تتجاوزه.

أخذت أرتجف بتشنج، ولم تكن عباءة الخروج التي ارتديها لتحميني من رياح بحر الشمال الباردة، لكن ثمة شيء آخر يجب أن أجربه، مع أنني كنت لاسف بشدة وأشعر بالغباء الشديد لو اتضح أنني مخطئة.

بحرص، أغلقت باب الشرفة وسمعت تكة إغلاقه.

ثم حاولت فتحه مجدداً.

ففتح.. بسلاسة كالحرير.

دلفت إلى الداخل وفعلت نفس الشيء، ثم تفقدت القفل. وحسبما اعتقدت، محال تأمين باب الشرفة لمنع دخول أي أحد من الخارج. كان من المنطقي بحق الآن أن أفكر في ذلك، فالشخص الوحيد الذي يمكنه الدخول إلى الشرفة هو القاطن بالغرفة، فلا يمكنك المخاطرة بأن يغلق أحدهم على نفسه بالخارج في ذلك الطقس السيء ولا يستطيع العودة للداخل ويطلق صافرة الإنذار أو طفل يغلق على والديه في لحظة تمرد ثم لا يستطع معالجة القفل.

وحقًا.. ما الذي يمكن خشيته؟ فالشرفة مواجهة للبحر ومحال أن يدخلها أحد من الخارج.
إلا إذا كنت شديد الجراءة وشديد الحماسة.

الآن فهمت، إن كافة الأقفال وعلامات «ممنوع الإزعاج» في العالم لن تفلح إذا ما شكلت الشرفة مساراً واضحاً لأي شخص لديه إمكانية دخول للغرفة الخاوية وقوة كافية بالجزء العلوي من جسده ليسحب نفسه للأعلى.

لم تكن غرفتي آمنة، ولم تكن كذلك أبداً.

بالعودة إلى داخل الجناح ارتديت بنطالي الجينز، وحذائي الطويل وقلنسوتي المفضلة، ثم تفقدت القفل على باب المقصورة وتكومت على الأريكة وأنا أحضن النمزق إلى صدري.

محال أن أنام الآن.

يمكن لأي أحد الدخول إلى الجناح الخاوي، ومن هناك يتسلق سريعاً عبر الزجاج الفاصل إلى جناحي، ويمكن لأي أحد من العاملين فتح المقصورة الخاوية ببطاقة دخولهم، أما بالنسبة للضيوف...

فكرت في رسم المخطط للمقصورات، إلى جواري يوجد أرشر ضابط البحرية السابق مع قوة كافية في الجزء العلوي من جسده جعلتني أجفل حينما تذكرتها، وإلى اليسار.. إلى اليسار المقصورة الخاوية، ومن خلف هذا مقصورة بين هوارد.

بين، الذي تعتمد التشكيك في قصتي مع نيلسون.
بين الذي كذب حول حجة غيابه.

وقد عرف عن الصور على كاميرا كول قبل أن أعرف، عادت إلي كلماته وكأنه حلم: عرضها علينا أثناء الغداء، لقد التقط صوراً رائعة جداً...

بين هوارد، الشخص الوحيد على متن السفينة

الذي فكرت أن في استطاعتي أن أثق به.
فكرت في الجوال، والغباء والجرأة التي يمكن
بهما الدخول إلى هنا وسرقته أثناء وجودي في
الحمام، لقد خاطر بالكثير لسرقته، والسؤال هو،
لماذا؟ لماذا الآن؟ لكنني اعتقدت أنني أعرف.

الإجابة هي ترونديم، فطالما أن الإنترنت متعطّل
على متن السفينة، فلا شيء يمكن للمقتحم أن
يقلق حياله، لم أستطع إجراء الاتصال دون أن أمر
بكامبلا ليدمان، لكن ما إن بدأ في الاقتراب أكثر
من اليابسة...

حضنت النمرق أشد إلى صدري، وفكرت في
ترونديم وجودا والشرطة.
كل ما ينبغي علي فعله هو النجاة حتى مطلع
الفجر.

منتدى «من الجاني»:

نقاش حول المحققين الذين لا يغادرون مكاتبهم.
رجاء اقرأ قواعد المنتدى قبل البدء في النقاش،
ولتحذر من نشر أي أحكام مسبقة محتملة عن
القضايا المنظورة حالياً أمام القضاء أو التشهير،
ستحذف أي منشورات تخالف هذه الإرشادات.

الاثنين 28 سبتمبر، 10:03:

بريطانية مفقودة

لامشرلوكد: مرحبًا يا شباب، هل تابع أحدكم قضية لورنا بلاكلوك تلك؟ يبدو إنهم عثروا على الجثة.

الاسم مارييل جين مارييل: اعتقد إنك ستكتشفين إنها لورا بلاكلوك فعليًا. أجل، كنت أتابعها، المأساوي والمحزن حقًا إن هذا الأمر مألوف، قرأت في مكان ما أن أكثر من 160 شخصاً فقدوا من على متن سفن سياحية على مدار السنوات القليلة الماضية، ولم تحل أي من تلك القضايا تقريبًا

لامشرلوكد: أجل أعتقد أنني سمعت هذا أيضًا، رأيته في صحيفة (ديلي فيل) مقابلة مشحونة بالعواطف مع خليلها السابق يقول إنها كانت على متن السفينة وكم كان قلقًا عليها. ويعتقد إنها نزلت من تلقاء نفسها، هل هذا الشعور ينتابني فقط أم أن الأمر مريب قليلًا؟ ألا يقولون إن ثلث النساء يقتلن من خلاتهن السابقين أو شركاء حياتهن أو نحو ذلك؟

الاسم مارييل جين مارييل: «ثلث النساء يقتلن من خلاتهن السابقين أو شركاء حياتهن أو نحو ذلك؟» أفترض إنك تعني في حالة النساء اللاتي قتلن، قتل ثلثهن من شريك أو خليل سابق وليس ثلث النساء! لكن أجل، هذا النوع من النسب يبدو معقولاً، وبالطبع هناك خليلها، ثمة شيء في تصريحه لا اعتبره معقولاً وعلى ما يبدو إنه كان خارج البلاد في ذلك الحين...

أها... ملائم جداً، ليس من الصعب جداً استقلال طائرة إلى النرويج، أليس كذلك؟

أنون إنسايدر: أنا منتظم على منتدى «من الجاني» (مع أنني غيرت اسمي ولا أريد الإفصاح عن

هويتي) وفي الواقع أعرف شيئاً حيال تلك القضية، أنا صديق للعائلة، ولا أريد أن أقول الكثير خوفاً من الكشف عن هويتي أو التدخل في خصوصية العائلة، لكن بإمكانني إخباركم أن جودا محطم تماماً حيال اختفاء لو، وينبغي علي تحري الدقة الشديدة إن لمحت بشيء عكس ذلك وإلا لحذف هذا المنشور.

الاسم مارييل جين مارييل: أنون، كنت سأعتبر ادعاءاتك مقنعة أكثر لو أسقطت القناع، وعلى أي حال لا شيء مما قلته بمثابة تشهير، قلت إنني على نحو شخصي لا أعتبر تصريحه مقنعاً، فلتبين لي موضع التشهير في هذا؟

أنون إنسايدر: اسمع يا مارييل، لست مهتماً بمناقشة هذ معك، لكنني أعرف العائلة عن كثب. كنت في الكلية مع لورا ويمكنني إخبارك إنك تنبح أسفل الشجرة الخاطئة. لو لزم أن تعرف فإن لو تعاني من مشاكل جدية.. إنها تتناول أدوية اكتئاب منذ سنوات ولطالما كانت... حسناً، أعتقد أن وصف غير متزنة هو الأنسب، أتخيل أن هذا هو الخيط الذي ستبحث وراءه الشرطة.

لامشرلوكد: ماذا، هل تخمن الانتحار؟

أنون إنسايدر: لست في موضع يسمح لي بالتوقع حقاً بشأن تحقيق الشرطة.. لكن أجل، هذه شهادتي في قراءة ما بين السطور، لو لاحظت، إنهم يتعاملون بحرص شديد بحيث لا يصفونها بتحقيق في جريمة قتل في الصحافة.

جودا ليويس 01: أخبرني صديق عن هذا المنشور وقد سجلت على الموقع لأدون هذا، وعلى عكس أنون فهذا اسمي الحقيقي. أنون، ليست لدي فكرة من أنت وبأمانة يمكنك أن تغرب من هنا. أجل،

تتناول لو أدوية (مع إنها أدوية توتر لمعلوماتك، وليس للاكتئاب وإن كنت حقاً صديقاً لها لعرفت هذا) لكن ذلك حال مئات الآلاف من الناس حرفياً أيضاً، وفكرة أن هذا يجعلها تلقائياً إما «غير متزنة» كما تصفها أو لديها ميول انتحارية هي فكرة مهينة بحق. أجل، كنت مسافراً خارج البلاد، أعمل في روسيا، وأجل عثروا على الجثة لكنها لم تحدد بأنها جثة لو، لذلك في تلك المرحلة مازال البحث عن أشخاص مفقودين ولهذا السبب أنت لم ترى أية إشارة إلى كونه تحقيقاً في جريمة قتل، هلا تذكرتم أيها الناس إنكم تتحدثون عن إنسانة حقيقية وليس مجرد حلقة من مسلسلكم المفضل (كتبث جريمة قتل)؟ لا أعرف من المشرف على هذا العرض القذر، لكنني سأبلغ عن هذا المنشور.

لامشرلوكد: «على عكس أنون فهذا اسمي الحقيقي» لا أحاول المزاح لكن ما لدينا فقط هو كلمتك أمام كلمة هذا الزميل.

مسز ريزين (مشرفة): مرحباً جميعاً، آسفة أن أقول إننا نتفق مع السيد ليويس، هذا المنشور ينشر بعض التوقعات الكريهة ولذلك سنحذفه. من الواضح إننا لا نريد منعكم من نقاش مستجدات الأخبار، لذلك لديكم الحرية بنقل هذا الحديث إلى مكان آخر لكن رجاء التزموا بالحقائق التي ترد في التقارير.

إنسبيكتور والانداز: ماذا إذن عن المسحة التي أخذتها الشرطة النرويجية وأفادت بالتطابق الإيجابي مع جثة لوا؟

مسز ريزين (مشرفة): سنغلق هذا المنشور الآن.

الجزء السادس

22

شعرت بالحصار، لم أعرف بالتحديد أين أو كيف، لكن خطرت على بالي فكرة رائعة.

كانت الغرفة عديمة النوافذ صغيرة ومكبوتة، وقد تمددت على الأريكة وعيناي مفتوحتان وذراعاي ملتفان حول رأسي، في محاولة ألا أفسح المجال لتصاعد مشاعر الذعر بداخلي.

أنا راجعت الأحداث حتفًا ألف مرة داخل رأسي عبر ضباب الخوف المتصاعد.. وسمعت مرة تلو الأخرى الطرقة على الباب وأنا أجلس على حافة الأريكة في انتظار مدينة ترونديم وشروق الشمس. ومع أن الصوت لم يكن عاليًا جدًا، إلا إنه سبب لي صدمة مثل عيار ناري في تلك المقصورة الصامتة. رفعت رأسي ووقعت النمرقة من يدي على الأرضية وقلبي يخفق بسرعة شديدة، يا إلهي، اكتشفت أنني أحبس نفسي وأجبرها على الزفير بنفس طويل وبطيء ثم الشهيق، وأعد الثواني.

عاد الطرق مجددًا، لم يكن قرعًا قويًا، مجرد «طرق، طرق، طرق» ثم توقف لمدة طويلة وبعدها «طرقة» أخيرة وكأنها أعلى قليلاً من ذي قبل بعد التفكير. مع «الطرقة» الأخيرة، تخبطت قدماي وشققت طريقي بهدوء تام قدر المستطاع نحو الباب.

ضمنت كفي على الفتحة بحيث لا يكشف الضوء عن وجودي، وأزحت الغطاء الحديدي الصغير عن العدسة السحرية، ثم عندما صار وجهي قريبًا بما فيه الكفاية إلى الزجاج لأحجب أي ضوء رمادي للفجر الصادر عن النافذة، سحبت أصابعي واختلست النظر عبر العدسة.

لا أعرف من كنت أتوقع رؤيته، ربما نيلسون، أو بين هوارد، ما كان ليفاجئني حتى رؤية بولمر. لكني لم أتخيل ولو للحظة واحدة من كان واقفاً بالخارج. هي.

إنها المرأة من المقصورة العاشرة، الفتاة المفقودة، تقف بالخارج وكأن شيئاً لم يكن.

ولدقيقة وقفت هناك أشهق كمن تلقى لكمة في معدته، كانت حية، وكان نيلسون محقاً. وكنت مخطئة طوال هذا الوقت.

ثم استدارت على عقبيها وبدأت السير على طول الردهة نحو الباب إلى مكان العاملين، يجب أن أصل إليها، يجب أن أصل لها قبل أن تختفي خلف هذا الباب المغلق.

أزحت السلسلة والمزلاج وفتحت الباب على مصراعيه.

صرخت، «مهلاً! مهلاً يا أنت، انتظري! أنا بحاجة للحديث إليك!».

لم تتوقف، لم تلق حتى نظرة ورائها والآن صارت عند الباب المؤدي إلى الطابق السفلي، وتنقر على مفاتيح شيفرة الدخول، لم أتمهل للتفكير، بل كنت أعرف فحسب أن هذه المرة لن أدعها تختفي دون أثر، فركضت نحوها.

كانت قد عبرت بالفعل من باب العاملين بحلول الوقت الذي صرت فيه عند منتصف الردهة لكني لم ألحق إلا طرف الباب أثناء انغلاقه، فدفعت أصابعي لتتألم ثم فتحتته بقوة وزججت نفسي عبر الباب الموارب.

وبالداخل وجدت ظلاماً، إذ احترق المصباح فوق

درجات السلم أو إنه اقتلع كما فكرت لاحقًا.

ومع انغلاق الباب من خلفي، توقفت للحظة في محاولة لأستجمع شتات نفسي، وأرى أين الدرجة العلوية. وحينها حدث ما حدث.. قبضت يد على شعري من الخلف، ولوت أخرى ذراعي خلفي وتشبكت الأطراف بأطرافي في الظلام. أعقب ذلك مهلة وجيزة من الرعب اللاهث والخمش بأظفري في جلد شخص ما، حاولت يدي الحرة الوصول إلى الخلف مني لتحكم قبضتها على اليد الرفيعة القوية التي تشد شعري، فجذبتني تلك اليد بقوة أشد، ولوت رأسي مجدداً بطريقة مؤلمة ثم صدمتها بقوة على الباب الموصد. سمعت تشقق جمجمتي على إطار الباب المعدني.. وبعدها لا شيء.

جئت إلى هنا وحيدة، أتمدد على سرير بغطاء رفيع فوقي، وشعرت بقرصة الألم في رأسي، فوخزني بنبض منخفض جعل الأضواء الخافتة في الغرفة تعوج وتلتمع، بتأثير هالة غريب من حولي. ورأيت ستارة على الجدار المواجه وبأطراف مرتجفة انزلقت عن الفراش بطريقة شبه مترنحة وشبه زاحفة عبر الأرضية نحوها. لكن عندما سحبت نفسي للأعلى مستندة على السرير العلوي وسحبت تلك القماشة البرتقالية الرفيعة، لم أجد نافذة، بل مجرد حائط أصم من البلاستيك الأبيض الخفيف وكأنه مضاهاة لقوام ورق الجدران.

بدت الجدران وكأنها تنطبق علي، والغرفة تتضاءل حولي، وشعرت بتسارع أنفاسي. واحد، اثنان، ثلاثة، شهيق.

سحقًا، شعرت بتصاعد التهديدات بداخلي، والتي تهدد بخنقي من الداخل.

أربعة، خمسة، ستة، زفير.

شعرت أنني محاصرة، يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي...
واحد، اثنان، ثلاثة، شهيق.

حاولت أن أعتدل في جلستي وأنا أستند على الحائط بيد واحدة، وتحسست طريقي بتعثر مجدداً نحو الباب، لكنني عرفت قبل أن أحاول إن هذا بلا جدوى، فالباب موصد.

رفضت التفكير فيما يعنيه هذا، وجربت الباب الآخر، المدمج في الحائط بزاوية، لكنه فتح ولم أجد إلا حماماً ضئيلاً خلا من كل شيء باستثناء عنكبوت وحيد نافق ملتف في حوض.

مشيت مترنحة إلى الباب الأول وحاولت مجدداً، جذبته بقوة أكبر تلك المرة، وأجهدت كل عضلة، وقعقت الباب في إطاره، ثم جذبته بعنف من مقبضه حتى أنهكني التعب، وانفجرت النجوم في مخيلتي وأنا أنهار على الأرضية، لا، لا، ليس هذا ممكناً.. هل كنت محاصرة بحق؟

نهضت على قدمي وبحثت حولي لأجل شيء أعتل به الباب، لكنني لم أجد شيئاً، فكل شيء في الغرفة إما مربوط بصمولة أو مثبت بمسامير حلزونية أو مصنوع من الأنسجة. حاولت أن أجبر المقبض مجدداً، وألا أفكر في حقيقة أنني في زنزانة بلا نوافذ ومساحتها أربعة في ستة أقدام وأسفل مستوى البحر كثيراً، وعلى بعد بوصات قليلة من الجدار الحديدي تقع آلاف الأطنان من المياه. لكن الباب لم يتحرك؛ والشيء الوحيد الذي تغير هو الألم في رأسي، حيث أثر عليه كثافة النيون حتى عدت مجدداً مترنحة إلى السرير وزحفت عليه، في محاولة مني ألا أفكر في ثقل الماء الذي يضغط علي وأركز عوضاً عن هذا على جمجمتي التي تؤلمني. صارت تدق الآن حتى إنني استطعت الشعور

بنبض في صدغي، يا إلهي، كنت شديدة الحماسة عندما هرعت خارج الغرفة مباشرة إلى الفخ...

حاولت أن أفكر، يجب أن أحافظ على هدوئي يجب أن أتناول برأسي فوق مد الخوف المرتفع هذا، وأظل منطقية، وأظل مهيمنة على الموقف، يجب أن أفعل هذا. في أي يوم نحن؟ من المستحيل أن أحدد مقدار الوقت الذي مضى. شعرت بتصلب في أطرافي، وكأنني كنت ممددة في هذا الوضع على السرير لمدة، لكن مع أنني شعرت بالعطش إلا أنني لم أشعر بالظما الشديد، لو أنني فقدت الوعي لأكثر من بضع ساعات لاستيقظت مع شعور بالجفاف الحاد، والذي كان لي يعني إننا على الأرجح مازلنا يوم الثلاثاء.

وفي تلك الحالة... يعرف بين أنني كنت أنوي النزول في ترونديم. سيأتي للبحث عني.. أليس كذلك؟ لن يدع السفينة تغادر من دوني.

لكن بعدئذ أدركت أن المحرك يدور وأن في استطاعتي الشعور بصعود وهبوط الأمواج من أسفل غاطس السفينة، فإما إننا لم نتوقف على الإطلاق أو إننا غادرنا الميناء بالفعل.

يا إلهي، كنا متجهين صوب البحر.. وسيفترض الجميع أنني ما زلت في ترونديم، لو بحثوا عني على الإطلاق، فسيكون هذا البحث في المكان الخاطئ تمامًا.

لو أن رأسي فقط لم يؤذني وأفكاري لم تواصل التخبط على بعضها بعضًا... لو أن الجدران لم تكن تطبق علي فحسب وكأنها كفن، ما صعب علي التنفس وصعب علي التفكير.

الجوازات، لم أعرف مدى حجم ميناء ترونديم، لكن حتمًا لديهم نوع ما من الفحوصات الجمركية أو

مراقبة الجوازات. وسيوجد شخص ما من السفينة يؤدي وظيفته عند سلم السفينة بالتأكيد ليتفقد دخول وخروج الركاب، لن يستطيعوا المجازفة بالإبحار وترك شخص ما. في مكان ما سيوجد سجل يكشف حقيقة أنني لم أغادر القارب، وسيدرك أحدهم أنني ما أزال هنا.

يجب أن أتثبت بهذا الأمل.

لكن كان من الصعب.. صعب عندما رأيت أن الضوء الوحيد المتاح مصباح باهت يتذبذب ويخبو أحياناً كثيرة، وبدا الهواء وكأنه ينفد مع كل نفس، يا إلهي، هذا شاق جداً.

أغمضت عيني، واستبعدت من مخيلتي الجدران التي تلوح في الأفق والضوء المحيط بي المسبب لرهاب الأماكن المغلقة، وسحبت الغطاء الرقيق فوقتي. وحاولت التركيز على شيء ما، الشعور بالوسادة المفلطحة والرخوة أسفل خدي، وصوت أنفاسي.

لكن الصورة التي ظللت أعاود التفكير فيها لفتاة تقف لامبالية خارج بابي في الردهة، ويدها وخصرها، مع تمايل مشيتها وهي تسير نحو باب العاملين.

كيف، كيف؟

هل كانت تختفي على القارب طوال هذا الوقت؟ في تلك الغرفة، ربما؟ لكنني عرفت حتى بدون أن أفتح عيني والنظر حولي أن لا أحد عاش هنا. ومن غير المنطقي السكن فيها، فلا يوجد بقع على السجادة ولا أثر لقهوة على الرف البلاستيكي ولا رائحة خفيفة للطعام والعرق والأنفاس البشرية. حتى هذا العنكبوت الملتف على نفسه في الحوض فقد أفصح عن عدم استخدام هذا الحوض. محال

أن تلك الفتاة المليئة بالحياة المتسارعة والحيوية كانت لتقبل بالمكوث في تلك الغرفة دون أن تضيف عليها انطباعاً، وأياً ما كان الموضع الذي تعيش فيه، فقد كان هنا.

شعرت أن هذا المكان مثل مقبرة، ربما هي مقبرتي.

23

لم أكن متأكدة متى نمت، لكنني حتماً فعلت هذا، وقد أنهكني الصداع الذي ألم برأسي وهدير محرك السفينة، لأنني استيقظت على صوت التكتكة.

استقمت معتدلة في جلستي بحدة، فصدمت فروة رأسي بالسرير العلوي، ثم ارتيمت مجدداً وأنا أن من الألم وأمسك برأسي مع الدماء التي تسيل في أذناي، وفي جمجمتي رنين حاد.

تمددت هناك، وأنا أعتصر عيني بسبب هذا الألم، لكن أخيراً انحسر الألم بما في الكفاية بالنسبة لي لأتقلب على جانبي وأفتح عيني مجدداً، وأجول بعيني مقابل الضوء الفلوري الخافت.

رأيت طبقاً على الأرضية وكوب شيء ما.. عصير حسبما أعتقد.

التقطه وشممته، بدا أنه عصير برتقال، لكنني لم أستطع أن أحمل نفسي على شربه، بل عوضاً عن هذا نهضت متألّمة على قدمي وفتحت الباب إلى الحمام الصغير، حيث أفرغت العصير في الحوض وأعدت ملاء بماء من الصنبور. كانت المياه دافئة وآسنة، غير أنني شعرت بالظماً الشديد الآن إلى درجة أنني قد أتجرع ما هو أسوأ من ذلك. تجرعت الكوب وأعدت ملاء، ثم بدأت في ارتشافه ببطء أكثر وأنا أشق طريقي مجدداً إلى السرير.

شعرت بصداع شديد في رأسي، وتمنيت لو أن عندي بعض المسكنات، لكن الأدهى من ذلك أنني شعرت بالروع.. ارتجاف وضعف كأني سأصاب بالإنفلونزا، إنه الجوع على الأرجح.. لقد مرت ساعات منذ أن أكلت وضغط دمي حتماً في الحضيض.

أراد جزء مني أن يتمدد ويريح رأسي الواجهة، لكن معدتي تضورت، وأخذت أفحص الطبق على الأرضية. بدا طبيعياً تماماً. كريات لحم ونوع من المرق، بطاطس مهروسة وبازلاء، ولفافة عيش على الجانب. عرفت إنه ينبغي علي الأكل.. لكن نفس الحدس النافر الذي جعلني أسكب العصير بدا يعتمل بداخلي. شعرت إن هذا خطأ تام.. تناول طعام يقدمه شخص حبسني في ذيماس تحت سطح الماء، قد يوجد أي شيء هنا. سم فئران أو حبوب منومة، أو أسوأ، ولا خيار لدي سوى أن أتناوله.

وفجأة صارت فكرة وضع حتى ملعقة مليئة بهذا المرق في فمي تشعرني بالذعر والسقم، وشعرت إنه ينبغي علي إلقاء الطبق بأكمله في البالوعة إلى جانب العصير، لكن حتى وأنا شبه واقفة وعلى استعداد لالتقاط الطبق، أدركت شيئاً، وجلست مجدداً على قدمي البطيئتين والمهتزتين.

إنهم ليسوا بحاجة إلى تسميمي، لماذا يفعلون هذا؟ لو أرادوا قتلي ففي استطاعتهم أن يقتلوني من الجوع فحسب.

حاولت أن أفكر بوضوح.

لو أراد قتلي أيّا كان من جاء بي إلى هنا لأقدم على ذلك بالفعل، صحيح؟

صحيح. كان في استطاعته أن يضربني بقوة أكبر أو أن يضع وسادة على وجهي وأنا فاقدة الوعي أو حتى كيساً بلاستيكياً حول عنقي، ولم يفعل هذا، بل سحبوني إلى هنا بما ليس في مصلحتهم نوعاً ما.

لذلك لم يرغب في قتلي، ليس الآن على أي حال. فطيرة واحدة، لا يمكن أن تموت من فطيرة

واحدة مسمومة، حتماً؟

التقطها بطرف الشوكة ونظرت إليها، طبيعية تماماً، بلا أثر لأي مسحوق أو لون غريب.

وضعتها في فمي ولكتها على مهل، في محاولة لرصد أي مذاق غريب، لكنني لم أحس به. ابتلعتها.

لم يحدث أي شيء غير متوقع، ليس ما توقعته.. لم أعرف الكثير عن السموم، لكنني تخيلت أن السموم التي تقتلك خلال ثوان معدودات شحيحة وبعيدة عن المتناول، ولا يسهل الحصول عليها.

لكن شيئاً حدث، بدأت أشعر بالجوع.

فالتقطت مزيداً من البازلاء وتناولتها، بحرص في البدء، ثم تناولتها سريعاً مع تحسن حالي بفعل الطعام. وخزت كربة لحم بشوكتي، والتي شعرت بأن رائحتها ومذاقها طبيعي تماماً.. مع تلك المسحة المؤسسية قليلاً للأطعمة التي تعد لأعداد كبيرة من الناس.

أخيراً صار الطبق خاوياً وجلست في انتظار مجيء شخص ما ليحمله.

وانتظرت.

وانتظرت.

الوقت مرّ جداً.. هذا أول شيء تدركه في موقف بلا ضوء نهار وبلا ساعة وبلا أي طريقة لقياس طول الثانية تلو الأخرى. حاولت العد.. عد الثواني وعد نبضي، لكنني وصلت إلى ألفين أو نحو ذلك ثم فقدت القدرة على العد.

شعرت بصداع في رأسي، لكنه ذلك الارتجاف الضعيف في أطرافي الذي جعلني أشعر بالقلق أشد. في البداية فكرت إنه انخفاض سكر الدم؛ ثم بعد

أن أكلت، بدأت في القلق أن هذا قد يكون شيئاً أضيف إلى الطعام، لكنني بدأت أعاود التفكير الآن وأستشف متى آخر مرة تناولت فيها أدويتي.

تذكرت إخراج واحدة من جيبتي مباشرة بعد مقابلة نيلسون صباح يوم الاثنين، لكنني لم أتناولها فعلياً. ثمة شيء جعلني لا أفعل.. تلك الحاجة الغبية لأثبت أنني لا أعتمد كيميائياً على تلك الحبيبات البيضاء الصغيرة والبريئة. عوضاً عن هذا تركتها أعلى الطاولة ولم أستطع حمل نفسي على تناولها، ولم أرغب حقاً في إلقائها.

لم أنو التوقف، لكن فقط لأبين.. لا أعرف ماذا. أنني متحكمة على ما أعتقد، وهي بمثابة عبارة «سحقاً لك» عديمة المغزى لنيلسون.

لكن بعدئذ جعلني الجدل مع بين أنحيها عن عقلي، لقد ذهبت إلى المستحم المعدني بدونه ثم تلك الحادثة في المنضح...

وبهذا مضت على الأقل ثمان وأربعون ساعة منذ أن تناولت جرعة، ربما حوالي ستين ساعة، شعرت بعدم الارتياح من تلك الفكرة، في الواقع أكثر من مجرد عدم الارتياح، كان ذعراً.

أصابتنني أول نوبة زعر عندما كنت.. لا أعرف متى، في سن الثالثة عشر ربما؟ أو الرابعة عشر؟ كنت فتاة يافعة. وقد انتابتني.. وولت، وتركتني خائفة ومخبولة، لكنني لم أخبر أي أحد أبداً. إذ بدا وكأن الحمقى فقط من يصابون بها. فسانر الناس يمضون حياتهم دون اهتزاز وعدم قدرة على التنفس، صحيح؟

كنت على ما يرام لبعض الوقت، وأتممت تعليمي الثانوي، وبدأت مستوياتي المتقدمة. وحينئذ بدأت الأمور في التقلب بحق، فعاودتني نوبات الهلع، أولاً

نوبة واحدة وبعدها بضع نوبات، وبعد مدة صار التأقلم مع القلق عملاً بدوام كامل، وبدأت الجدران تطبق من حولي.

قابلت معالجاً نفسية.. عدداً منهم في الواقع، ومنهم «معالجة بالمحادثة» اختارتها أمي من دفتر الهواتف، وهي امرأة بلامح جادة وترتدي نظارات ولها شعر طويل أرادت مني الكشف عن بعض الأسرار المظلمة والتي ستكون المفتاح لفك شيفرة كل هذا، باستثناء أنه لم يكن لدي سر كهذا. ولبعض الوقت فكرت في اختلاق سر ما.. فقط لأرى إن كان سيشعرنني بحال أفضل. لكن أمي انزعجت منها (ومن أدويتها) قبل أن أستطيع اختلاق قصة محبوكة بحق.

وذلك القائد الداعم لمجتمع شباب الهيبز ومجموعته من الفتيات والذي مر على كافة الأطياف بداية من فقدان الشهية للطاعم ووصولاً إلى إيذاء النفس. وأخيراً باري، المعالج السلوكي المعرفي الذي وفره لي طبيب العام، والذي علمني التنفس والعد وتركني بحساسية طوال العمر تجاه الرجال الصلع أصحاب الأصوات الناعمة والدعامة والمتناغمة.

لكن لم يفلح معي أي منهم، أو لم يفلح معي أي منهم بالكامل، لكنني تماكنت نفسي بالقدر الكافي لأجتاز الاختبارات ثم التحقت بالجامعة وشعرت بحال أفضل قليلاً وبدأ لي أن كل هذه ربما... هذه الأشياء كانت أموراً صرت ناضجة بما فيه الكفاية لكي لا أفكر فيها، مثل فرقة (إن سينك) وملمع الشفاه بالكرز. وأني تركت هذا في غرفة نومي القديمة ومنزل أبوي، إلى جانب كل أمتعة طفولتي الأخرى. لقد كانت الجامعة عظيمة للغاية، وعندما

تخرجت، بدرجاتي الجامعية الجديدة واللامعة، شعرت بأني جاهزة للاستيلاء على العالم. والتقيت بـبين، وتقلدت وظيفة في مجلة «فيلوسيتي» وشقتي الخاصة في لندن، وبدأ كل شيء وكأنه على ما يرام.

وحينئذ انهرت.

حاولت أن أنقطع عن الحبوب مرة واحدة، كنت في مكانة لائقة بحياتي وتخطيت بين (يا إلهي، تخطيت بين بدرجة كبيرة). وخفض طبيبي العام الجرعة إلى 20 ملجم يوميًا ثم 10، وبعدئذ، بما إنني تأقلمت جيداً مع 10 ملجم يوم بعد يوم، أقلعت في النهاية.

دمت شهرين قبل أن أنهار، وفي ذلك الوقت فقدت ثلاثة عشر كيلوجرامًا وكنت عرضة لفقدان وظيفتي في المجلة، مع إنهم لم يعرفوا لماذا توقفت عن المجيء إلى المكتب. وأخيراً اتصلت ليزي بأمي، وأعادتني مجدداً إلى الطبيب العام والذي هز كتفيه وقال إن هذه ربما تكون أعراضاً انسحابية لكن ربما لم يكن هذا الموعد السليم بالنسبة لي لأقلع عنها. أعادني لتناول 40 ملجم يوميًا - جرعتي الأصلية - وشعرت بتحسن خلال بضعة أيام تقريبًا. وقد اتفقنا على أن نجرب مرة أخرى في وقت لاحق.. وبطريقة ما لم يأت هذا الوقت أبداً.

والآن ليس بالوقت المناسب، ليس هنا، ليس وأنا محبوسة في صندوق حديدي أسفل سطح البحر بمائة وثمانين سنتيمتراً.

حاولت أن أتذكر مقدار الوقت المستغرق آخر مرة.. والمدة التي مضت قبل أن أشعر بحال مزرٍ بحق. لم يستغرق الأمر كل هذا الوقت حسبما أتذكر، أربعة أيام؟ ربما أقل.

في الواقع بإمكانني الشعور بالذعر وقد بدأت بشرتي تنمل على هيئة صدمات كهربائية باردة وصغيرة.

ستموتين هنا.

ولن يعرف أحد بهذا.

يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي يا...

سمعت صوتًا عند الباب وتوقفت، توقفت عن التنفس وعن التفكير وعن الذعر.. جلست متجمدة وظهري مستند إلى السرير، هل يجب أن أقفز؟ أهاجم؟

بدأ مقبض الباب يستدير.

وشعرت بقلبي لدى حنجرتي، وقفت وانزويت عند الجدار البعيد، عرفت إنه ينبغي علي القتال.. لكني لم أستطع، ليس دون أن أعرف من سيأتي عبر ذلك الباب.

ومضت صور عبر رأسي، نيلسون، الطاهي بقفازيه المطاطيين، الفتاة بقميص (بينك فلويد)، وفي يدها سكين.

ابتلعت ريقِي.

ثم تسللت يد كالأفعى من الفتحة المواربة والتقطت الطبق بسرعة خاطفة ثم أغلق الباب، انحسر الضوء وأغرق المقصورة في ظلام دامس، ثقيل كالخبر إلى درجة أنني استطعت تذوقه.

سحقًا.

أشعر بالعجز وقلة الحيلة، ظللت متمددة في هذا الظلام الفحكم لما بدا وكأنه ساعات، أو ربما أيامًا أو دقائق، وأنا أنجرف مع القدرة وعدم القدرة على الوعي، على أمل أن كل مرة أفتح فيها عيني أرى شيئًا، حتى ولو خيط رفيع من الضوء في الردهة،

شيء يثبت أنني هنا بحق، أنني كنت موجودة بحق،
وأنني لم أضع فحسب في نوع من أنواع الجحيم
الذي يخلقه خيالي.

وأخيراً غططت حتماً في نوم عميق، لأنني
استيقظت بقفزة، شعرت بخفقان قلبي الشديد
واهتياجه بعصبية في صدري. ظلت المقصورة في
عتمة تامة، وأنا متمددة فيها، أهتز وأتعرق وممسكة
بالسرير وكأنه طوق نجاة وأنا أزحف رجوعاً إلى
طرق عودتي من أسوأ الكوابيس التي يمكنني
تذكرها منذ أمد بعيد.

في الحلم، رأيت أن الفتاة التي ترتدي قميص
(بينك فلويد) في مقصورتني. كانت معتمة، لكن
بطريقة ما في هذا الظلام.. لم أستطع رؤيتها
بالضبط، لكنني أحسست بها. عرفت فحسب إنها
كانت هنا، واقفة في منتصف المقصورة، ولم أستطع
الانتقال، فالظلام يحيط بي ويضغطني وكأنه كائن
حي، جاثم على صدري. اقتربت أكثر فأكثر، إلى أن
باتت تقف على بعد بوصات قليلة مني، فيما تدلى
القميص ليلامس أعلى فخذيها الطويلين والنحيلين.
ابتسمت، ثم بحركة واحدة ملتوية خلعت قميصها،
وأسفل منه جسدها الهزيل كالكلب السلوقي، يتكون
من الضلوع وعظام الترقوة وعظام الحوض البارزة،
فيما كان مرفقها أعرض من ساعدها ومعصمين
ناتئين كمعصمي طفل. نظرت للأسفل إلى نفسها،
ثم سحبت صدريتها، ببطء وكأنها فتاة استعراض
تتعري، باستثناء ألا شيء فيما تفعله للإثارة،
ولا شيء جذاب في نهديها الصغيرين الضحليين
والتجويف في معدتها.

لكن بينما تمددت على السرير وأنا ألهث والخوف
يشل حركتي، لم تتوقف عند هذا، بل ظلت تتعري،

فخلعت لباسها التحتاني لينزلق على وركيها الهزيلين ليشكل ما يشبه بركة صغيرة أسفل قدميها. وبعدئذ شعرها، انتزعته من منابته. ثم اقتلعت حاجبيها، الأول، فالثاني، ثم شفتيها، وتركت أنفها يسقط عند قدميها، وانتزعت أظافرها واحداً تلو الآخر، ببطء، وكأنها امرأة تتخلص من قفازي سهرتها، ثم تركتهما ليسقطا ويتكوما على الأرضية، بعدها خلعت أسنانها، والتي تقرقع وتقرقع وتقرقع، واحداً تلو الآخر. وفي النهاية -والأكثر بشاعة- بدأت في سلخ جلدها وكأنها تخلع ثوب سهرتها الضيق، إلى أن صارت كقطعة لحم دامية، من عضل وعظام وعصب، كالأرنب المسلوخ.

نزلت على أطرافها الأربعة وبدأت تزحف تجاهي، وفغرت فاهها عديم الشفتين بالكامل مع ما يشبه ابتسامة ممسوخة وشنيعة.

اقتربت بزحفها شيئاً فشيئاً إلى أن وصلت أخيراً إلى الحائط الخلفي وانزويت عنده عند السرير ولم يعد في استطاعتي التقهقر.

شعرت بأنين أنفاسي في حلقي، حاولت أن أتحدث، لكنني كنت غبية، حاولت التحرك، لكنني تجمدت من الخوف.

فتحت فاهها وعرفت إنها على وشك الحديث.. لكنها بعد ذلك مدت يدها بداخلها واقتلعت لسانها.

استيقظت وأنا أشهق من هول المنظر، فالظلام مثل برائن أطبقت حولي.

أردت أن أصرخ، وتصاعد الذعر بداخلي مثل بركان، يضغط عبر طبقات حلقي المغلقة وأسناني التي أجز عليها. وحينئذ فكرت بنوع من الهذيان.. إذا صرخت فما أسوأ شيء يمكن أن يحدث؟ ربما يسمعي شخص ما؟ فليسمعوني. فليسمعوني،

وربما يأتون لإخراجي.

لذلك أطلقتها، تلك الصرخة التي ظلت تتصاعد بداخلي، وتنمو وتتفاقم وتضغط علي لأخرجها.
وصرخت وصرخت وصرخت.

لا أعرف المدة التي ظللت متمدة هنا وأصرخ فيها، وقبضتاي ملتويتان حول وسادة رفيعة ورخوة، وأظافري تخمش مرتبة السرير المجردة أسفل مني.

عرفت فقط أن الجو هادئ في تلك المقصورة الصغيرة باستثناء ذلك الهدير المنخفض للمحرك، وأنفاسي، التي تلهج في حلقي جافة ومبحوحة.
لم يأت أحد.

ولم يقرع أحد الباب ليسأل عما يحدث، أو يهدد بقتلي إن لم أحرص، لم يفعل أي أحد أي شيء. ربما أذهب أيضًا إلى الفضاء الخارجي وأصرخ في الفراغ عديم الصوت.

ارتجفت يداي، ولم أستطع إخراج الفتاة في الحلم من رأسي، ففكرة شكلها المجرد والرطب يزحف نحوي ويمسك بي ويجتاحني.

ما الذي فعلته؟ يا إلهي، لما فعلت هذا، واصلت الزج بنفسي، واصلت رفضي للسكوت. لقد جعلت نفسي هدفًا، برفضني لأن أسكت حيال ما حدث في تلك المقصورة. ومع ذلك... ما الذي حدث؟

أتمدد هنا، ويدياي تضغطان على عيني في الظلام الخائق، في محاولة لأستشف ماهية الأمور. الفتاة كانت حية.. أيا كان ما سمعته وأيا كان ما اعتقدت اني رأيته، فليست جريمة قتل.

حتما إنها كانت على السفينة طوال هذا الوقت، لم نتوقف، ولم نقترّب بما يكفي من اليابسة لنراها، لكن

من هي، ولماذا اختبأت على السفينة؟ ودماء من التي رأيتها على الزجاج؟

حاولت تجاهل صداد رأسي وأن أفكر بمنطقية. أهى أحد أعضاء طاقم البحارة؟ لديها إمكانية دخول عبر باب العاملين في نهاية المطاف. لكني تذكرت حينئذ نيلسون وهو يضغط الشيفرة، وأنا أقف من خلفه عندما فعل هذا، لم يبذل أي جهد لإخفاء لوحة الأرقام. لو أردت لتصرفت كالأطفال وأدون الأرقام وهو يدخلها. وبعد ذلك ما إن تصبح في الطوابق السفلية فلا توجد مزيد من الأبواب الموصدة.

في استطاعتها الوصول إلى المقصورة الخالية، وإن تطلب ذلك بطاقة فتح، إما بطاقة ضيف مبرمج على هذا الباب تحديداً، أو بطاقة أحد العاملين التي تفتح كافة أبواب المقاصير. فكرت في عاملات التنظيف اللاتي رأيتهن في غرفهن الصغيرة في الطوابق السفلية، ووجوههن المذعورة التي تنظر إلي قبل أن يغلق الباب. بكم تباع إحداهن بطاقة دخول مقصورة؟ مائة كرونة؟ ألف؟ لن يحتاجوا حتى إلى بيعها.. فحتمًا توجد أماكن يمكنك فيها الحصول على نسخ لتلك البطاقات. كل ما عليهم أن يستعيروها لساعة أو ساعتين، لن تطرح أي أسئلة. فكرت في كارلا.. أخبرتني عملياً إن هذا يحدث، أن شخصاً ما قد يعير المقصورة لصديق.

لكن لم ينبغ أن يحدث هذا، فربما سرقت البطاقة المفتاحية، وكل ما عرفتته أو صدقته من على الإنترنت.. ليست لدي فكرة كيف تعمل الأقفال الإلكترونية، ربما لم يتورط أي شخص آخر على الإطلاق.

هل يحتمل أنني كنت أبحث طوال هذا الوقت عن

أحد الجناة بين طاقم البحارة أو الركاب.. وإنهم كانوا أبرياء طوال هذا الوقت؟ فكرت في الاتهامات التي أقيت بها على بين، والشكوك التي انتابتني حيال كول ونيلسون وسائر الناس، شعرت بالمرض.

لكن حقيقة وجود تلك الفتاة وإنها حية، لم يعن الاستبعاد التلقائي لصلوع شخص ما في الجريمة. كلما فكرت فيها، تأكد لي أن شخصاً ما يساعدها في الطوابق العليا.. شخص ما كتب تلك الرسالة على جدار المستحم المعدني وألقى بكاميرا كول في المغطس الساخن وسرق جوالي. لا يمكن أنها من فعلت كل هذا، حتماً أن شخصاً ما رأى وتعرف على الفتاة التي صرخت باسمها على مدار يومين وأتساءل إن كانت تجوب في أنحاء السفينة.

أف، هذا يؤلم رأسي، لماذا؟ هذا هو السؤال الذي لن أستطيع الإجابة عليه. لماذا أقطع كل تلك المسافات لأختفي على متن سفينة، لمنعي من طرح أسئلة؟ لو أن الفتاة ماتت، فهذا التستر معقول، لكنها حية وعلى ما يرام، حتماً إن المهم هو هويتها. زوجة أحد ما؟ ابنة أحد ما؟ عشيقته؟ حاول أحدهم الخروج من البلاد دون طرح أسئلة؟

فكرت في كول وزوجته السابقة، وأرشر وعلاقته الغامضة «بجيس». فكرت في الطريقة التي اختفت بها الصورة من الكاميرة.

كل هذا غير منطقي.

تقلبت وأنا أشعر بثقل الظلام من حولي، أيا كان مكاني، فهو في موضع عميق جداً بالسفينة، تيقنت من هذا الآن. فصوص المحرك أعلى كثيراً من صوته على طابق الركاب، أعلى حتى مما تذكرته على سطح طاقم العمل. لقد كنت في مكان آخر، في طابق المحرك ربما، أسفل سطح الماء بكثير، في

عمق غاطس السفينة.

ومع تلك الفكرة شعرت مجدداً بالرعب يتسلل إلي، وأنا أرزح تحت وطأة أطنان وأطنان من الماء على رأسي وأكتافي والتي تضغط على الغاطس، فالهواء في المقصورة يدور ويدور وأنا هنا أختنق بفعل ذعري...

اهتزت قدماي، وتسقلت بحرص خارج السرير ثم تحركت ببطء عبر الأرضية، مددت ذراعي أتحمس بها طريقي وأنا أجفل من فكرة ما قد يكون معي هنا في ذلك الظلام الدامس. استحضر خيالي أحداثاً مرعبة من كوابيس طفولتي.. بيوت عنكبوت عملاقة تغشى وجهي، رجال يقبضون على ذراعي، بل وحتى الفتاة نفسها، بلا جفون وبلا شفاه وبلا لسان. لكن جزء آخر مني عرف إنه لا يوجد أحد هنا سواي.. وأنا كنت لأستطيع سماع وشم واستشعار أي بشر آخر في تلك المساحة الضيقة.

بعد بضع دقائق من السير بتؤدة وحرص، لاقت أصابعي الباب، وتحسسته بأناقلي. أول شيء حاولته هو المقبض، لكنه مازال موصداً.. لم أتوقع أي شيء آخر. تحسست بحثاً عن عين سحرية، لكنني لم أجدها، أو لم أجد واحدة على هذا الفراغ البلاستيكي الممدد، ولا أتذكر رؤية إحداها في وقت سابق بأي مكان. لكن ما أتذكره وما شعرت به بعد ذلك، هو مفتاح الضوء صوفي اللون إلى يسار الباب. وجدته أصابعي في الظلام وضغطت عليه، وقلبي يخفق بشدة بداخلي.

لكن لم يحدث شيء.

فأعدته إلى موضعه، لكن بلا أمل تلك المرة، لأنني أعرف ما فعلوه. حتماً يوجد طريقة للتحكم بها في الضوء من الردهة بالخارج، علبة مفاتيح رئيسية

أو فاصمة منصهرة. كان الباب مقفلاً بالفعل عندما انقطع النور، وعلى أي حال، في أي مقصورة كنت فيها من قبل لطالما كان هناك نوع من الضوء الأمني.. فلا تصبح أبداً في ظلام دامس، حتى عندما تطفأ الأنوار. أما هذا فشيء آخر.. إنه ظلام تام ودامس يمكن أن يأتي فقط من الكهرباء التي تنقطع تمامًا.

زحفت مجدداً إلى السرير وأسفل أغطيته اهتزت عضلاتي بمزيج من الذعر والمرض، شعور مثل الإنفلونزا أصابني من قبل. شعرت بامتلاء رأسي بظلام منتشر، وكأن ظلام المقصورة تسرب داخل جمجمتي وتخلل وصلاتي العصبية، فأمات وكنتم كل شيء باستثناء الذعر الذي تراكم في أحشائي. يا إلهي، لا تفعلي هذا، لا تستسلمي، ليس الآن.

لم أستطع، ما كنت لأفعل هذا، ما كنت لأدعها تفوز. إن الغضب الذي غمرني فجأة شيء لم أستطع التشبث به، شيء صلب في الظلام الصامت لهذا الصندوق الصغير، تلك العاهرة، يا لها من خائنة، هذا أكثر مما يمكن تحمله لأجل تلك الأخوية البغيضة، لقد قاتلت من أجلها، ووضعت مصداقيتي على المحك، وتحملت شكوك نيلسون وتقصي بين.. فلما كل هذا؟ حتى تخونني، وتقرع رأسي في إطار باب حديدي وتحبسني في هذا الكفن السخيف.

إنها حتماً الشخص الذي نصب لي الكمين في الردهة، وكلما فكرت في هذا، تيقنت أن اليد التي جاءت ووضعت صينية الطعام خلسة كانت يدها أيضاً، يد قوية ونحيلة ولينة. يد يمكن أن تخمش وتصفع وتقرع رأس شخص ما على الحائط.

ثمة سبب ما حتماً وراء كل هذا.. فلا أحد سيمر بتلك الخدعة المتقنة بلا جدوى. هل زيفت مقتلها؟

هل كان يفترض أن أرى حدوث هذا؟ لكن لو أن هذا هو المرجو، فلماذا قطع كل تلك الأشواط للتظاهر بأنها لم توجد أبداً؟ لماذا أخلت المقصورة ومسحت الدماء وأتلفت مجمل الرموش وشككت في مصداقية روايتي عمداً حيال كل شيء في تلك الليلة؟

لا، لم ترد أن يراها أحد، حدث شيء ما في تلك المقصورة، وأيا كان ما هو، لم يكن يفترض أن أشاهده.

تمددت هناك أشحذ فكر دماغي المضروب في محاولة لأستشف ما حدث، لكن كلما حاولت جمع شتات المعلومات سوياً، شعرت وكأن أحجية بقطع كثيرة لا تناسب إطار اللعبة.

حاولت التفكير في الاحتمالات التي قد تتلاءم مع الصرخة والدماء والتغطية على الجريمة. شجار؟ ضربة في الأنف وصرخة ألم ودفق دماء مع ركض الشخص إلى الشرفة لينزف في البحر، ويترك بقعة على الزجاج... بلا موت. وإن كانت الفتاة أحد المسافرين خلسة، ربما يفسر هذا سبب تغطيتهم على الموضوع.. نقلها إلى موقع مختلف وتنظيف الدماء.

لكن الأجزاء الأخرى من الصورة لم تلائم، لو أن الشجار غير مقصود وغير متعمد، فكيف نظفوا المقصورة بهذه السرعة؟ لقد رأيت الفتاة على الطبيعة في وقت سابق من هذا اليوم، والغرفة من خلفها مكدسة بالملابس والمتعلقات. فلو أن الشجار غير مخطط، فمحال أن يخلوا وينظفوا هذا الجناح خلال الدقائق القليلة التي استغرقتها للاتصال بنيلسون.

لا.. أيا كان ما حدث هناك فقد خططوا له وأخلوا

المكان مسبقًا، نظفوه بدقة متناهية. وبدأت أشك إنه ليس من سبيل المصادفة أن المقصورة العاشرة هي التي أخليت. لا، تركت إحدى المقصورات خاوية عن عمد، وقد كانت المقصورة العاشرة. بالمجرين هي آخر مقصورة تمامًا على السفينة؛ فلا يوجد مقصورات بعدها لترى شيئاً يطفو بالجوار، ويختفي في زبد البحر الذي تخلفه السفينة من ورائها.

مات أحدهم، كنت على يقين من هذا، ليست تلك الفتاة فحسب، لكن من إذن؟

تقلبت على فراشي في الظلام في محاولة للاستماع إلى أي أصوات تعلو هدير المحرك وفي محاولة للإجابة على الأسئلة التي تموج باضطراب داخلي. شعرت بضبابية وثقل في عقلي، لكنني ظللت أعود إلى ذلك السؤال. من، من الذي مات؟

24

عندما استيقظت في اليوم التالي سمعت نفس التكتكة المعدنية التي سمعتها من قبل، وانفتحت الأنوار. تقطعت الأنوار للحظة، فإذا بالطنين الدافئ للمصاييح منخفضة الطاقة يعلو صوت المحرك ويختلط بالأنين في أذني. قفزت، وقلبي يتسابق في صدري، وأوقعت شيئاً على الأرضية جانب الفراش وأنا أحملق في أرجاء المكان.

فوت فرصتي.

يا إلهي، فوت فرصتي مجدداً.

يجب أن أكتشف ماذا يحدث هنا، وما في نيتهم فعله بي، ولماذا يواصلون إسكاتي، وإلى كم من الوقت ظللت هنا؟ هل كان وقت الصباح الآن؟ أم هل هذا مجرد الوقت الملائم للفتاة - أو أيًا كان من أسرني - ليشغل الكهرباء مجدداً؟

حاولت استرجاع الأحداث، لقد ضربت في الساعات الأولى من صباح يوم الثلاثاء. على الأقل نحن في صباح يوم الأربعاء الآن، أو يرجح بعد ذلك، فقد شعرت بمكوئي هنا أطول من أربع وعشرين ساعة.. أطول كثيراً.

ذهبت إلى الحمام لأنضح الماء في وجهي، وحينما جففت نفسي لطمتني موجة من الدوخة، جعلت رأسي يدور والغرفة بأكملها تتحرك وترتجف. انتابني شعور مفاجئ بالسقوط، وسندت يدي لأوازن نفسي على إطار الباب، ثم أغمضت عيني لأقاوم هذا الشعور بالسقوط سريعاً في خيالات سوداء.

وأخيراً تراجع هذا الشعور، وعدت أدراجي إلى السرير، حيث جلست ووضعت رأسي بين ركبتي،

وأنا أشعر بارتجاف جلدي بالبرودة والسخونة. هل تحركت السفينة؟ كان من الصعب معرفة الفارق بين الدوخة وحركة الأمواج، أسفل أسطح السفينة بكثير. بدت حركة السفينة مختلفة تمامًا هنا بالأسفل.. فلا قدر كبير من الصعود والهبوط المنسجم، لكنها استدارة بطيئة اختلطت بالهدير المستمر للمحرك لتضفي علي شعوراً غريباً ومنوماً.

رأيت صينية جانب الفراش مع مخبوزات دنماركية ووعاء به بقايا شوفان مطحون. حتماً إن هذا ما أسقطته عندما فزعت من نومي وقفزت من الفراش. التقطته وأجبرت نفسي على تناول ملعقة كاملة، لم أكن جائعة لكني لم أكل شيئاً سوى بضع كريات لحم منذ ليل الاثنين. لو كنت سأخرج من هنا، فسأحتاج إلى القتال والقتال، يجب أن أكل.

لكن ما أردته بحق ليس الطعام، بل أدويتي، أردتها، بشوق شديد ملا جسدي حتى إنني تذكرت آخر مرة حاولت التوقف عن تناولها. لكن في هذا الوقت عرفت أن الأمور ستتحسن بدونها، كما ظلت أخبر نفسي آخر مرة، سوف تزداد سوء.

لو كنت حية لتري ما سيحدث، بهذا همس الصوت الصغير البغيض في رأسي. علق الشوفان المطحون بحلقي وفجأة لم أستطع تناوله.

اشتقت لعودة الفتاة من المقصورة. وهنا مرت بمخيلتي صورة حيوية وعنيفة؛ وأنا أمسك بشعرها بنفس الطريقة التي أمسكتني بها من شعري وأحطم عظام خدها على الحافة المعدنية الحادة للسريـر وأشاهد الدماء وهي تتدفق، والرائحة الحادة والعطنة التي يبدو عليها في المقصورة عديمة الهواء. أتذكر مجدداً الدماء في الشرفة والطريقة التي تلتخ بها على أنحاء الزجاج وأتمنى باشتياق

قوي وشديد لو كانت دماءها.

قلت في نفسي، أكرهك. ابتلعت ريقى وأنا أشعر فيه بجرجر، وأجبرت ذلك الشوفان الذي لم يكتمل مضغه على النزول في أمعائي. اغترفت ملعقة أخرى، وأصابني تهتز أثناء ابتلاعي لها. أكرهك كثيراً، أمل أن تغرقى. بدا الشوفان مثل الإسمنت، يخنقني وأنا أحاول ابتلاعه، لكنني ابتلغته بصعوبة مرة تلو الأخرى إلى أن صار الإناء شبه خاو.

لم أعرف إذا كان في استطاعتي فعل هذا، لكن وجب علي أن أحاول.

التقطت الصينية الرفيعة المصنوعة من الميلامين وحطمتها على الحافة المعدنية للسرير، ارتدت مرة أخرى فما كان مني إلا أن جفلت وابتعدت عن طريقها. راودني شعور حاد ومفاجئ بحادث اقتحام منزلي - الباب يرتطم بعظم خدي - ووجب علي أن أغمض عيني للحظة وأثبت نفسي على السرير.

لم أحاول هذا مجدداً، بل أملت الصينية على الحافة المعدنية، ووضعت ركبتى على أقرب جانب وكل ثقلي على يدي في الطرف البعيد، ثم دفعتها للأسفل، لم يصدر عن الصينية أي شيء في البداية وضغطت بقوة أشد، ثم قُدت نصفين مع جلبة مثل طلقة بندقية جعلتني أقع طريحة الفراش. لكنني حصلت على مبتغاي.. قطعتين من البلاستيك، ليسا بحدة الموس، لكنهما بحافة صلبة بما فيه الكفاية لإلحاق بعض الضرر.

التقطت كل قطعة ووزنتها في يدي بأفضل طريقة يمكنني الإمساك بها، ثم أمسكت بالقطعة التي تبدو أكثر السلاحين رهبة، ومشيت عبر الباب ثم جلست القرفصاء مقابل الحائط إلى جانب إطار الباب. وانتظرت.

بدا لي إن هذا الوضع دام لساعات في ذلك اليوم، وشعرت بإغماض عيني مرة أو مرتين، وحاول جسدي أن ينغلق في وسط تلك الفورة المنهكة من الأدرينالين والخوف، لكنني أجبرتهما أن ينفثا. الزمي هذا يا لو!

بدأت في العد، ليس من الذعر تلك المرة، لكن فقط لأبقي نفسي مستيقظة. واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة. وعندما وصلت إلى ألف غيرت وبدأت العد بالفرنسية. واحد، اثنان، ثلاثة.. ثم العد زوجيًا. مارست ألعابًا في رأسي.. «دندنة وأزيز» لعبة الأطفال تلك التي تقول فيها «دندنة» كل خمسة أعداد أو مع مضاعفات العدد خمسة، ثم «أزيز» مع كل سبعة. (ارتجفت يداي). ستة، أزيز، تسعة، عشرة.. لا مهلاً، يجب أن أقول هنا «أزيز».

هززت رأسي وقد نفذ صبري، وفركت ذراعي اللذين يؤلمانني، ثم عاودت مجدداً. واحد، اثنان... ثم سمعتها.. ضوضاء صادرة من الردهة. باب يصفح، فحبست أنفاسي. اقتربت أكثر، وتسارعت دقات قلبي، وانقبضت معدتي.

وضع مفتاح في القفل...

ثم فتح الباب قليلاً بحرص ووثبث.

هي.

رأيتني وأنا أنقض على الجزء الموارب من الباب وحاولت إغلاقه، لكنني فقتها في السرعة. اندفعت بذراعي نحو فتحة الباب، وضفع على ساعدي.. بقوة. صرخت من الألم، لكن الباب ارتد مرة أخرى، وتمكنت من حشر جسدي في تلك الفتحة، وطعنت ذراعها المتشبث بالطرف الحاد من الصينية

المكسورة، لكن عوضًا عن السقوط للخلف كما توقعت، اندفعت للأمام إلى الغرفة، ولكمتني لأعود مجددًا إلى الحائط البلاستيكي ولتجرحني الصينية جرحًا مؤلماً. سحبت نفسي للأعلى والدماء تسيل على ظهر كفي، لكنها كانت أسرع، انطلقت نحو الباب وأوصدته ثم وقفت وظهرها إليه قابضة بيدها على المفتاح.

«دعيني أذهب». خرجت مني وكأنها زمجرة حيوان.. وليس صوتًا بشريًا على الإطلاق.

هزت رأسها نافية، وظهرها إلى الباب، ودمائي على وجهها ففزعت، لكنها انتشت أيضًا بعض الشيء، استطعت رؤية ذلك في عينيها، كانت لها اليد العليا، وعرفت هذا.

قلت، «سأقتلك». وعنيت ما قلت، أمسكت بالصينية الملطخة بدمائي، «سأقطع عنقك».

«لم تستطيعي قتلي»، قالتها بنفس الصوت الذي أتذكره، مع نوع من اللامبالاة المحتقرة خلف كلماتها. «انظري إلى حالك، بالكاد تستطيعين الوقوف أيتها الساقطة المسكينة».

«لماذا؟» هكذا قلت بنبرة في صوتي بدت مثل طفل متذمر. «لماذا تفعلين هذا؟».

«لأنك أجبرتنا على هذا»، قالتها بفحيح مغتاظ فجأة. «لم تتوقفي عن التقصي، لماذا لم تفعلي؟ مهما حاولت أن أحذرك لتكفي عن هذا، لو أغلقت فمك فحسب حول ما رأيته في تلك المقصورة المشؤومة..».

«ما الذي رأيته؟» هكذا قلت، لكنها هزت رأسها نافية وضمت شفثيها.

«يا إلهي، حتمًا تعتقدين أنني أغبي مما أبدو عليه،

أتريدين أن تموتي بحق؟».

هزرت رأسي نافية.

«جيد، ماذا تريدين إذن؟».

قلت، «أريد الخروج من هنا»، وجلست على السرير فجأة، فلم أكن واثقة إذا ما كانت ساقي ستحملاني لمدة أطول.

هزت رأسها نافية بعنف تلك المرة، ورأيت تلك الومضة من الخوف في عينيها مجدداً. «لن يسمح لي أبداً».

يسمح؟ وخزت تلك الكلمة في أنحاء جسدي، فهذا أول دليل مادي على أن شخصاً ما من الأعلى كان يساعدها، من هو؟ لكني لم أجرو على السؤال، ليس الآن، فثمة شيء أكثر أهمية أحताجه أولاً.

«أدويتي، دعيني أحصل على أدويتي».

نظرت نحوي لتقييم مطلبي. «تلك التي تركتها إلى جوار الحوض؟ ربما أستطع فعل هذا، لماذا تريدينها؟».

قلت بمرارة، «إنها مضادات للاكتئاب، وفيها.. لا ينبغي أن تمرى بأعراضها الانسحابية سريعاً».

«أه..». لمحت الفهم المفاجئ على وجهها. «لهذا تبدين بغاية السوء، لم أستطع أن أفهم السبب. اعتقدت إنني ضربت رأسك بشدة، حسناً، يمكنني فعل هذا، لكن يجب أن تعطيني شيء في المقابل».

«ماذا؟».

«ألا تحاولي مهاجمتي مجدداً، تلك الأدوية مقابل السلوك الحسن، اتفقنا؟».

«اتفقنا».

استقامت في جلستها والتقطت الصحن والوعاء ومدت يدها لتلتقط قطعتي الصينية المكسورة.

فترددت للحظة، ثم ناولتها إياهما.

قالت، «سوف أفتح قفل الباب الآن، لكن لا تفعل أي شيء غبي. ثمة باب آخر خارج هذا الباب، يعمل بالشفيرة، لن تصلي إلى مسافة بعيدة. لذلك لا تحاولي تلك الألاعيب السخيفة، اتفقنا؟».

قلت بتردد، «اتفقنا».

وبعد أن ولت جلست على السرير وأنا أهدق في الفراغ وأفكر فيما قالته.

هو.

لم يكن معها شريك متواطئ على متن السفينة، وتلك الكلمة الواحدة تعني أن في استطاعتي استبعاد تينا وكلوي وأن وثلث طاقم العمل.

من هو؟ عددهم في رأسي.

نيلسون.

بولمر.

كول.

بين.

أرشر.

وفي العامود الأقل ترجيحًا وضعت أوين وايت وأليكسندر والبحارة والمضيفون.

راجعت بعقلي تلك الاحتمالات، لكن العامل الوحيد الذي عاودت التفكير فيه هو المستحم المعدني ورسالة، «كفي عن التقصي». فلا يوجد سوى رجل واحد نزل هناك، رجل واحد كان في استطاعته كتابة تلك الكلمات: بين.

وجب علي التوقف عن التركيز على الدوافع، السبب وراء هذا هو السؤال الذي لا حل له والذي لم يكن لدي معلومات كافية لأجيب عنه.

أما عن الكيفية.. فثمة قلة من الناس على متن السفينة لديهم الفرصة لكتابة تلك الرسالة. فلا يوجد إلا مدخل واحد فعال إلى المستحم المعدني، وبين هو الذكر الوحيد الذي كنت على يقين من استخدامه إياه.

كثير من الأشياء المنطقية، سرعة تشكيكه في قصتي أمام نيلسون. وحقيقة إنه -من بين كل الأشخاص على متن السفينة- حاول الدخول إلى مقصورتي ليلة أمس، وعرف أنني أغلقت باب الحمام على نفسي، ما مكنه من سرقة جوالي.

وحقيقة أن مقصورته كانت على الجانب الآخر من المقصورة الخالية، ومع ذلك قال بأنه لم يسمع شيئاً ولم ير شيئاً.

وحقيق كذبه حول حجة غيابه، أثناء لعب البوكر. وحقيقة إنه حاول بشدة أن يصدني عن المضي قدماً في التحقيق.

يفترض أن يشعرني هذا التطابق بين قطع الأحجية بالرضا، غير أن هذا لم يحدث، لأنه ما فائدة الإجابات لي وأنا هنا بالأسفل؟ كنت بحاجة إلى الخروج.

25

تمددت على جانبي، وأنا أهدق إلى الحائط المصنوع من الميلامين بلون أبيض باهت، وإذا بطريقة على الباب.

«ادخل»، قلتها بخفوت وأنا أكاد أضحك على نفسي من حماقة تلك المجاملات الاجتماعية في موقف مثل هذا، ما فائدة قلبي «ادخل» إن كان في استطاعتهم أن يفعلوا ما يحلو لهم بغض النظر عما أقوله؟

«إنها أنا»، هكذا قال الصوت من الخارج. «لا مزيد من الهراء بالصواني، حسنًا؟ وإلا فستكون تلك آخر حبة دواء تنالينها مني، اتفقنا؟».

قلت، «حسنًا». حاولت ألا أبدو متحمسة بشدة، لكنني جلست على الفرشة وسحب الغطاء الرفيع حولي، لم أستخدم المنضح منذ وصولي إلى هنا وامتزجت رائحتي بالعرق والخوف.

فتح الباب بحرص، ودفعت الفتاة صينية طعام من الأسفل بقدمها، ثم انزلت عبر الجزء الموارب وأوصدته من ورائها.

قالت، «ها هو مبتغاك»، مدت يدها وفي راحتها حبة دواء وحيدة بيضاء.

«واحدة؟» قلتها بتشكك.

«واحدة، ربما يمكنني أن أتيك باثنتين أخريين غداً، إن تأدبت».

لقد سلمتها للتو أفضل سلاح لتبتزني به على الإطلاق، لكنني أومأت برأسي وأخذت الحبة من راحتها. ثم سحبت من جيبها كتابًا. أحد كتبي في الواقع، من غرفتي. رواية (الناقوس الزجاجي)، ما كنت لأختارها في ظل هذه الظروف، لكنها أفضل

من لا شيء.

«اعتقدت إنك قد ترغبين في قراءة شيء؛ فربما تجني إن لم تجدي شيئاً تفعلينه». رمقت حبة الدواء بعينها، ثم أضافت، «بلا تجريح».

قلت، «شكراً»، وعندما التفتت لتذهب قلت، «مهلاً».

«ماذا؟».

«أنا..». وفجأة لم أعد متأكدة كيف أصيغ السؤال الذي أريد طرحه، فقبضت بيدي حول حبة الدواء في راحتي، تبتأ. «ماذا سيحدث لي؟».

تغير وجهها مع هذا السؤال، ورأيت في تعبيراتها شيء من التحفظ، وكأنه ستار انسدل على نافذة.

«ليس هذا بقراري».

«قرار من إذن؟ بين؟».

صدر منها خنين متهمك. «استمتعي بوقتك».

وعندما التفتت لتغادر، لمحت نفسها في المرأة الصغيرة على ظهر باب الحمام.

«بغضاً، تلطخ وجهي بالدماء، لماذا لم تخبريني؟ لو عرف إنك هاجمتني..». ذهبت إلى الحمام الصغير لتنضح وجهها بالماء وتمسحه.

غير إنها لم تمسح الدماء فحسب، عندما خرجت، تجمدت في مكاني. فبهذا التصرف البسيط الوحيد، أدركت من هي.

عندما مسحت الدماء أزالَتْ أيضاً حاجبيها، فأنكشف جبينها الأملس والأشبه بالجمجمة والذي يصعب عدم تذكره.

المرأة في المقصورة العاشرة هي أن بولمر.

26

شعرت بذهول تام فلم أنبس ببنت شفة، بل جلست فحسب هناك وفغرت فمي من وقع الصدمة. أشاحت الفتاة بوجهها عني لتنظر مجدداً إلى انعكاسها في مرآة الحمام الصغير، وأدركت ما فعلته. فتخلل وجهها للحظة تعبير عن الانزعاج، لكنها بدت وقد دفعته عنها سريعاً واندفعت من الغرفة، لتصفع الباب من ورائها، وسمعت احتكاك بطاقة فتح الأبواب بالقفل، ثم صفعت باباً آخر أبعد من هذا الباب.

أن بولمر.

أن بولمر؟

بدا من المستحيل بالنسبة لي أن تكون نفس المرأة ذات الوجه الهزيل الرمادي الذي شاخ قبل أوانه والتي تحدثت إليها من قبل. مع ذلك.. فلا سبيل لأن أخطئ وجهها. نفس العيون الغامقة ونفس الطول وعظام الوجنتين الناتئة، لكن الشيء الوحيد الذي لم أستطع فهمه، كيف أخطأت في تمييزها من قبل. لو لم أرها، في وسط تحولها، لما صدقت أبداً كيف تغير شكل وجهها من شعرها وحاجبيها المرسومين برقعة. فبدونهما بدت بلا ملامح وناعمة؛ كان من المستحيل ألا أفكر في الموت والمرض عندما نظرت إلى هذا الجلد على عظم، وغطاء الرأس الذي ربطته حول جمجمتها ليؤكد فقط على الهشاشة، وأبرز بطريقة مؤلفة خطوط عنقها وشكل العظام أسفل منها.

لكن دينك الحاجبين السوداوين الرفيعين والشعر الداكن اللامع غيروا من ملامحها فلم أعد قادرة على تمييزها، ومعه صارت أصغر سناً وتنبض بالحيوية.

أدركت أنني عندما تحدثت إلى أن بولمر من قبل، وقعت تحت تأثير بهرجة مرضها حتى إنني لم أتمكن بنظري في المرأة أسفل منه بحق. حاولت ألا أنظر في الواقع، فلم أرسوئ الملابس الفضفاضة المميزة، والحاجبين المفقودين، والجمجمة البارزة التي تشتت الانتباه أسفل هذه الأوشحة الرقيقة...

حتمًا إن الشعر مستعار.. لا شك لدي حيال هذا، فلا مجال أسفل تلك الأوشحة الحريرية الرفيعة لخصل شعر داكنة وكثيفة كتلك.

لكن هل كانت مريضة؟ بخير؟ تحتضر؟ تتمارض؟ هذا غير معقول.

حاولت التفكير فيما قاله لي بين.. أربع سنوات من العلاج الكيماوي والعلاج بالأشعة. هل يمكن حقًا أن تدعي المرض هكذا، حتى وإن دفعت لأطباء خصوصيين، ونمط حياة الأغنياء الذين يسافرون بالطيارة النفاثة والذي يمكنك من التنقل من نظام رعاية صحي إلى نظام آخر كل بضعة أشهر؟ ربما.

على الأقل فسر هذا شيئًا واحدًا.. كيف صعدت على متن السفينة، وماذا حدث لها بعد ذلك البطيوط ليلاً. خلعت شعرها المستعار ببساطة وخلعت غطاء رأسها وواصلت حياتها بصفتها أن بولمر. وهذا يفسر أيضًا كيف استطاعت الوصول إلى كل جزء في السفينة.. إلى مفاتيح المرور ومناطق العاملين، وهذا الديماس السري بقاع السفينة. عندما يكون المالك زوجك، فلا شيء خارج الحدود.

لكن أكثر ما حيرني هو السبب؟ لماذا ترتدي شعراً مستعاراً وقميصاً عليه فرقة (بينك فلويد) وتضع وقت العصاري في مقصورة خاوية؟ ماذا كانت تفعل هناك؟ وإن كان سرّاً فلماذا تفتح الباب للطارقين أصلاً؟

وعندما دار السؤال الأخير في رأسي، رأيت وميضاً مفاجئاً لنفسي وأنا أقرع الباب - واحد، اثنان، ثلاثة، توقف، وقرعة أخرى - والحركة الخاطفة التي فتح الباب بها وكأن شخصاً ما كان ينتظر تلك القرعة الأخيرة. كانت قرعة غريبة ومميزة، من ذلك النوع الذي قد تلجأ إليه كشيفرة مرتبة بين طرفين. هل يحتمل أنه صادف وطرقت على الباب بإشارة مرتبة مع المرأة في المقصورة - أن بولمر - لتفتح الباب؟ لو فقط، لو أنني فقط طرقت الباب مرتين كأني شخص عادي.. أو حتى مرة واحدة. لما عرفت أبداً إنها كانت بالداخل، ولما وضعت نفسي في هذا الموقف الذي يتعين أن أحبس وأسكت بموجه... أسكت، يا لها من فكرة مزعجة، وعلقت تلك الكلمة برأسي، ترددت بداخلي مثل صدى صوت.

يجب أن يسكتوني، لكن يسكتوني لأي مدة؟ أنا محبوسة هنا إلى أن.. ماذا؟ أن يمر وقت نهائي متفق عليه؟

أم إسكاتي.. إلى الأبد؟

كان العشاء سمكاً أبيضاً في نوع من الصوص الكريمي، مع بطاطا مسلوقة، وضعت باردة ومخترة حول الأطراف، لكنني أتضور جوعاً. قبل أن أكل نظرت إلى حبة الدواء في يدي، وتساءلت عما أفعله. إنها نصف جرعتي المعتادة، يمكنني تناول الحبة بالكامل الآن، أو يمكنني تقسيمها، وأبدأ في تجميع مخزون للطوارئ.. لكن أي طارئ؟ من الصعب أن أهرب، وإن قررت أن التوقف عن صرف الحبوب لي، فستنفد مني قبل أن تشفق علي بوقت طويل.

في النهاية تجرعت الحبة بأكملها، بعد أن خلصت أن لدي عجز لأعوضه. يمكنني البدء في تناول نصفها اعتباراً من غد، لو بدا هذا مهماً. شعرت

بحال أحسن على الفور تقرينا، مع أني عرفت بحكم المنطق إنه محال أن يكون هذا جراء تناول الدواء، فالجسم لا يمتصها بتلك السرعة، إلى جانب حقيقة إنها تأخذ وقتًا لتتفاعل مع جهازك العصبي. أيا كان الارتياح الذي شعرت به فهو بالكامل تأثير قائم على العلاج الوهمي، لكن عند تلك المرحلة لم أعد أهتم، سأحصل على ما يمكنني نيله.

ثم بدأت في تناول العشاء الفاتر، وبينما جلست على السرير، أمضغ البطاطس الباردة واللزجة ببطء في محاولة لجعلها شهية أكثر، حاولت إعادة ترتيب قطع الأحجية التي جمعتها بجهد شديد داخل رأسي.

عرفت الآن معنى صوت الخنين الساخر هذا.

يا لبين المسكين، انتابني شعور مفاجئ بالذنب لأنني تسرعت في الحكم عليه، ثم دفعة أخرى، لكن بالغضب تلك المرة. فقد ركزت تمامًا على فرصة أن تذكر أن رجلاً متواطئًا إلى درجة إنه لم يخطر ببالي حقًا أن أن نفسيها هي التي هرعت ونزلت سلالم المستحم المعدني أثناء جفاف طلاء أظافرهما على ما يفترض ونقشت تلك الكلمات. غبية، غبية يا لو.

لكن بين غبي أيضًا. لو لم يمض كل تلك السنوات وهو يقلل من مشاعري ولولا إنه لم يكن متحمسًا جدًا ليفشي سري إلى نيلسون عوضًا عن دعم قصتي، لربما تريت في إصدار الأحكام عليه.

عرفت الآن من «هو»، إنه حتمًا ريتشارد بولمر، فهو من يملك السفينة، ومن بين كافة الرجال في السفينة يمكنني تخيله وهو يخطط وينفذ جريمة قتل أفضل من أي أحد آخر، وهذا بالتأكيد أفضل من أليكسندر السمين صعب الإرضاء أو نيلسون وثيق الأركان الأشبه بالدب.

باستثناء إنه لم ترتكب أي جريمة قتل، فلماذا ظلت أذكر نفسي بتلك الحقيقة؟ لماذا صعب علي فهمها؟

لأنك هنا على ما أعتقد. لأنه مهما كان ما رأيته -وأيا كان ما حدث في تلك المقصورة- فهو مهم بما فيه الكفاية بحيث يحبسوك هنا ويمنعونك من الذهاب لرؤية الشرطة في ترونديم. ما الذي حدث؟ حتماً شيء بالغ الخطورة إلى درجة إنهم لم يستطيعوا السماح لي بالحديث عنه. هل هو تهريب؟ هل كانوا متورطين بإلقاء شيء ما من على متن السفينة؟

ستكونين أنت التالية، أيتها الغبية الساقطة، كذا همس الصوت في رأسي، وبدأت لي صورة وأنا أسقط في ماء عميق وتخللني وكأنه صاعقة كهربائية تغلغلت في جمجمتي.

جفلت وجززت على أسناني، ثم أجبرت نفسي على ابتلاع مقدار ملء فاهي من البطاطس اللزجة. مالت السفينة وبدأ الغثيان يتزايد في جوف معدتي.

ما الذي سيحدث؟ لا يوجد سوى احتمالين.. سوف يطلقون سراحني في مرحلة ما، أو سوف يقتلونني. وبطريقة ما لم يعد يبدو الاحتمال الأول مستساغاً. فقد عرفت أكثر من اللازم، عرفت عن أن، وعرفت إنها لم تكن مريضة بنفس الدرجة التي تدعيها تقريباً. أعرف إنها لم تكن مريضة كما تدعي، ولا يمكن أن يتحملوا خروجي ورواية قصتي.. قصة الخطف، والحبس والإيذاء الجسدي، لكن هل يمكن لأحد أن يصدقني؟

لمست خدي بأناملي، حيث ظلت الدماء متخثرة حيث خبطتني في إطار الباب، شعرت بالقبح..

قذارة وعرق وتلطخ بالدماء. لن تعود ان قبل بضع ساعات، بناءً على توقّياتها السابقة.

لا يوجد كثير مما يمكنني فعله لأحسن موضعي، بأن أعلق في هذا الكفن بسعة مترين، لكن على الأقل يمكنني الحفاظ على نظافتي.

لم يشبه المنضح تلك المناضح بالطوابق العليا، حتى عندما فتحتة بكامل طاقتها نزلت منه نقاط فاترة، لكنني وقفت تحته لفترة طويلة إلى أن شعرت بتجعد أناملي، تحللت الدماء المتجلطة على يدي في المياه وأغمضت عيني وأنا أشعر بالدفء الذي يغمرني ويتسلل داخل عضلاتي.

عندما خرجت منه شعرت بحال أفضل، وكأنني نفسي، انزاح عني بعض من الخوف والعنف الذي عاينته على مر الأيام القليلة الماضية. وعندما ارتديت ملابسني مجدداً شعرت إلى أي مدى انحدرت.

تمددت على السرير وأغمضت عيني، وأنا أنصت إلى الطنطنة الثابتة للمحرك وأتساءل أين نحن، كانت ليلة الأربعاء.. أو ربما حتى صباح الخميس الآن. وحسبما أتذكر فليس أمامنا أكثر من أربع وعشرين ساعة بقليل على انقضاء تلك الرحلة، وماذا بعدها؟ عندما تصل السفينة إلى بيرجن صبيحة يوم الجمعة، سيغادر بقية الركاب ومعهم سينقطع أمني الأخير بأن يدرك أحدهم ما حدث.

سأظل بأمان لأربع وعشرين ساعة على الأرجح، لكن بعد هذا... يا إلهي، لكنني لم أستطع التفكير في هذا.

ضغطت بيدي على عيني، واستمعت إلى الدماء وهي تدردر في رأسي، ما الذي ينبغي علي فعله؟ ما الذي يمكنني فعله؟

على اعتبار أن أن تقول الحقيقة، فإن إيذاءها لن يحقق أي شيء. وثمة باب آخر موحد على الجانب الآخر لهذا الباب، وعلى الأرجح شيفرات خروج أخرى على المخارج. ولدقيقة تساءلت: لو أنني خرجت إلى الردهة، هل يمكن أن أبحث عن إنذار حرائق وأطلقه قبل أن تلحق بي؟ لكنها بدت محاولة بعيدة المنال جداً، وحسبما رأيت من قوتها وسرعتها، فعلى الأرجح لن أصل إلى هذا الحد. لا، إن أفضل فرصى بسيطة.. يجب علي استمالة أن إلى صفى.

لكن كيف؟ ما الذي عرفته فعلياً عنها؟

حاولت التفكير: ثروتها المذهلة، وتربيتها وحيدة في أنحاء المدارس الداخلية بأנحاء أوروبا. فليس من العجب إذن استغراقي لكل هذا الوقت لأتوصل إلى هذا، المرأة الهزيلة حزينة العينين في عباءتها الحريريّة والأوشحة التي صممها المشاهير.. أجل، بطريقة ما تلائم هذا مع ما قيل لي. غير أنني لم أستطع الربط بين كلمة واحدة قالها بين حول الفتاة التي ترتدي قميص فرقة (بينك فلويد)، وعينيها الداكنتين مع مجمل الرموش الرخيص. وكأنه يوجد من أن امرأتان، بنفس الطول ونفس الوزن، لكن عند هذا ينتهي التشابه.

ثم... خطر على بالي شيء ما.

اثنتين من أن.

امرأتين.

العباءة الحريريّة الرمادية التي تضاهي عينيها...

فتحت عيني ومددت قدمي على جانب السرير، وأنا أئن من غبائي. بالطبع.. بالطبع. لولا أنني شعرت بأنني شبه ميتة من الخوف والذعر والألم في رأسي،

لفهمت هذا. كيف لم أفكر في هذا.

بالطبع يوجد اثنان من أن.

أن بولمر التي ماتت.. والتي ظلت هكذا منذ الليلة التي غادرنا فيها إنجلترا.

والفتاة في قميص (بينك فلويد) كانت حية تمامًا وتتقمص شخصيتها منذ هذا الوقت.

نفس الطول ونفس الوزن ونفس عظام الخدين الواسعة.. لكن فقط العينين لم تتطابقا، وقد أقدموا على مجازفة محسوبة بالأحد سيتذكر ملامح وجه المرأة التي قابلوها بالكاد. لم يعرف أن أي أحد من الركاب على متن السفينة قبل الرحلة. بل إن ريتشارد قال لכול ألا يلتقط أي صور لها، بحق الرب! الآن بت أفهم السبب. ليس السبب حماية إدراك المرأة الذاتي لنفسها حول مظهرها، بل لئلا توجد صور تفضح هذا المخطط لدى أصدقاء وعائلة الزوجة والتي تثير الارتباك مستقبلاً.

أغمضت عيني، وأصابعي تمسك بتلابيب شعري إلى درجة ألمته وشددت معه فروة رأسي، في محاولة لأستشف ماهية ما حدث حتماً.

ريتشارد بولمر - حتماً هو - هرب المرأة في المقصورة العاشرة على متن السفينة بطريقة ما. وقد صعدت على متن تلك السفينة قبل أن يصعد بقيتنا.

عندما أبحرت السفينة كانت تنتظر الأمر، تعليمات من ريتشارد، لتخلي المقصورة وتستعد. فكرت فيما رأيته من ورائها: العباءة الحريرية الممددة على الفراش ومساحيق التجميل وشرائح (فيت) الشمعية لإزالة الشعر في الحمام. يا إلهي، كيف كنت بهذا الغباء؟ لقد كانت تحلق وتكشط شعر جسمها، استعداداً لتجسيد شخصية المرأة المصابة

بالسرطان، لكن عوضاً عن مجيء ريتشارد وطرقته المتفق عليها مسبقاً، جنتها، وأعطيتها الإشارة بغير قصد، ورأتني عوضاً عنه.

فيما فكرت بحق الجحيم؟ استرجعت مجدداً الخوف والانزعاج على وجهها وهي تحاول إغلاق الباب، وأوقفتها. كانت تتوق إلى التخلص مني، لكنها حاولت التصرف بأكثر قدر ممكن غير مثير للشكوك. وهذا أفضل كثيراً أن أتذكر امرأة غريبة أعارتني مجمل الرموش عوضاً عن سرد حكايات عن نزيلة إلى جوارى صفعت الباب في وجهي. وكاد أن يفلح هذا، كاد أن يفلح تمامًا.

هل أخبرت ريتشارد عندما جاء؟ لا أستطيع الجزم، لكن أعتقد إنها لم تفعل. لقد بدا طبيعياً جداً في عشاء أول ليلة تلك.. المضيف المثالي. وإلى جانب هذا، فقد كان خطوها الفادح، ولا يبدو من نوع الرجال الذين ترغب في الاعتراف بخطأ لهم، لكن الأرجح إنها دعت بأن تفلت بفعلتها هذه.

ثم حزمت حقائبها وأخلت الغرفة، وانتظرت.

بعد المشروبات في الليلة الأولى تم اصطحاب أن الحقيقية بطريقة ما إلى المقصورة العاشرة. هل كانت حية، وأغويت بقصة خيالية إلى هناك؟ أم كانت ميتة بالفعل؟

في كلتا الحالتين، لم يهم هذا بحق، لأن النتيجة النهائية واحدة. وفي حين أن ريتشارد عاد إلى مقصورة لارس، وأثبت أن حجة غيابه بلعبة البوكر التي لم تنقطع، فإن المرأة في المقصورة العاشرة ألفت بأن من على متن السفينة، على أمل ألا يعثر عليها أحد أبداً.

وكادوا أن يفلتوا بفعلتهم، لولا أنني - بخوفي وجزعي من حادث السرقة - سمعت البطيط

وتوصلت مباشرة إلى نتيجة خاطئة جداً، حتى
كادت تكون حقيقية تماماً.

فمن كانت هي؟ من الفتاة التي خبطتني،
وأطعمتني وحبستني هنا مثل حيوان؟

ليس لدي فكرة، لكنني عرفت شيئاً واحداً.. إنها
أفضل أمل لدي للخروج من هنا على قيد الحياة.

27

ظللت ممتدة ويقظة طوال الليل، في محاولة لأعرف ما ينبغي علي فعله. لا يتوقع جودا ووالداي عودتي إلى المنزل قبل يوم الجمعة ولا سبب لديهم للشك في أن أي شيء غير طبيعي قبل ذلك الحين، لكن سيفكر الركاب الآخرون حتماً أنني لم أعد إلى السفينة. هل سيثيرون أسئلة حول غيابي؟ أم إن بولمر حكى لهم قصة ما ليفسر اختفائي.. ربما أخبرهم أنني احتجzt في ترونديم بطريقة لا مفر منها؟ أو قررت العودة للمنزل على غير المتوقع؟

لم أكن متأكدة، حاولت التفكير فيمن قد يهتم بما فيه الكفاية لي طرح أسئلة. أُملي ضعيف في أن يحتج كول أو كلوي أو معظم الآخرين، فهم لم يعرفوني، وليس لديهم بيانات اتصال بأي من أفراد عائلتي، وعلى الأرجح كثيراً سيقبلون ما يقوله لهم بولمر.

بين، إذن؟ عرفني حق المعرفة، ليدرك أن الرحيل في الصباح الباكر من ترونديم دون التفوه بكلمة ليس من شيمي، غير أنني لست متأكدة. في ظل الظروف العادية ربما كان ليتصل بجودا أو والدي ويخبرهم بمخاوفه، لكن الطريقة التي أنهيت بها الأمور معه لم تكن ظروفًا عادية بالمرة. كل ما فعلته أنني اتهمته بالتواطؤ في جريمة قتل، وبغض النظر عن غضبه المبرر، فلن يندesh على الأرجح من اختفائي من السفينة دون كلمة وداع.

ومن بين الضيوف الآخرين، بدت تينا وكأنها أفضل رهان عندي، ودعوت أن تتصل بروان عندما لا أعود، لكن بدا احتمالاً ضعيفاً للغاية بحيث أجعل حياتي رهناً به.

لا، يجب أن أتحمّل مسؤولية نفسي.

ومع شقشقة النهار لم أنم لكني عرفت ما يجب علي فعله، عندما سمعت الطريقة، كنت جاهزة.

قلت، «ادخل»، فصدر صرير عن الباب، وزجت الفتاة رأسها بحرص من إطار الباب، رأيتني وأنا أجلس بهدوء على السرير مستحمة ونظيفة وأمسك بالكتاب على حجري. قلت، «مرحبًا».

وضعت صينية الطعام على الأرضية، وهي ترتدي ثياب أن تلك المرة -تتلفع بغطاء على رأسها وحاجباها ليسا مرسومين بدقة - لكنها لم تتحرك مثل أن؛ بل تحركت مثل الفتاة التي رأيتها من قبل، فألقت بالصينية على الأرض بنفاد صبر واستقامت بلا أي لطف كالذي أبدته عندما جسدت زوجة ريتشارد.

قالت، «رحبي بنفسك»، وبدا صوتها مختلف أيضًا.. إذ اختفت وتماهت الحروف الساكنة الواضحة. «هل انتهيت من هذا؟» أومأت برأسها إلى الكتاب.

«أجل، هل يمكنني استبداله بكتاب آخر؟».

«أجل، أعتقد هذا، ماذا تريد؟».

«لا أمانع، أي شيء، هذا من اختيارك».

«حسنًا»، مدت يدها لتأخذ رواية (الناقوس الزجاجي) فأعطيته إياها، ثم استعددت لما يجب علي فعله بعد ذلك.

قلت بحرج، «أسفة، بشأن الصينية».

ابتسمت عندما قلت هذا، وبدأت أسنانها المستقيمة والمضيئة مع التماع شرير في عينيها الداكنتين.

«هذا صحيح، لا ألومك، كنت لأفعل نفس الشيء، لديك صينية مطاطية هذه المرة. أو كما يقول المثل، اخدعني مرة.. إلى آخر المثل».

نظرت للأسفل نحو الفطور الذي وضع على

الأرضية، بدلت الصينية الحادة المصنوعة من الميلامين إلى صينية مصنوعة من البلاستيك الغليظ والقاتم، كذلك النوع الذي تقدم فيه المشروبات بالحانات.

أجبرت نفسي على الابتسام، «لا يمكنني الشكوى، فأنا من جلبت هذا على نفسي».

«أدويتك على صحن الفنجان، هل تذكرين.. السلوك الحسن، أليس كذلك؟».

أومات براسي والتفتت لتغادر، فابتلعت ريقى، يجب أن أوقفها، وأقول شيئاً، أي شيء يمكن أن يحكم علي بيوم وليلة آخرين هنا وحيدة.

قلت بيأس، «ما اسمك؟».

استدارت بوجه مرتاب. «ماذا؟».

«أعرف أنك لست أن. تذكرت أمر العيون، في أول ليلة كانت عينا أن رماديتين، أما أنت فلا. أما ما سوى هذا فمقنع جداً، أنت ممثلة بارعة بحق، كما تعرفين».

صار وجهها جامداً تماماً ولوهلة فكرت إنها ستندفع خارج الغرفة وتتركني هنا لاثنتي عشرة ساعة أخرى. شعرت وكأنني صياد، يحاول التقاط سمكة ضخمة بخيط صنارة رفيع، أحسست بآلم في عضلاتي بفعل الجهد لكنني حاولت ألا ارتعش أو أبدي هذا الإجهاد.

«لو كنت أخطأت الفهم..». بدأت الكلام بحرص.

«أخرسي»، قالتها بشراسة لبؤة، وتحول وجهها تماماً، بغضب وحشي، وعينيها الداكنتين مليئتان بالضغينة وعدم الثقة.

قلت بتواضع، «أسفة، أنا لم... اسمعي، هل هذا يهم؟ لن أذهب إلى أي مكان، فمن سأخبره بهذا؟».

قالت بمرارة، «تبا، أنت تحفرين قبرك، هل تفهمين هذا؟».

أومأت برأسي، لكنني عرفت هذا منذ بضعة أيام الآن، أيا كان ما حاولت الفتاة أن تخبر به نفسها - أيا كان ما أحاول أن أخبر به نفسي - لم توجد سوى طريقة واحدة لأغادر بها تلك الغرفة.

قلت، «لا أعتقد أن ريتشارد سيتركني أغادر، تعرفين هذا أليس كذلك؟ لذلك فإذا عرفت الاسم أم لم أعرفه فلن يفرق هذا بحق».

بات وجهها بلون أبيض شاحب أسفل غطاء الرأس باهظ الثمن، وعندما تحدثت استشعرت المرارة في صوتها.

«لقد أحدثت فوضى عارمة في كل هذا، لماذا لم تتركي الأمور تجري في أعنتها؟».

قلت، «كنت أحاول المساعدة!» لم أقصد أن يبدو الأمر على ما ظهر عليه، لكن في تلك الغرفة الصغيرة كان الصوت عاليًا إلى حد مخيف، فابتلعت ريقِي وتحدثت بهدوء أكثر. «كنت أحاول مساعدتك، ألا تفهمين هذا؟».

قالت، «لماذا؟» بشبه تساؤل وشبه صرخة إحباط. «لماذا؟ بالكاد تعرفيني.. لماذا تعين عليك مواصلة التقصي؟».

«لأنني عرفت كيف حال المرء في هذا الوضع! أعرف.. أعرف كيف حال أن تستيقظ ليلاً وأنت خائفة على حياتك».

زمجرت، «لكن هذه ليست أنا»، مشت بتبختر عبر المقصورة الصغيرة، وعن مقربة استطعت رؤية حاجبيها وقد بدأت تثبت من جديد. «لم تكن أنا أبداً».

«لكنها ستصبح أنت على أي حال»، قلتها وأنا أركز ببصري عليها لأحول دون أن تشيح بنظرها عني. فلا يمكنني تحمل إعفائها من معرفة ما كانت تفعله. «عندما يحصل ريتشارد على مال أن.. في اعتقادك ماذا ستكون خطوته التالية؟ أن يؤمن نفسه».

«أخرسي! ليس لديك فكرة عما تتحدثين عنه، إنه رجل صالح، وهو يحبني».

نهضت، لأقف معها على قدم المساواة، التقت عيوننا وأصبحت وجوهنا على بعد بوصات قليلة في تلك المساحة المحدودة.

قلت، «هذا هراء وأنت تعرفين هذا». ارتجفت يداي، لو لم يسر هذا على ما يرام لربما أوصدت الباب ولن تعود أبداً، لكن وجب علي أن أجعلها تواجه حقيقة الموقف.. لصالح وصالحها. لو أنها غادرت الآن، لصرنا كلانا في عداد الأموات. «لو إنه يحبك لما وضعك في هذا الموقف الحرج وأجبرك على ارتداء ملابس زوجته الراحلة. في اعتقادك ما السبب وراء كل هذه التمثيلية؟ أن يرتبط بك؟ لا يتعلق الأمر بك، ولو كان، لطلقها ورحل نحو غروب الشمس معك.. لكنها كانت لتأخذ مالها معها. إنها وريثة لأسرة عريقة تمتلك مليار جنيه إسترليني، هذا النوع من الناس لا يخاطر بالزواج بدون اتفاق ما قبل الزواج».

«أخرسي!» وضعت أصابعها في أذنيها وهزت رأسها. «أنت لا تعرفين ما تتحدثين عنه، فلا أحد منا أراد أن يصبح في هذا الموقف!».

«حقاً؟ هل تعتقدين إنها مصادفة أن يقع في حب إنسانة تشبه أن إلى حد مدهل؟ لقد خطط لهذا منذ البداية، أنت مجرد وسيلة لأجل غاية».

«أنت لا تعرفين شيئاً عن هذا»، زمجرت الفتاة.

وأشاحت بوجهها عني، وسارت حيث كان يفترض أن توجد نافذة ثم عادت. ولم يعد في تعبيراتها الآن أي شيء من الصفاء المنهك لأن.. بل مجرد خوف وغيظ مجرد.

«كل المال، بدون الزوجة المتحكمة.. أعتقد إن جزيرة المغريات تحركت أمام أنفه بمرض أن، وفجأة اكتشف إنه يحب الفكرة: مستقبل بدون أن، لكن مع المال. وعندما أخبرها الأطباء أن الوضع لم يعد خطراً، لم يرد أن يضيع الفرصة.. أليس هذا صحيحاً؟ ثم رآك.. وبدأت الخطة تتشكل لديه. من أين جاء بك.. حانة؟ لا، مهلاً»، تذكرت الصورة على كاميرا كول. «من ناديه، صحيح؟».

«أنت لا تعرفين شيئاً عن هذا!» صرخت الفتاة. «أي شيء!».

وقبل أن أتمكن من قول أي شيء آخر، نكصت على عقبيها وفتحت الباب بيد مرتعشة ثم انطلقت خارج الغرفة، وهي ما تزال تمسك برواية (الناقوس الزجاجي) أسفل ذراعها. صفع الباب من خلفها وسمعت حكة المفتاح بارتجاف في القفل، ثم على بعد سمعت صفعة أخرى، وبعدها سكون.

عدت للجلوس على السرير، هل جعلتها تشك في ريتشارد بما فيه الكفاية بحيث تضع ثقتها في؟ أم هل تصعد إلى السلالم الآن لتخبره هذه المحادثة بأكملها؟ لا توجد سوى طريقة واحدة لاكتشف، وهي الانتظار.

لكن مع انقضاء الساعات ولم تعد، بدأت أتساءل إلى أي مدى سيدوم هذا الانتظار.

وعندما لم تظهر بالعشاء، وبدأ سغاب الجوع يتسلل لمعدتي، بدأت أشك أنني اقترفت خطأ فادحاً.

28

تمددت لمدة طويلة وأنا أحرق في السرير أعلى مني، وأراجع المحادثة في رأسي في محاولة لأستشف إن كنت اقترفت أسوأ خطأ في حياتي.

لقد راهنت على توطيد نوع من الترابط مع الفتاة وأجبرتها على مواجهة ما كانت تفعله.. وبدا لي أنني أخفقت.

دامت الساعات ومع ذلك لم يأت أحد، وازداد شعوري بالتشتت أكثر فأكثر من قرصة الجوع، تمنيت أنني لم أعطها الرواية؛ فلا شيء في المقصورة يمكنني أن أشتت نفسي به. بدأت أفكر في الحبس الانفرادي.. وكيف يجن المساجين تدريجياً ويسمعون أصواتاً ويتوسلون للإفراج عنهم. على الأقل تركت الفتاة الضوء مفتوحاً، مع أنني لم أكن متأكدة إن كان هذا بدافع رحمتها.. فقد شعرت بالغضب الشديد عندما غادرت الغرفة وحتماً إنها كانت لتغلقه فقط لمعاقبتي، الأرجح إنها نسيت. لكن تلك الحقيقة الصغيرة ساعدتني.. فكرة أن في استطاعتي اختيار بيئتي حتى بتك الطريقة الصغيرة.

استحممت مجدداً ولعقت المربي الجافة للفطيرة الهلالية من الطبق. ثم تمددت على السرير وأغمضت عيني وحاولت أن أتذكر أشياء: تصميم المنزل الذي نشأت فيه، حبكة قصة (نساء صغيرات)، ولون جودا...

لكن لا، دفعت هذا عني، لا يمكنني التفكير في جودا، ليس هنا، هذا سيحطمني.

في النهاية -ومن باب تولي مسؤولية الموقف وليس اعتقاداً مني إن هذا سيساعدني فعلياً-

فتحت الأنوار وتمددت وبدأت أحرق في الظلام في محاولة للنوم.

لست واثقة إن كنت نمت، غفوت على ما أعتقد. مرت ساعات أو بدت كذلك، ولم يأت أحد، لكن عند مرحلة ما في ذلك الظلام الدامس الطويل استيقظت بدفعة وجلست، ونبضي يصل لذروته، في محاولة لإدراك ما هو الاختلاف. ضجيج؟ الوجود في الظلام؟

شعرت بخفقان قلبي عندما نهضت من الفراش وتحسست طريقي إلى الباب، لكن عندما فتحت الأضواء لم أجد شيئاً مختلفاً، فالمقصورة كانت خاوية، والحمام الصغير مجرد كما كان دوماً، حبست أنفاسي وأرهفت السمع، لكن لا يوجد أي خطوات أقدام في الردهة بالخارج ولا أصوات أو حركات، ولا صوت يقطع هذا الهدوء.

ثم أدركت، الهدوء، هذا ما أيقظني، لقد توقف المحرك.

حاولت عد الأيام على أصابعي، ومع أنه لا يمكنني الجزم، إلا إنني كنت متأكدة إلى حد كبير إنه حتفاً يوم الجمعة الخامس والعشرين، وهذا يعني أن السفينة وصلت إلى آخر موانئها، بيرجن، حيث كنا على وشك النزول والالحاق بطائرتنا للعودة إلى لندن، سوف يغادر الركاب. وبعدها سأصبح وحيدة.

تلك الفكرة جعلت شعوراً بالذعر يتدفق في عروقي، ففكرة إنهم كانوا قريبين جداً -نائمين على الأرجح على بعد بضعة أقدام فوق رأسي- مع ذلك لا يوجد شيء، أي شيء يمكنني فعله لأجعلهم يسمعونني. وسرعان ما سيحزمون أمتعتهم ويغادرون وسأظل وحيدة في كفن على شكل

سفينة.

كانت الفكرة أثقل من أن أتحملها. وبدون تفكير أمسكت الوعاء الذي وضع فيه فطور الأمس وقرعته على السقف بكامل قوتي.

صرخت، «النجدة! هل يسمعي أحد؟ أنا محبوسة، رجاء ساعدوني!».

توقفت عن اللهاث وانصت، على أمل يانس أن صوت المحرك لم يعد يخفي صيحاتي، ويسمعي أحداً.

لم أسمع طرقة مقابلة، ولا صرخة مكتومة ترتد إليّ عبر الأرضية. لكنني سمعت شيئاً، كان صريراً معدنياً، وكأن شيئاً يخدش هيكل السفينة من الخارج.

هل سمعي أحدهم؟ حبست أنفاسي، في محاولة لأسكن قلبي، والذي يخفق بدوي عال إلى درجة إنه كاد أن يطغى على الأصوات الخافتة من خارج السفينة، هل سيأتي أحدهم؟

عاد الصرير مجدداً... شعرت بارتجاف في جانب السفينة، وأدركت فجأة ماهيته. سلم السفينة يدلى، والركاب ينزلون.

«ساعدوني!» هكذا صرخت وأنا أخبط مجدداً، لكنني لاحظت الآن فقط الطريقة التي امتص بها السقف البلاستيكي الصوت وجعله أصم.

«ساعدوني! هذه أنا، لو، أنا هنا! أنا على متن السفينة!».

لا مجيب، مجرد الأنفاس تقطع حلقي، ودمائي في أذني.

«أي أحد؟ رجاء! رجاء ساعدوني!».

وضعت يدي على الجدار وأنا أشعر بالديب على

سلم السفينة وهو ينتقل عبر هيكلها ونحو يدي. وتأثير حاملات السلع... والأمتعة... والأرجل التي تغادر.

أمكنني الشعور بكل هذا، لكني لم أسمعه. فقد كنت أسفل سطح الماء بكثير.. وكانوا فوقه، حيث تخبو أي ذبذبات خافتة يمكنني إصدارها بوعائي البلاستيكي على إثر صوت الرياح ونعيق النورس وأصوات أقرانهم الركاب.

تركت وعائي ليسقط من يدي على الأرضية، حيث ارتد وتدحرج على السجادة الرفيعة، ثم ارتطمت على الفراش وتقرفت هناك، التفت ذراعي حول رأسي، وضغطت برأسي على ركبتي، وبدأت النحيب، دموع هائلة مختنقة بفعل الخوف واليأس. شعرت بالخوف من قبل، بل شعرت بالهلع حتى ارتعدت فرائصي.

لكني لم أشعر أبداً باليأس وما أشعر به الآن هو اليأس.

وعندما ركعت على المرتبة الرفيعة والمائلة للهبوط وأنا أنشج بأنفاس متقطعة على ركبتي، مرت في رأسي صور؛ جودا وهو يقرأ الصحيفة، وأمي تحل الكلمات المتقاطعة وهي تخرج لسانها من بين أسنانها، وأبي يجز العشب يوم الأحد، ويدندن بلا نغمات. كنت لأدفع أي شيء مقابل رؤيتهم في تلك الغرفة، ولو لدقيقة واحدة، فقط لأخبرهم أنني على قيد الحياة وأحبهم.

لكن كل ما استطعت التفكير فيه انتظارهم لعودتي، وقنوطهم لعدم وصولي. وفي النهاية الانتظار إلى الأبد، انتظار بلا أمل، لأجل شخص ما لن يأتي أبداً.

من: جودا ليويس

إلى: جودا ليويس؛ باميلا كرو؛ آلان بلاكلوك

نسخة مخفية إلى: [38 مستلم]

أرسلت بتاريخ: الثلاثاء، 29 سبتمبر

الموضوع: لو - مستجدات

أعزائي جميعاً،

يؤسفني كثيراً أن أبعث تلك الأخبار عبر البريد الإلكتروني، لكنني واثق إنكم جميعاً ستتفهمون أن هذه الأيام القليلة الماضية كانت بالغة الصعوبة وإننا واجهنا صعوبة في الرد على مخاوف وتساؤلات الجميع.

إلى الآن ليس لدينا أي شيء مؤكد لنشاركه، وقد نتج عن هذا كثير من التوقعات المؤلمة في وسائل التواصل الاجتماعي. مع ذلك وردتنا الآن بعض الأخبار. لسوء الحظ ليس ما كنا نأمل، وقد طلب مني والدا لو وبام وآلان أن أبعث هذه المستجدات لأصدقائها المقربين وأقاربها نيابة عنهم وعن نفسي، حيث إن بعض التفاصيل تسربت إلى الصحافة بالفعل ولم نرغب في أن يكتشف أي أحد هذا الأمر عبر الإنترنت.

لا أجد طريقة سهلة أخبركم بها هذا.. طلبت مني شرطة العاصمة بسكوتلاند يارد أن أتعرف على هوية بعض الصور التي تلقوها من فريق الشرطة النرويجية الذي يتعامل مع القضية. إنها صور ملابس، وتلك الملابس تخص لو، تعرفت عليها على الفور، فالحذاء الطويل على وجه التحديد من الجلد العتيق ومميز للغاية وهو خاص بها لا ريب.

من الواضح إننا محطمون جراء هذا الاكتشاف، لكننا متماسكون وفي انتظار معرفة ما ستسفر عنه

تحقيقات الشرطة.. هذا كل ما نعرفه حالياً حيث إن الجثة مازالت في الترويج. وفي غضون ذلك نطالبكم بالحرص والتحفظ في الحديث مع وسائل الإعلام. لو لديكم أي شيء تضيفونه إلى التحقيق يمكنني إعطاؤكم اسم الضباط في سكوتلاند يارد الذين يجرون التحقيق في تلك القضية من جانب المملكة المتحدة. كما أن لدينا موظف اتصال يساعدنا على التعامل مع تساؤلات وسائل الإعلام، لكن بعض القصص المتداولة مزعجة وغير حقيقية ونود أن نطالبكم جميعاً أن تقدموا المساعدة احتراماً لخصوصية لو.

إننا محطمون فحسب نظراً لهذا الانعطاف في مجرى الأحداث ونحاول التأقلم مع ما تعنيه، لذلك رجاءً تحملونا، ولتعلموا إننا سنعلمكم بمستجدات الأمور حالما يتسنى لنا هذا.

جودا

الجزء السابع

29

لم تأت.

لم تأت الفتاة.

دقت الساعة لتعلن أن الوقت قد أزف، وتماهت الساعات مع بعضها بعضاً، وعرفت أنه في مكان ما بالجانب الآخر من هذا الكفن المعدني يتحدث الناس ويضحكون ويأكلون ويشربون، بينما تمددت هنا غير قادرة على فعل أي شيء سوى التنفس وعد الثواني، دقيقة بدقيقة، وساعة بساعة. وفي مكان ما بالخارج تعاقب الليل والنهار بشروق الشمس وغروبها، وتلاطمت الأمواج مع هيكل السفينة وسارت الحياة بينما غرقت أنا في الظلام.

فكرت في جثمان أن مجدداً، وهو يطفو عبر أعماق البحر، وفكرت بمرارة بأنها كانت محظوظة.. على الأقل كانت سريعة. لحظة واحدة من الارتياح، ضربة واحدة على الدماغ.. وهذا كل ما في الأمر. بدأت أخشى هذا بالنسبة لي، فلن أجد مثل هذه الرحمة.

تمددت على السرير وأنا أحضن ركبتي إلى صدري، وحاولت ألا أفكر في جوعي، وفي الآلام التي تنخر بكم معدتي. كانت وجبتي الأخيرة فطوراً يوم الخميس وفكرت أخيراً إننا حتماً في ساعة متأخرة من يوم الجمعة الآن. لدي صداع شديد وتقلصات في المعدة، وعندما وقفت لأستخدم المرحاض شعرت بالوهن والدوخة.

تحدث ذلك الصوت البغيض في رأسي من الخلف، وكأنه وخز إبر. في اعتقادك كيف يبدو الموت جوعاً؟ هل تعتقدين إنها طريقة موت سالمة؟ أغمضت عيني. واحد، اثنان، ثلاثة، تنفسي.

يتطلب الأمر وقتاً طويلاً، وستكون أسرع لو استطعت ألا تشربي...

مرت صورة بعقلي.. لنفسي، رفيعة وبيضاء وباردة، منكمشة أسفل غطاء السرير البرتقالي والمليء بالخرق.

همهمت، «أختار ألا أفكر في تلك الصور، أختار أن أفكر في..». توقفت. ماذا؟ ماذا؟ لم تركز أي من دروس باري على ما هي الصور السعيدة التي ينبغي علي اختيارها عندما تحبس رهينة من قاتل. هل يفترض أن أفكر في أمي؟ في جودا؟ في كل شيء أحبته واعتبرته عزيزاً وعلى وشك خسارته؟

«فلتزوج بصورة سعيدة هنا، أيها الصوت البغيض الصغير»، هكذا همست لكن المكان الذي زججت به في رأسي لم يكن ليحول في عقل باري. ثم سمعت صوتاً في الردهة.

قفزت معتدلة، واندفعت الدماء من رأسي حتى إنني كدت أن أسقط، وتمكنت فحسب من خفض نفسي على السرير قبل أن تلتوي قدمي أسفل مني. هل كانت هي؟ أم بولمر؟ أه سحقاً.

عرفت أنني كنت أتنفس بسرعة شديدة، حتى إنني تمكنت من الشعور بقلبي وهو ينبض سريعاً وبالشد في عضلاتي، ثم بدأت الرؤية في التبدد على هيئة أجزاء صغيرة من الأسود والأحمر... ثم اعتمد كل شيء.

«تبا، تبا، تبا..».

كلمة واحدة، يهمس بها أحدهم مراراً وتكراراً بصوت رتيب فزع وبالك من مكان قريب. «يا إلهي، هلا استيقظت فحسب؟».

تمكنت من قول، «ما..».

شهقت الفتاة بشيء من الراحة نوع ما. «سحقًا! أنت بخير؟ لقد أفزعني!».

فتحت عيني ورأيت وجهها القلق يحوم فوق وجهي، وفي الهواء شممت رائحة الطعام وسمعت أنينًا مؤلفًا لمعدتي.

قلت سريعًا، «أسفة»، ساعدتني على الجلوس على حافة السرير الحديدية، ووضعت وسادة خلف ظهري. استطعت أن أشم الكحول في أنفاسها.. شنبص أو ربما فودكا. «لم أقصد أن أترك طوال هذه المدة، أنا فقط..».

نعقت، «ف يوم؟».

«ماذا؟».

«ف.. في أي يوم نحن؟».

«السبت، السبت السادس والعشرين. إنه وقت متأخر، منتصف الليل تقريبًا، لقد أحضرت لك بعض العشاء».

مدت يدها بقطعة فواكه والتقطتها، وأنا أشعر بالإعياء تقريبًا من الجوع، وافترستها، بالكاد لاحظت إنها كمثرى حتى انفجر المذاق داخل فمي، لم أستطع تحمله تقريبًا من كثافته.

السبت.. تقريبًا الأحد. لا عجب أن انتابني هذا الشعور المريع، ولا عجب أن الساعات بدت ممتدة إلى الأبد، ولا عجب أن معدتي تتشنج وتنقبض الآن وأنا أبتلع الكمثرى بقضبات كبيرة كالذئب. لقد حبست هنا بلا طعام أو اتصال لمدة... حاولت الحساب. صباح الخميس إلى مساء السبت. ثمانية وأربعون... ستون... بضع وستون ساعة؟ هل هذا صحيح بحق؟ عقلي يؤلمني، ومعدتي تؤلمني، وكل

شيء يؤلمني.

تقلبت معدتي وتشنجت مرة أخرى.

«يا إلهي». حاولت الوقوف على قدمي المرتعشتين، شعرت بالضعف في ساقي واهتزازهما. «أعتقد أنني سأمرض».

تخبطت في مشيتي إلى الحمام الصغير، وورائي ظل الفتاة القلقة، والتي وضعت يدها لتثبيتني وأنا أستند بكوعي عبر الممر الضيق، جثوت على ركبتني وتقيأت بمرارة في المرحاض الملطخ بلون أزرق، وعلى ما يبدو أن الفتاة شعرت ببؤسي لأنها قالت بخجل تقريباً، «يمكنني أن آتيك بأخرى، إن أردت، لكن ثمة نوع ما من البطاطس أيضاً. ربما يكون هذا أفضل لمعدتك، يطلق عليها الطاهي (بيتي باني) أو شيء من هذا القبيل، لا أتذكر».

لم أرد، بل انحنيت فحسب فوق الوعاء، واستندت لأجل الدفعة التالية من القيء، لكن بدا لي أن الغثيان انتهى، وأخيراً مسحت فمي ونهضت ببطء، سحبت نفسي للأعلى على المسند واختبرت قوة قدمي. ثم مشيت بتعثر عودة إلى السرير وصينية الطعام. بدت مكعبات البطاطا رائعة ورائحتها شهية، التقطت الشوكة وأكلت منها، ببطء هذه المرة، في محاولة ألا ابتلع الطعام.

شاهدتني الفتاة وأنا أكل.

قالت مجدداً، «أسفة، ما كان يجب أن أعاقبك هكذا».

ابتلعت ملء فمي من قطع البطاطس الفاترة والمملحة وأنا أشعر بقرمشة طبقتها الخارجية بالكراميل في مؤخرة أسناني.

أخيراً قلت، «ما اسمك؟».

مضغت شفتها وأشاحت بنظرها، ثم تنهدت.
 «على الأرجح لا ينبغي أن أخبرك، لكن ما أهمية هذا. كاري».

«كاري». تناولت قطعة أخرى ملأت بها فمي،
 وخرجت الكلمة من فمي وأنا ألوکها. «مرحباً كاري».
 قالت، «مرحباً»، لكنني لم أستشعر أي دفء أو
 حياة في صوتها، راقبتني وأنا أكل لدقيقة أطول ثم
 انطلقت سريعاً عائدة عبر أرضية المقصورة وهبطت
 على الجدار المقابل.

جلسنا صامتتين لوهلة، أنا أكل بانتظام في
 محاولة لضبط نفسي، وهي تراقبني، ثم بدا عليها
 التساؤل، فتحسست جيبها وسحبت شيئاً.

«كدت أن أنسى، ها هي». كانت حبة الدواء، مغلفة
 في قطعة منديل، التقطتها والرغبة تنتابني تقريباً
 لأن أضحك من الارتياح، بدت شيئاً يبعث على
 الأمل إلى درجة مثيرة للشفقة، فكرة أن تلك الحبة
 الصغيرة البيضاء يمكنها أن تجعلني أحس بحال
 أفضل في موقعي، ومع ذلك...

قلت، «شكراً»، ووضعتها أسفل لساني، وتجرعت
 من العصير ثم ابتلعتها.

أخيراً خلي الطبق من الطعام، وأدركت وأنا ألعق
 آخر قطعة بطاطس أن كاري مازالت تنظر إلي عبر
 الغرفة، وإنها المرة الأولى التي انتظرت فيها حتى
 أفرغ من طعامي. هذه الفكرة جعلتني جريئة بما
 فيه الكفاية لأجرب شيئاً، ربما شيئاً غريباً، لكنني
 نطقت بالكلمات قبل أن أتمكن من منعها.

«ماذا سيحدث لي؟».

لم تقل شيئاً، بل رفعت نفسها على ساقيها فحسب
 وهزت رأسها ببطء وهي تنفض الغبار عن سروالها

الحريري، كانت هزيلة جداً وتساءلت سريعا ما إذا كان هذا جزء من تقمصها لشخصية أن أم إنها نحيفة إلى هذا الحد بالسليقة.

«هل هو..». ابتلعت ريقى، فأنا أغامر أكثر من اللازم، لكن يجب أن أعرف. «هل سيقتلني؟».

ظلت صامتة ولم تجب، لكنها التقطت الصينية فحسب وتقدمت نحو الباب، لكن عندما استدارت لتسحبه وتغلقه من خلفها، رأيت عينيها تغروران بدمعة، على وشك أن تنحدر. توقفت للحظة، وكادت أن تغلق الباب، واعتقدت للحظة إنها على وشك أن تقول شيئا، لكن عوضا عن هذا هزت رأسها مجدداً فحسب، وانحدرت الدمعة على خدها، ثم مسحها بطريقة أقرب إلى الغضب منها إلى أي شيء آخر، وأغلق الباب من خلفها.

بعد أن رحلت وقفت، وتشبثت بالسرير، وأنا أعدل نفسي، ثم رأيته، على الأرضية، كتاب آخر، هذه المرة نسخة من قصة الدب (ويني-ذا-بوه).

لطالما شعرت بالراحة من قراءة الدب بو، فهي القصة التي أقصدها في أوقات الإجهاد، إنها قصة من عهد ما قبل شعوري بالخوف، حيث لم توجد تهديدات ولا شخصيات هيفالامب، ومثل كريستوفر روبين كان في استطاعتي غزو العالم.

تقريباً لم أضعها من قبل بين أمتعتي، لكن في آخر لحظة عندما كنت أدرس ملابسى وأحذيتي في الحقيبة، رأيته هناك، وضعت على منضدة فراشي، فوضعتها كنوع من التعويذة الواقية التي تقيني من ضغوطات الرحلة.

ولبقية الليلة تمددت على السرير والكتاب مفتوح على الوسادة جانبي وأنا أتحسس بأناملي سترة غلاف الكتاب البالية. لكني حفظت الكلمات من

صميم قلبي، حفظتها جيداً ربما، وبطريقة ما فشلت في إضفاء طابعها السحري. بل عوضاً عن هذا وجدت نفسي أراجع حديثي مع كاري مراراً وتكراراً، وأفكر فيما ينتظرني.

لا توجد إلا طريقتان لأخرج بهما من هنا.. الأولى على قيد الحياة، والثانية ميتة، وعرفت أي طريقة أريد أن أكون عليها، وفي تلك الحالة فإن خيارى بسيط: أن أغادر بمساعدة كاري، أو بدونها.

منذ بضعة أيام، منذ بضع ساعات، كنت لأقول بلا تردد أن خيارى الحقيقي الوحيد هو الخروج بدون مساعدتها.. فقد ضربتني وأسرتني بل وجوعتني في نهاية المطاف. لكن بعد تلك الليلة لم أعد متأكدة، فيداها وهي تساعدني على الجلوس والطريقة التي انتظرت بها حتى أفرغ من أكلي ومراقبة كل لقمة ووجهها المليء بالحزن وعيناها وهي تلتفت لتغادر.. لم أعتقد إنها قاتلة، ليس باختيارها على أي حال. وقد حدث شيء ما في غضون تلك الأيام القليلة الماضية جعلني أدرك هذا. فكرت في ذلك الوقت الطويل الأشبه بكابوس الذي انتظرتها كي تأتي فيه، والطريقة التي مر بها الوقت ببطء شديد بالنسبة لي، وجوعي الذي اشتد بعناد أكثر فأكثر. لكن الآن، للمرة الأولى، فكرت إن الساعات ربما مضت عليها ببطء وعذاب أيضاً، وربما إنها واجهت أيضاً شيئاً لم تكن مستعدة له. حتماً إنها تخيلتني بالأسفل هنا، وأنا أزداد وهناً على وهن وأخمش بأظفاري على الباب، إلى أن خارت قواها وهرعت إلي بطبق مسروق من الطعام الفاتر.

ما الذي فكرت فيه حتماً عندما فتحت الباب ووجدتني طريحة الأرض.. إنها حتماً جاءت متأخرة؟ أني انهرت، ربما من الجوع وربما من

الإرهاق فحسب؟ وفجأة ربما عرفت، إنها لا تستطيع العيش مع حالة وفاة أخرى، ليس مع حالة تكون سبباً فيها.

لم ترد قتلي، وقد تيقنت من هذا. وشككت إن كان في استطاعتها قتلي، ليس إن ظلت أذكرها بحقيقة أنني كنت هنا من أجلها، لأنني قاتلت لأجلها وحاولت مساعدتها.

أما بولمر على الجانب الآخر... بولمر الذي عاش على العلاج الكيماوي لزوجته، يحصي مالها ويخطط لموتها، فقط ليغشها في آخر ساعة...

أجل، بولمر سوف يقتلني، يمكنني تخيل هذا بوضوح تام، وعلى الأرجح لن يارق ولو ساعة واحدة بصدد هذا.

أين هو؟ هل غادر السفينة، يثبت حجة غيابه بينما تقتلني كاري من الجوع؟ لم أكن متأكدة. لقد حرص بشدة على عزل نفسه تماماً عن مقتل أن؛ لا يمكنني تخيل إنه سيسمح لنفسه بالتورط في مقتلي.

وبينما أتأمل في هذا، سمعت هديرًا طاحنا وبطيئًا من انطلاق محرك السفينة. ظل يطنطن لبعض الوقت، ثم شعرت بتقلب السفينة بأكملها وتحركها وعرفت إننا نمخر بها مجدداً، من ميناء بيرجن، والظلام يبتلع السفينة بينما نبحر مجدداً خروجاً من بحر الشمال.

30

توقف المحرك مجدداً عندما استيقظت، لكنني استطعت الشعور بتحريك كتل الماء من حولنا. وتساءلت أين نحن.. ربما في الوديان الخلالية، تخيلت الصخور الأشبه بجدران مظلمة وهي تظهر في الأفق وتشكل منحدرًا ضيقًا من السماء البيضاء بالأعلى، وتهبط للأسفل نحو البحر الأزرق العميق. عرفت أن بعض الوديان الخلالية يمكن أن يصل عمقه لأكثر من كيلومتراً.. مظلم وبارد إلى حد لا يمكن تصوره. فالجسد الذي يفرق في هذا النوع من الأعماق ربما لا يعثر عليه أبداً.

كنت أتساءل فحسب عن الوقت عندما سمعت طريقة على الباب، وظهرت كاري معها وعاء من الشوفان المطحون وكوب قهوة.

«أسفة ليس هذا بكثير»، قالتها وهي تضع الصينية. «فقد غادر الآن جميع الركاب والبحارة، وصار من الصعب أكثر أن آخذ الطعام دون أن أثير ريبة الطاهي».

«غادر طاقم البحارة؟» أفزعني الكلمات، مع أنني لم أستطع معرفة سبب هذا الفزع بالضبط.

قالت كاري، «ليس كلهم، فالقبطان مازال هنا، إلى جانب بعض رجاله، لكن غادر كافة طاقم العمل المحتكين بالركاب في بيرجن مع ريتشارد لأجل شيء من قبيل مراجعة بناء فريق العمل».

إذن بولمر ليس على السفينة، ربما يفسر هذا تغير طباع كاري، مع رحيل بولمر...

بدأت أتناول الشوفان المطحون ببطء، وكما سبق جلست لتراقبني، بعينين حزينتين أسفل الحاجبين المنمصين بوحشية.

«لم تصلحي رموشك؟» قتلها من بين الطعام في فمي، فهزت رأسها نافية.

«لا، لم أستطع حمل نفسي على فعل هذا، ورموشي خفيفة بدون مجمل الرموش على أي حال، لكنني فكرت إنه إذا لاحظ أي أحد، سأدعي إنها زائفة».

«من..». توقفت، كنت سأقول «من قتلها؟» لكنني فجأة لم أستطع حمل نفسي على طرح هذا السؤال، خشيت جداً أن تكون كاري، وعلى أي حال فإن أفضل أمل لدي بأن أقنعها إنها ليست قاتلة، لا أن أذكرها بأنها فعلت هذا من قبل ويمكنها تكراره مجدداً.

سألتني، «ماذا؟».

«أنا.. أعني، ماذا قلتم، لأقاربي؟ والركاب الآخرين؟ هل يعتقدون إنني ما زلت في ترونديم؟».

«أجل، وضعت شعري المستعار مجدداً وغادرت القارب بجواز سفرك. اخترت وقتاً يعد فيه المضيفون الفطور فيما يمضي عضو من طاقم البحارة وقت مناوبته على سلم السفينة.. لحسن الحظ إنك لم تصعدي إلى الجولة في غرفة القيادة، لم تلتق بأي منهم، ولحسن الحظ كلانا بشعر داكن اللون، لا أعرف ما كنت سأفعله لو كنت شقراء.. فليس لدي شعر أشقر مستعار. ثم عدت مجدداً على متن القارب بصفتي أن على أمل ألا يدركوا بأن أن قد رحلت، لكنها لم تنزل من على متن القارب فعلياً».

لحسن الحظ. ليس هذا بالتعبير الذي كنت لأستخدمه، ولذلك اكتمل الدليل الورقي.. تسجيلي وأنا أغادر السفينة ولم أعد أبداً، لا عجب أن الشرطة لم تصعد وتفتش على متنها.

قلت بهدوء، «ما كانت الخطة؟ لو لم أرك؟ ما الذي

كان يفترض أن يحدث؟».

قالت بمرارة، «كنت سأنزل أيضًا في ترونديم، لكن هذه المرة بصفتي أن، ثم أضع شعري المستعار وأغير ملابسني وأرسم حواجبي وأختفي وسط الزحام مثل أي مجهول يحمل حقيبة ظهر. ويختفي أثري في ترونديم.. امرأة غير متزنة تواجه الموت وتختفي دون أثر... ومن ثم، عندما يتبدد كل شيء، كنت «سأتقابل» مع ريتشارد ونغرم ببعض، علانية تلك المرة.. ونعيد الكرة مجدداً لأجل الكاميرات».

سألها يانسة، «لم فعلت هذا يا كاري؟» ثم عضضت على لساني، ليس هذا وقت استعدادها، أردت استمالتها إلى جانبي ولم أكن لأحقق هذا إن جعلتها تشعر بالاثهام، لكن لم يعد في استطاعتي كتم هذا. «أنا لا أفهم فحسب».

«ولا أنا، أحياناً». وضعت يديها فوق وجهها. «لم يفترض أن يحدث الأمر هكذا».

قلت، «إذن فلتخبريني»، مددت يدي بخجل تقريباً وتركتها على ركبتيها، فجففت وكأنها توقعت أن تضرب. أدركت مقدار الخوف الذي تشعر به.. مقدار الطاقة الخبيثة التي أملت بها من الرعب وليس الكراهية. حثثتها على الكلام، «كاري؟».

أشاحت بنظرها وتحدثت وبصرها شاخص إلى الستارة البرتقالية، وكأنها لا تستطيع مواجهتي. قالت، «التقينا في (ماجلان)، كنت نادلة هناك بينما أحاول في نفس الوقت العمل بالتمثيل. وهو.. جعلني أقع في غرامه فحسب، على ما أفترض. وكأنه شيء من فيلم (فيفتي شيدن)، أنا المفلسة، وهو.. نقع في الحب، ويريني تلك الحياة التي لم أحلم بها أبداً..».

توقفت، وابتلعت ريقها.

«عرفت إنه متزوج بالطبع.. كان أمينا جداً حيال هذا. لذلك لم نر بعضنا أبداً في العلن، ولم أستطع إخبار أي أحد بشأنه. لقد انتهت زيجتهما تقريباً قبل بدايتها، فقد كانت باردة ومتسلطة بدرجة شنيعة، وقد عاشا حياتين منفصلتين، هي في النرويج وهو في لندن. لم يعيش حياة سهلة، كما تعرفين.. رحلت أمه وهو رضيع ومات والده عندما تخرج بالكاد من الجامعة، بدا من الإجحاف الشديد أن أن، الإنسانية التي يفترض أن تحبه أكثر من أي أحد، لم تطق العيش معه! بيد إنها كانت تحتضر، ولم يستطع حمل نفسه على تطليق امرأة ليس لديها سوى بضعة أشهر لتعيشها -بدا هذا قاسياً- وظل يتحدث عن المستقبل، عندما تموت، عندما أصبح سوياً..». خفت صوتها تدريجياً ولوهلة فكرت أن هذا كل ما في جعبتها، سوف تنهض وترحل، غير إنها عاودت الحديث مجدداً، وخرجت الكلمات منها سريعة الآن، وكأنها غير قادرة على إيقاف نفسها.

«ذات ليلة خطرت على باله تلك الفكرة.. قال إنه ينبغي علي ارتداء ملابس تشبه زوجته وأذهب إلى المسرح معه، بحيث أصبح سوياً علانية، أعطاني إحدى عبااتها الكيمونو، وشاهدت مقطعاً مرئياً لها وهي تتحدث، لذلك عرفت كيف أعبر وكيف أتصرف، وأخفيت شعري أسفل طاقية سباحة، مع أحد أوشحتها أعلى منه. ونفذنا المخطط.. جلسنا في مقصورة بالمسرح، نحن الاثنين وشربنا الشمبانيا و، أه، أمضينا وقتاً مذهباً. وكأنها لعبة نخدع فيها الجميع.

«فعلناها مرة أو مرتين بعد ذلك، فقط عندما كانت أن تمضي وقتاً في لندن بحيث لا يثير هذا ريبة الناس، ثم بعد عدة أشهر، خطرت له تلك الفكرة

-بدأت مجنونة في البداية، لكنه مجنون هكذا،
 أتعرفين ما أقصد؟ لا شيء مستحيل - يجعلك
 بحق تصدقين هذا. قال إن لديه رحلة صحفية
 مرتقبة، وأن أن ستكون على متنها في أول أمسية،
 لكنها ستنزل عن السفينة في وقت متأخر من تلك
 الليلة وتعود إلى منزلها بالنرويج. وقال، ماذا لو
 بقيت وتظاهرت بأنني هي؟ يمكنه تهريبي على متن
 السفينة ويمكن أن أصبح رفيقين حقيقيين.. سوياً،
 علانية، لأسبوع كامل. وعدني أن في استطاعتي
 تنفيذ هذا، وقال إنه لا أحد ممن على متن السفينة
 التقاها فعلياً، وسيحرص على ألا يصورني أحد
 بحيث لا توجد أية فرصة ليمسك بي مستقبلاً.
 كانت السفينة ستتوقف في بيرجن في نهاية
 الرحلة، بحيث يفترض الناس أن أن ظلت مأكثة
 هناك لبضعة أيام إضافية، ثم يمكنني بعدها تغيير
 ملابسني في آخر يوم وأعود لمنزلي بشخصيتي.
 وقد رتب الأمر بحيث لا يأتي أحد الضيوف
 وتغدو إحدى المقصورات متاحة وقال إن الشيء
 الوحيد..». سكتت. «الشيء الوحيد هو، سينبغي
 علي قص شعري، لأصبح مقنعة. غير أن الأمر بدا...
 بدا إنه يستحق الإقدام عليه، لأكون معه».

ابتلعت ريقها، وعندما تحدثت مجدداً، تريت أكثر
 في حديثها.

«في الليلة الأولى كنت أرتدي ملابسني بصفتي
 أن، وعندما جاء ريتشارد إلى المقصورة، كان خارجاً
 عن السيطرة، قال إن أن اكتشفت العلاقة وانتابها
 الجنون وإنها صبت جمام غضبها عليه، وقد دفعها
 في محاولة لحماية نفسه، فتعثرت وارتطم رأسها
 بمنضدة القهوة، وعندما حاول إنعاشها.. اكتشف..».
 تتهتت، لكنها أردفت، «اكتشف إنها ماتت».

«لم يعرف ما ينبغي عليه فعله، قال إنه إذا جرى تحقيق من الشرطة فسيكتشف وجودي على متن السفينة، ولا أحد سيصدق روايته عن المشاجرة. وقال إن كلانا مدان، هو بصفته قاتل، وأنا بصفتي شريكة في جريمة مع سبق الإصرار والترصد. قال إن هذا سيعلن.. حقيقة أنني جسدت شخصية أن، قال إن كول لديه صورة لي في ملابس أن، وأقنعني..». توقفت، والعواطف تخنق صوتها. «أقنعني أن الشيء الوحيد الذي يمكن فعله أن أطيح بجثة أن من على متن السفينة وأواصل اتباع الخطة، لو إنها فقدت في بيرجن فلا يمكن أن ينسب شيء لنا، لكن لم يفترض أن يحدث الأمر هكذا!».

تزاحمت الاعتراضات على طرف لساني، وكادت أن تنفلت مني صرخة. كيف نزلت أن من على السفينة أول ليلة ولم يكن يفترض أن نصل إلى النرويج حتى اليوم التالي؟ وكيف يمكنها النزول بدون جواز سفرها، دون أن يعرف طاقم العمل إنها غادرت؟ هذا منافي للمنطق، التفسير الوحيد أن ريتشارد لم يكن في نيته أبداً أن تنزل أن على سلم السفينة هذا بمحض إرادتها، وحتماً عرفت كاري هذا بنفسها، لم تكن غبية، لكني رأيت هذا النوع من التمني الأعمى من قبل، نساء يصرن على أن أخلائهن لم يخنهن أمام كل الأدلة، وأناس يعملون لدى أصحاب عمل شنيعين ويقنعون أنفسهم إنهم يتبعون التعليمات فحسب ويفعلون ما هو ضروري. بدا لي إنه لا حدود لقدرة الناس على تصديق ما يريدون رؤيته، وإذا حاجت كاري نفسها لتقبل برواية ريتشارد الملتوية عن الحقائق أمام كل المنطق، فعلى الأرجح لن تستمع إلي.

عوضاً عن هذا التقطت نفساً عميقاً وطرحت سؤالاً

يتعلق عليه كل شيء.

«ماذا سيحدث لي؟».

«تبتاً!» نهضت كاري، وحكت بيدها على رأسها حتى انزلق غطاء الرأس وبدأت أسفل منه فروة مخلوقة.
«لا أعرف، توقفي عن سؤالني، رجاء».

«سوف يقتلني يا كاري». سوف يقتلنا نحن الاثنين، صرت متأكدة إلى حد كبير الآن، غير أنني لم أكن متأكدة إذا كان لديها استعداد لتسمع هذا.
«رجاء، رجاء، يمكنك أن تخرجينا نحن الاثنين من هنا، تعرفين إن هذا في استطاعتك، سأقدم دليلاً.. سأقول إنك أنقذتني..».

«أولاً»، قاطعتني بوجه صارم، «لن أخونه أبداً، فأنا أحبه، وعلى ما يبدو إنك لا تفهمين هذا، وثانياً، حتى لو سايرتك، سينتهي بي المطاف وأنا متهمة بجريمة قتل».

«لكن إذا شهدت ضده..».

«لا». قاطعتني. «لا، لن يحدث هذا، أنا أحبه، وهو يحبني، أعرف إنه يحبني».

استدارت نحو الباب وعرفت إنها فرصتي الآن وإلا ستضيع للأبد، ووجب علي محاولة أن أجعلها ترى حقيقة ما تورطت فيه، حتى لو مشت وانتهى بي المطاف موثماً من الجوع هنا.

«سوف يقتلك يا كاري». تحدثت إليها وهي توليني ظهرها عندما وصلت إلى الباب. «تعرفين هذا، صحيح؟ سوف يقتلني، ثم يقتلك، هذه فرصتك الأخيرة».

قالت، «أحبه»، سمعت انكساراً في صوتها.

«إلى درجة أنك ساعدته على قتل زوجته؟».

«لم أقتلها!» هكذا صرخت بصوت عال مكروب

في المساحة الضيقة. وقفت وهي توليني ظهرها، ويدها على مقبض الباب، واهتز جسدها النحيل بالكامل، كطفل يرتجف من النحيب. «كانت ميتة بالفعل.. على الأقل، هذا ما قاله، لقد ترك جثتها في المقصورة بحقيبة سفر، وسرت بها إلى المقصورة العاشرة عندما كنتم جميعاً في العشاء، كل ما كان علي فعله أن أطيح بكل شيء من على جانب السفينة بينما يلعب هو البوكر. لكن..».

توقفت، واستدارت، وارتمت على الأرض، ثم انحنت برأسها بين ركبتيهما.
«لكن ماذا؟».

«لكن الحقيبة كانت ثقيلة للغاية، أعتقد إنه أثقلها بشيء ما، وقد اصطدمت بها مقابل إطار الباب لكي أدخلها إلى الجناح، فانفتح غطاء الحقيبة وحينها..».
نحبت. «أه يا إلهي، لم أعد أعرف! احتقن وجهها كله بالدماء، لكن لثانية فحسب اعتقدت أن جفونها ترفرف».

«يا إلهي». ارتجفت برداً من الرعب. «هل تعنين.. إنك لم تطيحي بها وهي على قيد الحياة، أليس كذلك؟».

«لا أعرف». انكفأت بوجهها على يديها، وانكسر صوتها، وصار عاليًا وجافًا، مع ارتعاش وكأنها شخص على شفا الإصابة بنوبة هستيرية. «صرخت.. لم أستطع منع نفسي، لكني لمست الدماء على وجهها، وكانت باردة. لو كانت حية، لكانت الدماء دافئة، أليس كذلك؟ اعتقدت أنني تخيلت هذا فحسب، أو إنه نوع ما من الحركة اللاإرادية.. يقولون إن هذا يحدث، أليس كذلك؟ في المشرحة وما إلى ذلك، لم أعرف ما ينبغي علي فعله.. لقد أغلقت الحقيبة فحسب! لكن لا أعتقد أنني أحكمت

السحاب عليها كما يجب، لأنني عندما أطحت بها من جانب السفينة انفتح الغطاء ورأيت وجهها - وجهها في الماء - يا إلهي!».

توقفت وأنفاسها تخرج سريعة ومختنقة، لكن بينما كنت أحاول أن أتعامل مع رعب ما قد تكون فعلته للتو وأفكر فيما يمكنني قوله رداً على هذا الاعتراف، تحدثت مجدداً.

«لم أتمكن من النوم أبداً منذ ذلك الحين، هل تعرفين؟ كل ليلة أتمدد هناك وأفكر فيها، أفكر في احتمالية إنها كانت على قيد الحياة».

نظرت للأعلى نحوي، وللمرة الأولى رأيت مشاعرها المجردة في أعينها.. الشعور بالذنب والخوف الذي حاولت يائسة أن تخفيه منذ تلك الليلة الأولى.

قالت بصوت منكسر، «ليس هذا ما يفترض أن يحدث، كان يفترض أن تموت في المنزل، في فراشها.. وأنا.. وأنا..».

قلت على الفور، «لا ينبغي عليك فعل هذا، أيا كان ما حدث في مقتل أن، يمكنك إيقافه الآن. هل يمكنك أن تتعايشي حقاً مع قتلي؟ إن موت إنسانة جعل ضميرك يدفعك إلى شبه الجنون يا كاري، فلا تجعلها موتتين - أتوسل إليك - لكل منا. رجاءً أطلقني سراحني، لن أقول أي شيء، أقسم لك. سوف.. سوف أخبر جودا إنني نزلت في ترونديم وحتماً فقدت وعيي، فلن يصدقني أحد على أي حال! لم يصدقوني عندما قلت إن جثة ألقيت من على جانب السفينة.. فلماذا يشكل هذا أي اختلاف؟».

عرفت السبب: بسبب الحمض النووي، وبصمات الأصابع، وسجلات طب الأسنان الشرعي، وبقايا دماء أن التي ظلت حتماً على الحاجز الزجاجي

بمكان ما في مقصورة ريتشارد.

غير أنني لم أقل أيًا من هذا، وعلى ما يبدو أن كاري لم تفكر في ذلك، وأن دعرها اجتث مع ارتجافها ومع هذا الاعتراف الذي أفاضت به، وصارت أنفاسها الآن أبطأ. والآن فإنها تحقق إلي ووجهها ملطخ بالدموع لكنه هادئ وجميل إلى حد غريب الآن عندما ذهب عنها الهلع.

«كاري؟» قلتها بخجل وأمل ضعيف.

قالت، «سأفكر في هذا»، وقفت على ركبتيها والتقطت الصينية ثم استدارت نحو الباب، وبينما فعلت هذا تعثرت قدمها في قصة الدب (ويني-ذا-بوه)، وعندما نظرت للأسفل تغير شيء في وجهها، التقطتها وقلبت الصفحات بيدها الحرة. قالت، «أحببت هذه القصة في صغري».

أومأت برأسي. «أنا أيضًا، قرأتها حتمًا مئات المرات، ذلك الأثر في النهاية مع حلق الأشجار... تجعلني دائمًا تقريبًا أجهش بالبكاء».

قالت، «اعتادت أُمي أن تناديني ثَمور، واعتادت أن تقول لي أنت مثل ثَمور، أنت كذلك بالفعل، مهما بلغت شدة ارتطامك، سوف تنهضين مجددًا». ضحكت ضحكة مهتزة، ثم أَلقت بالقصة عند أرجل السرير، وهي تبذل جهداً واضحاً للعودة إلى الاحتراف العملي. «اسمعي، ربما لا أستطيع أن أتيك بالعشاء الليلة، فالطباخ بدأ يشك، سأبذل قصارى جهدي، لكن إن لم أستطع فسوف أتيك بشيء إضافي في الفطور، حسناً؟».

«حسناً»، قلتها ثم تحركت ببعض الاندفاع، «شكراً لك».

فكرت في هذا بعد أن غادرت.. غبائي على

شكر امرأة تضعني في الأسر، وتشتري انصياعك
بإمساك الطعام والأدوية، هل تنمو بداخلي متلازمة
ستوكهولم؟

ربما، مع أنني إذا كنت أمر بتلك الحالة، فقد تطورت
لديها أشد مني بكثير، ربما هذا أقرب شيء إلى
الحقيقة.. لسنا سجانة وأسيرة، لكننا حيوانين في
حجيرات مختلفة بنفس القفص، وحجيرتها أكبر
بعض الشيء فحسب.

مر اليوم ببطء شديد، وبعد مغادرة كاري مشيت
ببطء في الغرفة في محاولة لتجاهل جوعي
المتزايد وخوفي المتزايد مما قد يحدث إن لم
تواجه كاري حقيقة مخطط ريتشارد.

كنت متأكدة تمامًا إنه لم ينو أبدأ أن يترك كاري
لتعيش كثيراً بعد إثبات مغادرة أن في بيرجن.
عندما أغمضت عيني، تموجت الصور أمامها.. وجه
أن، وعينها المتحجرة من الرعب، بينما تترك كاري
الحقيقية لتسقط. كاري، كاري وهي تمشي ببراء في
أحد الأزقة بالنرويج، ويأتيها شيء من خلفها.
والآن أنا...

لكي أشتت انتباهي فكرت في المنزل وفي جودا،
إلى أن لمحت صفحات قصة الدب، وتماهت في
عيني العبارات التي أحفظها عن ظهر قلب لتنهمر
مني الدموع وتتركني أشعر بإنهاك شديد ولا أقوى
على فعل شيء سوى التمدد هناك.

بدأت أفقد الأمل في مجيء العشاء، وخلصت
إلى أن كاري لم تستطع الحصول على أي طعام
في نهاية المطاف، فإذا بي أسمع صوتًا من الباب
الخارجي، مع صوت الأقدام في الردهة الخارجية.
توقعت أن تطرق الباب، لكن عوضًا عن هذا سمعت
بطاقة فتح الباب الإلكترونية وفتحت الباب على

مصارعيه. من الواضح بمجرد أن جاءت إلى الغرفة إنها لم تحمل أي طعام، لكنني نسيت كل هذا عندما رأيت تعبيرها الفزع.

صرخت، «إنه قادم».

«ماذا؟».

«ريتشارد، سيعود الليلة.. كان يفترض أن يعود غداً، لكنني تلقيت رسالته للتو، سيعود مجدداً الليلة».

صحيفة تيليجراف تونايت، الثلاثاء 29 سبتمبر

خبر عاجل:

العثور على جثة ثانية بحثاً عن البريطانية، لورا بلاكوك

الجزء الثامن

31

«سوف يعود؟» جف حلقى. «ما معنى هذا؟».

«في رأيك ما معنى هذا؟ يجب أن ننزل من السفينة، سوف يرفؤون بالسفينة لالتقاط ريتشارد خلال ثلاثين دقيقة، وبعد هذا..».

لم يتعين عليها قول المزيد. ابتلعت رقى، ولساني ملتصق بسقف حلقى.

«أنا.. كيف...؟».

سحبت شيئاً من جيبها ورفعته للأعلى، وللحظة لم أفهم، كان جواز سفر، لكنه ليس جوازي، بل جوازها. «هذه هي الطريقة الوحيدة». نزعت غطاء الرأس وكشفت عن رأسها المخلوق أسفل منه، بشعر خشن من أثر نموه مجدداً، ثم بدأت تخلع ثيابها.

«ماذا تفعلين؟».

«سوف تنزلين من السفينة بصفتك آن، وتصعدين على طائرة بصفتك أنا. هل تفهمين؟».

«ماذا؟ أجننت، تعالي معي!».

«لا يمكنني، كيف سأشرح هذا بحق الجحيم لطاقم البحارة؟ إليكم صديقتي التي كانت تختبئ في جوف السفينة؟».

«أخبريهم! أخبريهم الحقيقة!».

هزت رأسها نافية، وقد وصلت إلى سروالها التحتاني الآن، وهي ترتجف على الرغم من الحرارة الرطبة بفعل الهواء الفاسد في المقصورة.

«وماذا أقول؟ مرحباً، أنا غريبة بالكامل، المرأة التي تعتقدون إنه ألقى بها من على متن القارب؟ لا، ليس لدي فكرة إن كان في استطاعتي الثقة بأي منهم، في أفضل الأحوال هو رب عملهم، وفي

أسوأها..».

شعرت بشبه هلع، «ما الحل إذن؟ ستظلين هنا وتدعيه يقتلك أنت الأخرى؟».

«لا، لدي خطة، توقفي فحسب عن الجدل وخذي ملابسك». مدت يدها بهم، حزمة من الملابس الحريرية التي بدت مثل الريش بين يدي عندما التقطتها، كانت نحافتها صادمة، وعظامها ناتئة عبر جلدها، لكني لم أستطع أن أشيح بنظري. «الآن أعطني ملابسك».

«ماذا؟» نظرت للأسفل نحوي، على الجينز الملطخ والملين بالعرق والقميص والقلنسوة التي كنت ارتديها لقراءة أسبوع الآن. «هذه؟».

«أجل، أسرع!» صار صوتها حاداً. «ما مقاس قدمك؟».

«ستة»، قلتها بصوت مكتوم وأنا أنزع عني قميصي.

«جيد وأنا أيضاً». دفعت الحذاء القماشي الذي كانت تنتعله نحوي وخلعت حذائي الطويل ثم بدأت أنزع بنطالي الجينز، صرنا نحن الاثنين بالملابس التحتانية فحسب، وأنا أحاول أن أغطي نفسي بخرج، أما هي فركزت تمامًا على ارتداء ملابسها التي نزعته. سحبت السترة الحريرية فوق رأسي وأنا أشعر بالنسيج باهظ الثمن يبت برودة على بشرتي، ونزعت هي سواراً مطاطياً عن معصمها ثم ناولتني إياه في صمت.

«ما فائدة هذا؟».

«اسحبي شعرك للخلف، ليس مثاليًا، لكن يجب أن تحرصي جداً في التعامل مع غطاء الرأس، لكن هذا أفضل ما في وسعي. ليس لدينا وقت لحلاقة

شعرك، وعلى أي حال، إن كنت ستهربين من البلد بجواز سفري، فمن الأفضل على الأرجح أن يكون لديك شعر حقيقي لأجل جواز السفر، لا نريد إعطاءهم سبباً للنظر مرتين في الصورة».

«لا أفهم، لماذا لا أرحل بصفتي أنا فحسب؟ إن الشرطة تبحث عني بالتأكيد؟».

«بادئ ذي بدء جواز سفرك مع ريتشارد، ولديه العديد من الأصدقاء هنا في الجوار.. ليسوا أصحاب شركات فحسب، لديه معارف في مراكز عليا بقوات الشرطة النرويجية أيضاً. يجب أن ننأى بك عنه قبل أن يحل اللغز، اخرجي، وابتعدي عن الساحل، اعبري الحدود إلى السويد، وعندما تصعدين على متن طائرة لا تسافري إلى لندن. سوف يتوقع هذا، اذهبي إلى مكان آخر.. باريس، ربما».

قلت، «أنت تتصرفين بسخافة». لكن جزعها أعدائي، دسست قدمي في الحذاء القماشي وجواز السفر في جيب العباءة الكيمونو. شدت كاري سحاب حذائي الطويل من الجلد القديم، وشعرت بوخزة صغيرة من الألم.. هذان الحذاءان هما أغلى قطعة ملابس أملكها. وقد تطلب الأمر مني بضعة أسابيع ومقداراً لا بأس به من تشجيع جودا، لاستجمع شجاعتي وأخلعهما. لكن بدا الحذاء الطويل تضحية صغيرة مقابل -بنسبة كبيرة- حياتي.

على الأقل ارتدينا تقريباً ملابسنا بالكامل.. والوشاح فقط على السرير بيننا.

«اجلسي»، قالتها كاري بفضاظة، وجلست على طرف السرير، بينما وقفت هي إلى جوارتي ولفت الغطاء المطبوع عليه أشكال جميلة حول رأسي. غطاء باللون الأخضر والذهبي، ومزركش بأنماط من

الأحبال والمراسي المتشابكة، وفجأة ومض بخيالي صورة لان شتتني - أن الحقيقية - وهي تغوص في الأعماق الزرقاء والخضراء، وأطرافها البيضاء متشابكة في حطام لآلاف السفن، عالقة هناك إلى الأبد.

«ها أنت»، أخيراً قالتها كاري، ثم وضعت بنس شعر لتثبت حافة غطاء الرأس في مكانها، ثم ألقت علي نظرة متفحصة من الأعلى للأسفل. «ليس مثاليًا - لست نحيفة بما فيه الكفاية - لكنك ستعبرين في الإضاءة الخافتة، حمداً للرب لم ألتق بمعظم طاقم البحارة».

نظرت إلى ساعتها ثم قالت، «صحيح، آخر شيء، اضربيني».

«ماذا؟» لم تكن كلماتها منطقية، اضربيني بماذا؟

«اضربيني، اضربي رأسي في السرير».

«ماذا؟» صرت أشبه بصدى الصوت.. لكني لم أستطع منع نفسي. «هل جنت؟ لن أضربك!».

«اضربيني»، قالتها بحق. «ألا تفهمين؟ يجب أن يكون هذا مقنعًا. إنها فرصتي الوحيدة ليصدق ريتشارد أني لم أشارك في هذا، يجب أن يبدو الأمر وكأنك هاجمتني وتغلّبت علي، اضربيني».

التقطت نفساً عميقاً، وصفعتها على خدها، فارتدت رأسها إلى موضعها، لكنها لم تكن ضربة قوية بما فيه الكفاية، استطعت أن أعرف إنها ليست قوية، حتى وهي تنظر نحوي بمزاج عكر وتفرك خدها.

«أه لوجه الرب، هل ينبغي علي فعل كل شيء بنفسني؟».

التقطت نفساً عميقاً، ثم قبل أن أدرك ما هي على وشك فعله، حطمت رأسها على جانب السرير.

صرخت، لم أستطع منع نفسي، إذ بدأت الدماء تتجمع من الجرح السطحي بفعل الحافة المعدنية، وينسال من قميصها -قميصي- الأبيض ولطخ الأرضية. رجعت إلى الوراء مذهولة وهي تشهق من الألم وتمسك جمجمتها بيديها.

نشجت قائلة، «يا إلهي! ويل لي، هذا يؤلمني، أه يا رب». جثت على ركبتها، وخرجت أنفاسها قصيرة وحادة، وللحظة اعتقدت إنها على وشك أن تفقد الوعي.

«كاري!» قلتها بهلع، وأنا أجتو على ركبتي بجوارها. «كاري، هل أنت..».

«لا تنحن أيتها الفاسقة الغبية!» هكذا صرخت وهي تطيح بيدي بعيداً. «هل تريدان أن تفسدي كل شيء؟ لا يمكنك أن تطلخي ملابسك بالدماء! ماذا سيقول طاقم البحارة بحق الجحيم؟ يا إلهي يا ربي، لماذا لا يتوقف الجرح عن النزيف؟».

نهضت بخجل على قدمي وكدت أن أتعثر في الكيمونو الطويل، وللحظة وقفت هناك فحسب وأنا أرتجف. ثم عدت إلى رشدي وهرعت إلى الحمام لاتي بقطعة قماش أمسح بها.

اهتز صوتي، «هاك». نظرت للأعلى بأسى، ثم أخذت القماش وضغطت به على الجرح، ثم جلست مجدداً على السرير بوجه رمادي.

سألتها، «م... ما الذي ينبغي علي فعله؟ هل يمكنني مساعدتك؟».

«لا، الشيء الوحيد الذي بإمكانك مساعدتي فيه إن صدق ريتشارد إنك ضربتني بعنف شديد إلى درجة أنني لم أستطع إيقافك، على أمل أن ينجز هذا المهمة، والان اخرجي»، قالتها بصوت أجش. «قبل أن يعود ويضيع كل هذا هباء منثوراً».

«كاري، أنا.. ما الذي يمكنني فعله؟».

«شينين»، قالتها وهي تجز على أسنانها من الألم. «أولاً، أمهليني أربعاً وعشرين ساعة قبل أن تذهبي للشرطة، حسناً؟».

أومات برأسي، فلم يكن هذا ما أعنيه، لكنني شعرت أنني لا أستطيع رفض هذا على الأقل.

تأوهت، «ثانياً، اغربي عن وجهي من هنا». صار وجهها شاحباً بلون أبيض الآن إلى درجة أفزعني، لكنني عرفت إنها قد عقدت العزم. «لقد حاولت مساعدتي، أليس كذلك؟ هذا ما ورطك في تلك الفوضى، والآن هذا الشيء الوحيد الذي يمكنني فعله لمساعدتك، لذلك لا تهدري وقتي بهذا، اغربي من هنا!».

قلت بصوت متحشرج، «أشكرك». لم تقل أي شيء، بل لوحت بيدها فحسب نحو الردهة، وعندما وصلت إلى الباب، تحدثت.

«إن بطاقة فتح بابي الجناح في جيبيك، ستجدين حوالي خمسة آلاف كرونة في حقيبة اليد على طاولة الزينة. إنها مزيج من العملات النرويجية والدنماركية والسويدية، لكن فيها قرابة خمسمائة جنيه إسترليني على ما أعتقد، خذي كل شيء، وفيها بطاقات ائتمانية وبطاقة هوية. لا أعرف رقم التعريف الشخصي للبطاقات الائتمانية - فليست بطاقتي بل بطاقات أن - لكن ربما تجددين مكاناً ما يجعلونك توقعين فيه. سينبغي عليك أن تطلبي من أحدهم إنزال السلم بحيث تستطيعين النزول من على متن السفينة.. مالم يكونوا قد أنزلوه بالفعل لأجل ريتشارد. أخبرهم إنه اتصل للتو وإنك ستلتقين به في الطريق».

همست، «حسناً».

«غيري ملابسك وأخرجني من الميناء في أسرع وقت ممكن، هذا كل ما في الأمر». أغمضت عينيها، واستلقت على ظهرها. تشبعت بالدماء قطعة القماش التي تضغط بها على صدغها. «أه، واحبسيني عندما ترحلين».

«أحبسك؟ هل أنت متأكدة؟».

«أجل، متأكدة، يجب أن نسبك القصة».

«لكن ماذا لو لم يأت ويعثر عليك؟».

«سيفعل»، صار صوتها ساكناً. «هذا أول شيء سيفعله إن لم يعثر علي، سيأتي ويتفقدك».

قلت على مضض، «حسناً.. م.. ما هو الرقم السري للباب؟».

«الباب؟» فتحت عينيها المتعبتين. «أي باب؟».

«قلت إنه يوجد باب آخر خارج هذا الباب مع لوحة أرقام».

«كذبت»، قالتها بسأم. «لا يوجد باب، هكذا قلت فحسب بحيث لا تباغتيني، واصلني التسلق فحسب».

«أنا.. أشكرك يا كاري».

«لا تشكريني». أغمضت عينيها مجدداً. «فلتحسني صنفاً لأجلنا، ولا تنظري خلفك».

«حسناً». تحركت نحوها، لا أعرف ما أفعل.. أحضنها ربما. لكن تناثرت الدماء الجديدة، مع تدفق المزيد منها بالجرح في صدغها. وكانت محقة.. فبقع الدماء على عباأتي لن تساعد أي أحد، وتحديداً هي. كان أصعب شيء فعلته على الإطلاق.. أدير ظهري عن امرأة بدت وكأنها تنزف حتى الموت بسببي، لكنني عرفت ما يجب علي فعله.. لأجلنا.

قلت، «مع السلامة يا كاري»، لم ترد علي،

وانطلقت.

الردهة بالخارج ضيقة وشديدة الحرارة كالسعير، بل حتى أكثر سخونة من المقصورة الصغيرة المكتومة التي تركتها. على الباب وضع مزلاج ثقيل، والذي ثبت بقوة على القفل السميك وبرز منه مفتاح. فتحتة وأنا أبتلع ريقى لشعوري بغصة في حلقي من الذنب، ثم ترددت، وأناملني فوق المفتاح. هل يجب أن أخذها؟ أتركها. لم أرد أن تمضي كاري وقتاً أطول من اللازم هناك.

كان باب المقصورة على أحد أطراف الردهة باللون الصوفي الباهت. وعلى الطرف الآخر باب كتب عليه «ممنوع الدخول - لطاخم البحارة المصرح له فقط» ومن ثم بعد هذا، درجات السلم. أقيت نظرة واحدة مغتمة على باب المقصورة الموصد، والذي ترقد خلفه كاري وهي تنزف، ثم هرعت نحو درجات السلم وبدأت التسلق.

تسلقت للأعلى أكثر فأكثر، وقلبي يخفق في صدري، وقدماي تهتزان من عدم استخدامهما. وأعلى سلم الخدمة بساط باهت ومحاط بحواف معدنية. شعرت أن يدي تنزلق من العرق على الدرايزين البلاستيكي، وفي قرارة عقلي رأيت الوهج البراق لبيت الدرج العظيم، ولمعان الكريستال، وملمس الحاجز من خشب ماهوجاني المصقول أسفل أناملني، ناعم كالحرير. شعرت بضحكة تتصاعد بداخلي، ضحكة طائشة كتلك التي قرقت فيها ضاحكة بجنابة جدتي، إذ يتحول خوفاً وهلعاً إلى نوع من الهلع.

هززت رأسي واندفعت للأمام، إلى درجات السلم التالي، وتجاوزت البابين اللذين كتب عليهما «صيانة» و«للعاملين فقط».

واصلت التسلق حتى وصلت إلى باب حديدي ضخم وعليه لوح، وكأنه منفذ هروب من الحرائق. وقفت للحظة ألهمت من الصعود الشاق، وأشعر بالعرق البارد يتجمع عند قطنيتي، ماذا يوجد على الجانب الآخر؟

خلف مني ترقد كاري، منكفئة على نفسها على السرير في تلك الغرفة عديمة الهواء مثل الكفن. تقلبت معدتي، وأجبرت نفسي أن أطرح تلك الصورة عن ذهني وأفكر، ببرود وإصرار، على الخطوات التي تنتظرني. يجب أن أخرج.. وبمجرد أن أصبح بمأمن يمكنني... لكن ماذا؟ أتصل بالشرطة، وأستخف بطلب كاري؟

وأنا واقفة هناك ويدي على الباب، استرجعت ذكريات لاذعة لتلك الليلة في شقتي.. عندما جبت وجلست في حمامي وأنا أخشى تمامًا أن أفتح الباب وأواجه مهما كان - وأيا كان - ما على الجانب الآخر. لربما تحسن الحال لو أني ركلت الباب المغلق وانطلقت لأواجهه، حتى وإن كان هذا يعني أن أضرب ضربًا مبرحًا. ربما كنت في المستشفى الآن أتعافى وجودا إلى جوارتي، ولست محاصرة في كابوس اليقظة هذا.

حسنًا، الباب ليس موصدًا الآن.

ضغطت بيدي على زر الفتح ودفعته ليفتح على مصراعيه.

32

تلقيت الضوء مثل صفقة، فأخذت أطرف بعيني وشعرت بدوخة، وأنظر فاعرة فاهي إلى أضواء قوس قزح الناجمة عن آلاف الكريستالات من صناعة سواروفسكي كالمواشير. أدى باب الخدمة مباشرة إلى درج السلم الكبير، حيث توهجت الثريا، نهاراً وليلاً، وكأنه تحد سافر للاقتصاد والحدود والاحتباس الحراري، ناهيك عن الذوق الرفيع.

ثبت نفسي على درابزين الخشب المصقول ونظرت عن يميني وشمالي. رأيت مرأة عند بشطة السلم، والتي تعكس وهج الثريا، يضاعف الأضواء المتراقصة مراراً وتكراراً، وعندما التفت لمحت نفسي فيه ولوهلة أخذت على حين غرة، وقلبي يقفز إلى صدري.. لأنني وجدت في الزجاج أن، رأسها ملفوفة بالذهبي والأخضر، وعيناها شاخصة ومصابة بكدمة.

بدوت كما كنت.. هاربة. أجبرت نفسي على الاستقامة في وقفتي ومشيت ببطء، على الرغم من رغبتني في الانطلاق بسرعة كجرذ خائف.

أسرعي، أسرعي، أسرعي، هكذا زمجر الصوت خلف رأسي. بولمر قادم، أمضي قدماً! لكنني واصلت التقدم ببطء وثبات، وأنا أتذكر مشية أن -وكاري- واثقة الخطى، والطريقة التي تقيس بها كل خطوة وكأنها شخص يدخر جهده. اتجهت نحو مقدمة السفينة، إلى المقصورة رقم 1، وفي جيبي لمست بأصابعي بطاقة فتح الباب الإلكتروني، وأنا أشعر بصلابتها المطمئنة أسفل أصابعي المتعركة.

ثم وصلت إلى نهاية مسدودة، سلاّم تؤدي إلى المطعم، ومحال أن أصل إلى جوف السفينة. تبا. لقد انعطفت في اتجاه خاطئ.

استدردت في محاولة لتذكر المسار الذي سلكته عندما ذهبت لرؤية أن -كاري- تلك الليلة قبل الوصول إلى ترونديم. يا إلهي، أكان هذا بحق الأسبوع الماضي؟ شعرت وكأنه دهر، حياة مختلفة. مهلاً.. يفترض أن يكون على يمين المكتبة لا اليسار. أليس كذلك؟

أسرعي، لوجه الرب أسرعي!

لكني حافظت على وتيرة مشيتي الهادئة، وظلت رأسي مرتفعة في محاولة ألا أنظر للخلف وألا أتخيل يداً تنتزع عباءتي الحريرية التي ترفرف، وتسحبني مرة أخرى للأسفل. استدردت لليمين ثم اليسار ثم مررت بحجرة المؤن. بدا هذا صحيحاً، كنت متأكدة أنني تذكرت صورة النهر الجليدي.

استدردت مرة أخرى.. ونهاية أخرى مسدودة مع سلالم تؤدي إلى السطح العلوي. أردت النحيب، أين تلك العلامات البغيضة؟ هل يفترض أن يعرف الناس أماكن مقصوراتهم بالتخاطر؟ أم أن جناح النبلاء مخفي بعيداً عن عمد بحيث لا يزعج الدهماء عليه القوم؟

انحنيت وأنا أضع يدي على ركبتني وأشعر بعضلاتي ترتجف أسفل الحزير، وتنفست ببطء في محاولة لأجبر نفسي على الثقة، بإمكانني فعل هذا، لن أظل أجوب في الردهات وأنا أنحب عندما يصعد ريتشارد سلم السفينة.

شهيق... واحد... اثنان... أجج غضبي صوت باري الهادئ في رأسي، بالقدر الكافي الذي دفعني للاستقامة في جلستي والسير مجدداً. فلتطعن نفسك به يا باري، اطعن تفكيرك الإيجابي في مكان يؤلمك.

عدت إلى المكتبة وحاولت مجدداً، هذه المرة

انعطفت يساراً عند غرفة المؤن. وفجأة وصلت هناك، باب الجناح أمامي مباشرة.

تحسست جيبي بحثاً عن المفتاح، وأنا أشعر بالأدرينالين يهيج كل عصبون في جسدي. ماذا لو أن ريتشارد عاد بالفعل؟

لا تصبحي الفاشلة التي تجبن خلف الأبواب مجدداً يا لو، يمكنك فعل هذا.

دسست البطاقة في الباب وفتحته، أسرع من البرق، وأنا على استعداد لأنكص على عقبي وأركض لو كان هناك شخص ما في الغرفة.

لكن لم أجد فيها أحداً، كانت الأضواء مفتوحة لكن الغرفة خالية، وفتح باب الحمام وغرفة النوم المجاورة على مصراعيهما.

انهارت قدماي، وجثوت بركبتي على السجادة السميكة، فثمة شيء أقرب إلى النحيب يتصاعد في حلقي، غير أنني لم أنجز مهمتي بنجاح تام، لم أقطع حتى نصف الطريق. حقيبة يد، حقيبة يد ونقود ومعطف، ثم أنزل من تلك السفينة البشعة للأبد.

أغلقت الباب من خلفي وخلعت عني الكيمونو ثم هرعت الآن بما إنه لا أحد يرى تحركاتي المحمومة، وبصدريتي وحذائي القماشي فتشت في أدراج أن. أول بنطال حاولت أن ارتديه جينز ضيق بشدة، لم أستطع رفعه حتى أفخاذي، لكنني وجدت بنطلوناً رياضياً من ألياف ليكرا يمكنني ارتداؤه، وقميص أسود مجهول. ثم ارتديت الكيمونو مجدداً أعلى هذا وحزمته بإحكام، ثم عدلت غطاء الرأس في المرأة حين انزلق.

تمنيت لو كان في استطاعتي ارتداء نظارة شمس، لكن عندما ألقيت نظرة خارج النافذة فإذا بظلام دامس.. والساعة الحادية عشر والربع على منضدة

فراش أن. يا إلهي، سيعود ريتشارد في أي لحظة.
دفعت قدمي مجدداً في الحذاء القماشي لكاري ثم
نظرت حولي بحثاً عن حقيبة اليد التي وصفتها. لم
أجد أي شيء على منضدة الزينة المصقولة بعناية
لكنني فتحت بضعة أدراج بعشوائية وتساءلت إذا ما
وضعتها الخادمة بعيداً لتحافظ عليها، الدرج الأول
خال والثاني يعج بأغطية الرأس ذات الأشكال،
وكنت على وشك أن أغلقه مجدداً عندما لاحظت أن
شيئاً حتماً أسفل كومة الحرير الناعم، شكل مسطح
وصلب بين الأغطية المصنوعة من خيوط رقيقة.
فدفعتها جانباً وتوقفت أنفاسي في حلقي.

فأسفل منها وضع مسدس، لم أر أبداً مسدساً
حقيقياً في حياتي، فتجمدت في مكاني، أكاد أتوقع
أن يطلق منه الرصاص دون حتى لمسه، وتزاحمت
الأسئلة في رأسي من الخلف. هل ينبغي أن أخذه؟
أهو محشو؟ أهو حقيقي؟ سؤال غبي.. أشك أن يعبا
أي أحد بالاحتفاظ بمسدس مقلد في مقصورته.

وأما بخصوص ما إذا كان يجب علي أخذه من
عدمه... فقد حاولت تخيل نفسي وأنا أصوب
مسدساً نحو أحدهم، فعجزت عن هذا. لا أستطيع
أخذه، على الأقل ليست لدي فكرة عن كيفية
استخدامه والأرجح أنني سأطلق النار به على نفسي
وليس أي أحد آخر، لكن الأهم لأنه وجب علي أن
أجعل الشرطة تصدقني وتثق بي، فإذا ما ذهبت إلى
قسم الشرطة بمسدس مسروق ومحشو في جيبتي
فتلك أفضل طريقة أضمن بها حبسي لا أن يستمعوا
إلي.

وعلى مضض غطيت المسدس مرة أخرى بأغطية
الرأس ثم أغلقت الدرج وواصلت البحث عن حقيبة
اليَد.

وجدتها أخيراً في الدرج الثالث بالأسفل، كانت محفوظة من الجلد الرمادي، جلد يبدو متأكلاً، ووضعت بحرص أعلى ملف من الأوراق. وداخلها بضع بطاقات ائتمانية ورزمة أوراق مالية.. ليس عندي وقت لعدّها، لكنها بدت الخمسة آلاف كرونة التي ذكرتها كاري، أو ربما أكثر. وضعتها في جيب البنطال الرياضي أسفل الكيمونو ثم جلت بنظري في المكان للمرة الأخيرة وأنا جاهزة للمغادرة. تركت كل شيء تامّاً كما وجدته، باستثناء المحفظة، حان وقت الرحيل.

التقطت نفساً عميقاً ثم فتحت الباب. وبينما أفعل سمعت أصواتاً في الردهة. وللحظة ارتعشت وتساءلت ما إذا كان ينبغي علي الانطلاق بخطوات واثقة، ثم قالت الأصوات بشيء من الدلال، «بالطبع يا سيدي، يمكنني فعل أي شيء لأحرص على رضاك..».

لم أنتظر أكثر من هذا، أغلقت الباب بتكة خفية، وخففت الإضاءة ثم وقفت في الظلام وظهري إلى الباب الخشبي وقلبي يخفق بسرعة شديدة. شعرت ببرودة ووخز في أناملي ووهنت ساقي، غير أن قلبي هو ما هدد بانهياري.. ظل قلبي يخفق كمجنون في سباق وخرج عن السيطرة، إيقاع مرتاع من ضربات القلب. تبا، تبا، تبا! تنفسي يا لورا، واحد، اثنان...

أطبق فمك اللعين!

ليس لدي فكرة ما إذا كانت الصرخة بداخل رأسي، لكن بطريقة ما وبجهد كبير تمكنت من الانسلاخ عن الباب وأمشي مترنحة إلى الشرفة. فتحت الباب الزجاجي، وخرجت، فشعرت ببرد ليل سبتمبر يصعق بشرتي التي لم يمسه الهواء المنعش منذ

أيام.

وقفت للحظة وظهري للزجاج وأنا أشعر بنبضي في صدغي وحلقي، وقلبي يكاد ينخلع من ضلوعي، ثم التقطت نفساً عميقاً وقفت بجانبني على أحد الطرفين حيث تنقوس الشرفة حول ركن القارب. صرت خارج مرمى البصر من النافذة الآن، وأولي ظهري إلى هيكل السفينة المعدني البارد، لكنني رأيت وميض الضوء مع فتح باب الردهة، ثم فتحت مصابيح المقصورة مجدداً، فأضاءت الشرفة. دعوت في سري، لا تخرج، لا تخرج، وأنا أقف مرتعدة في الركن، في انتظار صوت تكة وانفتاح الزجاج، لكن لم يحدث شيء.

استطعت رؤية انعكاس الغرفة على الحاجز الزجاجي. قسمت الصورة لنصفين حيث ينتهي الزجاج عند مستوى الصدر، وتشوش الانعكاس بتأثير من الأشباح التي تتقاذف بفعل الطبقات المزدوجة والثلاثية للزجاج. لكنني استطعت رؤية رجل في الغرفة، يتحرك في أرجائها وانطلق ظل جسده إلى الحمام مباشرة ثم سمعت أصوات الصنابير و هدير ماء المرحاض، ثم فتح التلفاز، ميزث وميضه الأزرق والأبيض فوراً على الزجاج. ومن وراء صوت التلفاز سمعت ضوضاء اتصال هاتفي واسم أن، فحبست أنفاسي. هل كان يسأل عن موضع كاري؟ كم سيستغرق من الوقت قبل أن يبدأ في البحث؟

على ما يبدو أن المكالمة الهاتفية انتهت، أو على الأقل توقف عن الحديث، ورأيت شكله وهو يتحرك مجدداً بينما يلقي بنفسه على الفراش الأبيض الوثير، فرأيت تمهداً داكناً على هذا المستطيل اللامع.

انتظرت وبدأ الجو يزداد برودة الآن، وأنا أتقلب على قدمي في محاولة لأدفن نفسي ولو بعض الشيء، لكن لم أجرو على التحرك كثيراً خشية أن يرى انعكاس الحركة من نفس الحاجز الذي تجسست به عليه. كان الليل جميلاً بدرجة لا تصدق، وللمرة الأولى منذ أن خرجت هنا أنظر حولي.

كنا في الأعماق داخل أحد الوديان الخلالية، والجوانب الصخرية للوادي تصاعد من حولنا، بينما المياه معتمة وساكنة بعمق لا يمكن تخيله. وعلى الجانب الآخر من الوادي الخلالي أستطيع رؤية أضواء مستوطنات صغيرة وأضواء السفن التي مخرت في المياه الساكنة. وفوق كل شيء شكلت النجوم قوساً. كانت صافية وبيضاء ومبهجة إلى حد مذهل. فكرت في كاري بالأسفل وهي محصورة وتنزف مثل حيوان وقع في شرك... رجاء يا إلهي اجعلهم يعثرون عليها. لن أتحمل وقوع مكروه لها، سأكون مسؤولة عن حبسها هناك بالأسفل وتركها لخطتها المجنونة.

انتظرت وأنا أرتجف دون إرادتي الآن، حتى يغط ريتشارد في النوم. لكنه لم يفعل. وأخيراً خفض الأضواء قليلاً، لكن ظل التلفاز مفتوحاً، والصور المتحركة تحيل ظلال الغرفة للأزرق والأخضر، مع بعض الألوان السوداء المفاجئة. تحركت بثقلي مجدداً وأنا أدفع يدي المرتجفة أسفل ذراعي. ماذا لو غط في النوم أمام التلفاز؟ هل سأعرف؟ لكن حتى لو غط في النوم بعمق، فلست متأكدة أنني سأستجمع شجاعتي وأدخل الغرفة مع قاتل وأمشي على أطراف أصابعي أثناء نومه على بعد بضع بوصات فحسب.

ما هو البديل إذن؟ أنتظر حتى يذهب للبحث عن

كاري؟

ثم سمعت شيئاً، شيئاً جعل قلبي يتوقف على ما يبدو، ثم عاد للحياة بسرعة مضاعفة، إنه محرك السفينة يبدأ في العمل.

انتابني الذعر وكأنه موجة بحر باردة لطمتني وحاولت التفكير.. لم نكن نتحرك بعد. وتوجد فرصة أن سلم السفينة مازال على الرصيف، وإلا لسمعته وهو يرفع. تذكرت هذا عندما انطلقنا من مدينة هول وظل المحرك يطن ويصر لمدة طويلة قبل أن نرحل فعلياً، لكن هذا إيذاناً بمغادرتها. إلى متى سأنتظر؟ نصف ساعة؟ ربع ساعة؟ ربما أقل، بالنظر إلى أنه لا يوجد ركاب على متن السفينة فلا سبب للانتظار.

وقفت هناك متجمدة ولا أقوى على اتخاذ القرار بكل أسف، هل ينبغي أن أركض؟ هل نام ريتشارد؟ لم أستطع أن أعرف من الانعكاس على جدار الشرفة.. فقد كان متماهياً جداً وغير مميز.

تطاولت برأسي وتحركت خلسة قدر المستطاع ونظرت عبر حافة باب الشرفة إلى الغرفة الصامتة.. لكن عندما فعلت تحرك هو ومد يده نحو كأس ثم وضعه مرة أخرى، فرجعت برأسي سريعاً وقلبي يخفق.

تبا، إنها حقاً الواحدة بعد منتصف الليل، ما سبب استيقاظه؟ هل كان ينتظر كاري؟ لكن يجب أن أنزل من السفينة. يجب علي فعل هذا.

فكرت في نوافذ الشرفة وكيف يمكن فتحها من الخارج وكيف يمكن لشخص في غاية الشجاعة -أو غاية الغباء- أن يتسلق الحاجز الزجاجي بين شرفتين ثم يدخل للمقصورة المجاورة. وما إن أدخل يمكنني فحسب أن أخرج نفسي ثم أهرب إلى سلم السفينة. لم أبه بالقصة التي سألفقها عندما

أصل إلى هناك. فبطريقة ما سوف أخرج من هذه السفينة لو لم يكن لأجلي فلاجل أن وكاري.. لا.. تبأ لهذا. لأجلي.

سوف أخرج من هذه السفينة لأجلي.. لأنني لم أفعل شيئاً لأستحق هذا بخلاف وجودي في المكان الخطأ والزمان الخطأ، وسحقاً لي إذا ما أضافني بولمر للنساء اللاتي عبث بهن.

نظرت إلى نفسي، على الخيوط المتدفقة والمنزلة للكيمنو، يستحيل التسلق إلى الداخل، فككت الحزام وخلعت الحرير الناعم. سقط على الأرضية بحفيف والتقطه ثم لملث القماش بإحكام قدر الإمكان ورميته من فوق الحاجز الخصوصي، حيث هبط بصوت «صفق» لا يكاد أن يدرك.

نظرت للأعلى نحو الحاجز الزجاجي السامق من فوقي، وابتلعت ريقِي.

ما كنت لأستطيع تسلق هذا الحاجز الخاص بنفسِي، هذا واضح. على الأقل ليس بدون بعض العدة والعتاد، غير أن الحاجز الزجاجي يطل على البحر.. ويمكنني على الأرجح تسلق هذا. إنه على الأرجح بطول صدري، وكنت مرنة بما فيه الكفاية لأرفع إحدى قدمي وأعبر بها ثم أسحب نفسي لأجلس عليه، ومن هنا يمكنني استخدام حاجز الخصوصية لأقف.

لكن واجهتني فحسب مشكلة واحدة، إنه فوق البحر.

لم أشعر بالخوف من الماء.. على الأقل لم أعتد الخوف منه، لكن عندما نظرت من فوق حافة السفينة على الأمواج الداكنة والتي تبتلع بنهم هيكل السفينة، شعرت بتقلب في معدتي بطريقة لا تختلف كثيراً عن دوار البحر.

تبا، هل سأفعل هذا بحق؟ على الأرجح نعم.

مسحت راحتي يدي المتعرقتين على الجهة الخلفية من البنطال الرياضي بألياف ليكرا والتقطت نفساً عميقاً. هذا ليس سهلاً - لن أخدع نفسي - لكنه ممكن. وقد فعلت كاري هذا على أية حال، لتصل إلى مقصورتى، إن كان في استطاعتها فعل هذا، فكذلك يمكنني فعله.

ثنيت أصابعي وببطء شديد علقت إحدى قدمي للأعلى على الزجاج المطل على البحر واستجمعت قواي التي خارت، سحبت نفسي للأعلى بحيث أجلس متفرشخة على الجدار الزجاجي، على يساري المقصورة، وستائرهما منسدلة، فيما أرى عبر أبواب الشرفة إطلالة كاملة لأي شخص يدير رأسه ليراني. وعلى يميني يمكن أن أقع مباشرة في مياه الوادي الخلابي أسفل مني.. ليست لدي فكرة عن الارتفاع، لكن من تلك الزاوية بدت إنها تعادل منزلاً من طابقين أو ثلاثة طوابق. لم أكن متأكدة أي الجانبين مخيف أكثر.. لكن كان لدي أمل فحسب ألا تلفت تحركاتي انتباه ريتشارد. ابتلعت ريقى، وتشبثت بقدمي على الزجاج الزلق، في محاولة لرفع همتي، لم أقدم على الجزء الصعب بعد، فهذا سيأتي دوره.

ارتجفت من الخوف والإجهاد، رفعت قدمًا واحدة للأعلى أمامي وأمسكت حافة حاجز الخصوصية المعتم ثم شددت نفسي لأقف، والان كل ما علي فعله أن أدفع ثقل جسمي للخارج، حول الجانب المواجه للبحر من حاجز الخصوصية، وأميل بنفسي ناحية الأمان على الجانب الآخر.

حسنًا، هيا.

التقطت نفساً عميقاً، وأنا أشعر بأصابعي المتعركة والباردة وهي تنزلق على الزجاج، لم أجد أي نقطة

ارتكاز حقيرة، كل جزء آخر من هذه السفينة اللعينة مزخرف بدرجة مبالغ فيها، ألم يكن في استطاعتهم ادخار قليل من هذا البذخ لحاجز الخصوصية؟ فقط بعض أحجار الراين وبعض النقوش الفارهة، شيء بارز لتتشبث به أناملّي؟

مددت إحدى قدمي للخارج، وجعلتها تلتف على الحائط الزجاجي المرتفع.. وعلى الفور عرفت أنني أخطأت بارتداء الحذاء القماشي.

ظلت أنتعله وأنا أعتقد أنه شيء سيحمني قدمي ويعطيني دفعة على الزجاج وليس هذا بالشيء السيء، لكن مع تأرجح وزني فوق الماء، شعرت بفردة حذاء قدمي الداعمة تنزلق على الحافة الحادة.

شهقت وأطبقت بأصابعي يائسة على الزجاج أمامي. لو أن في استطاعة قوة الإرادة أن تثبتني لحققت هذا، شعرت بانكسار أحد أظافري، ثم الآخر.. وبعدها بدا أن الزجاج يسحب من بين يدي التي تخربشه بحركة فجائية جعلتني غير قادرة حتى على فعل أي شيء.. ولا حتى الصراخ.

شعرت بالرياح على خدي للحظة خاطفة ومرعبة، وشعري يهفهف في الظلام ويدي ما تزال تمسك بالهواء، كنت أسقط، أسقط على ظهري نحو المياه اللجية للوادي الخلالي.

ارتطمت في سواد البحر بصوت أشبه بطلقة النار، ضربة استنفدت كل الهواء من رئتي.

شعرت أن الهواء يصعد مثل فقاقيع من رئتي وأنا أغطس بفعل ثقلي في الماء قارس البرودة والتي تنخر في عظامي، وكلما غرقت أكثر في هذا السواد عديم القاع، شعرت بالتيارات الحرارية تتصاعد أسفل مني وتمسك بقدمي وتسحبهما.

33

لا اذكر ما شعرت به وأنا أغرق تكسرت كل عظمة
بداخلي عندما ارتطمت بالبحر، ناهيك عن برودة
الماء التي شلت حركتي. لكني أتذكر الذعر الذي
يقلب البطن عندما سحبني التيار عميقًا للأسفل.

جدفا، هكذا أخبرت ساقي، وأنا أشعر بانحباس
نفسي في حلقي، وجدفت، في الماء الأسود والبارد،
جدفت، أولاً لأنني لم أرد الموت، وثانيًا لأن البرودة
السوداء بدأت تملكني، لأنه لا شيء آخر أمامي
يمكنني فعله، لأن رثتي تصرخان وعرفت إنني إن لم
أصل للسطح سريعًا، سوف أموت.

شد التيار قدمي وجرحهما بأصابع متزلقة، في
محاولة لسحبي عميقًا إلى ظلام الوادي الخلالي،
فجدفت وجدفت بيأس وقنوط متزايدين. وفي
الظلام، مع التيارات الدوارة لكل المياه حولي، يكاد
يستحيل علي معرفة الطريق للأعلى، ماذا لو كنت
أدفع نفسي أبعد للأعماق؟ ومع ذلك، لم أجرو على
التوقف، فغريزة البقاء قوية للغاية. أنت تموتين!
هكذا صرخ الصوت في رأسي من الخلف، ولم تجب
قدمي إلا بالتجديف والتجديف والتجديف.

أغمضت عيني اتقاءً للملوحة اللاذعة وعلى
جفوني المقفولة بدأت الأضواء تتلألأ وتترأى،
وهو مشهد أقرب إلى شذرات الضوء والظلام الذي
يتخلل رؤيتي عندما أصاب بنوبة هلع. لكن المذهل
وما لا يصدق أنني عندما فتحت عيني، استطعت
رؤية شيء: ذلك الوميض الشاحب واللامع لضوء
القمر على سطح الماء.

وللحظة كدت ألا أصدق هذا، لكنه ظل يقترب
ويقترّب، وتراخى سحب التيار على جسدي، ثم
صعدت على السطح بنفس بدا أقرب إلى الصرخة،

والمياه تنحدر على وجهي، وأنا أسعل وأنحب وأسعل مجدداً.

لقد كنت قريبة جداً من هيكल السفينة، قريبة بما فيه الكفاية لأشعر بارتجاج المحرك وكأنه نبض عبر الماء، وعرفت إنه يجب علي البدء في السباحة. ليس فقط لأنه يحتمل تمامًا أن أموت من انخفاض حرارة الجسم في البحار الباردة، لكن الأهم لأن السفينة بدأت تتحرك وأنا على تلك المقربة منها، ولا شيء سوى التدخل الإلهي سينقذني. وكان حظي عاثراً بما فيه الكفاية على مدار تلك الأيام القليلة الماضية بحيث أفكر أن الرب لا يحبني كثيراً.

ارتجفت ضربت بقدمي في الماء في محاولة لأللم شتات نفسي. لقد عدت للظهور على سطح الماء أمام السفينة، وبإمكاني رؤية خيوط الأضواء على جانب الرصيف واعتقدت إنها ظلال السلم، مع أن عيني الزائغتين صعبتا علي معرفة هذا بحق.

كان من الصعب أن أجعل جسدي يطاوعني؛ فقد ارتجفت بشدة إلى درجة إنني تحكمت في أطرافي بصعوبة، لكنني أجبرت ذراعي وقدمي على البدء في التحرك، وبالتدريج بدأت في السباحة نحو الأنوار، وأنا أسعل في مقابل الأمواج التي تصفع وجهي، وأشعر ببرودة الماء التي تلطمني على عظامي، أجبرت نفسي على التنفس ببطء وعمق، مع أن كل جزء من جسدي أراد الشهيق واللهات على إثر الاعتداء الجسدي للبرودة. ارتطم بوجهي شيء ناعم وإن كان صلباً وأنا أسبح، فارتجفت، لكنها ارتجاف من البرد وليس النفور. يمكنني القلق من الفرنان الميتة والسماك المتعفن عندما أصل للشاطئ، أما الآن فالشيء الوحيد الذي أهتم به هو النجاة.

محال أن أكون بعيدة عن رصيف المرفأ بأكثر من عشرين أو ثلاثين ياردة، لكنه يبدو أبعد أكثر الآن. سبحت وسبحت وأحياناً كان في استطاعتي القسم بأن أضواء الشاطئ تبعد أكثر، وأحياناً أخرى بدت قريبة بما فيه الكفاية لأمسك بها.. لكن أخيراً شعرت بالحديد الصديء للسلم وأصابني المنملة تتحسسه، صعدت وانزلت وانزلت وصعدت، في محاولة ألا أفقد السيطرة بقبضتي وأنا أسحب عظامي المبتلة والمرتجفة أعلى درجات السلم.

وعلى حافة الرصيف انهرت على الخرسانة وأنا أشفق وأسعل وأرتجف، وبعد لحظة جثوت على يدي وركبتي ونظرت للأعلى، أولاً نحو الشفق القطبي، ثم نحو المدينة الصغيرة أمامي.

ليست مدينة بيرجن، وليس لدي فكرة أين كان موقعنا، لكنها مدينة صغيرة، بالكاد حتى قرية، وفي هذه الساعة المتأخرة من الليل هناك لم أجد أحداً، فالمقاهي والحانات المتناثرة على طول الرصيف جميعها مغلقة. ويوجد بضعة أضواء على منافذ المتجر، لكن المبنى الوحيد الذي استطعت رؤيته وبدا أن شخصاً ما ربما يفتح فيه الباب عبارة عن فندق مطل على الرصيف.

نهضت على قدمي وأنا أرتجف وانكبت من فوق السلسلة المنخفضة التي تمنع السقوط المباشر إلى البحر واتجهت إلى الفندق شبه ماشية وشبه مترنحة. دار محرك السفينة «أرورا» بقوة وصار يعمل بكامل طاقته الآن. وبينما أعبر أرضية الأساس الخرسانية للرصيف والتي لا نهاية لها على ما يبدو، زاد صوته مجدداً ليعلو على صوت مخض الماء، وبينما أقيت نظرة خاطفة وخائفة خلف مني، رأيت السفينة تبدأ في التحرك، وجوؤها مصوب نحو

الوادي الخلالي، ومحركاتها تصر وتزمر وهي تبعد شيئاً فشيئاً عن الشاطئ.

أشحت بنظري سريفاً، وشعور بالخرافة يملكني، وكأن مجرد الالتفات للنظر إلى السفينة يمكن أن يجذب انتباه الأشخاص على متنها.

وبينما أسرع الخطى نحو الفندق، ارتفع صوت المحرك مجدداً وشعرت أن قواي خارت في قدمي وأنا أطرق وأطرق وأطرق على الباب. سمعت صوتاً يقول، «رجاء، رجاء، أه رجاء فليأت أحدهم..». وفتح الباب فغمر الضوء والدفع المكان، وشعرت بأحدهم يساعدني على الاستقامة ويعبر بي من فوق عتبة الباب إلى الأمان.

بعد قرابة نصف ساعة صرت مكومة على كرسي بذراعين من الأماليد المجدولة، والمغلف ببطانية حمراء صناعية، وعلى الضوء الخافت، شرفة مكشوفة محاطة بالزجاج وتطل على الخليج. كان بين يدي كوب من القهوة غير أنني شعرت بالتعب الشديد فلم أقو على احتسانها. استطعت سماع الأصوات في الخلفية تتحدث.. بالنرويجية، أفترض إنها النرويجية حتماً. كنت في غاية التعب، وشعرت أنني لم أنم جيداً على مدار أيام.. وهو ما لم يحدث. ظللت أومئ بذقني على صدري ثم عدت لموضعي عندما تذكرت أين كنت وما هربت منه. أكان هذا حقيقياً، ذلك الكابوس على القارب الجميل، بزنانته الأشبه بالكفن، أسفل الأمواج إلى حد بعيد؟ أم أن كل هذا مجرد هلوسة طويلة؟

كنت شبه ناعسة وأراقب الأضواء بعض الشيء في هذا الظلام الدامس للخليج، وصارت «ارورا» مثل شذرة بعيدة في الوادي الخلالي، تتجه غرباً، وحينها سمعت صوتاً من فوق كتفي.

«سيدتي؟».

نظرت للأعلى، فإذا به رجل يرتدي شارة تعريفية مائلة قليلاً وكتب عليها «إريك فوسام.. المدير العام». بدا وكأنه سحب من فراشه بشعر أشعث وقميص لم يزرر جيداً، ثم مرر يده على لحيته غير الحليقة وهو يجلس على الكرسي ذي الذراعين المواجه.

«مرحباً»، قلتها بإنهاك وأنا أتذكر قصتي مع الجالسين خلف المكاتب.. على الأقل الجزء الذي اعتقدت إنه يعطيني الأمان منها، وبالقدر الذي تسمح به لغته الإنجليزية. من الواضح إنه الناطور الليلي وبدا أقرب إلى الإسبان أو الأتراك منه إلى النرويجيين، وهذا لا بأس به عندما يتعلق الأمر بالجمل المقولبة عن الحجوزات وساعات العمل، لكنه غير مستعد لحكاية ناقصة عن هويات مختلطة وجريمة قتل.

رأيته وهو يبرز بطاقة الهوية الوحيدة التي كانت معي - بطاقة أن - للمدير وسمعت نبراته المنخفضة والمتحفظة وسمعت اسمي يكرر عدة مرات. والآن شبك الرجل الجالس أمامي أصابعه وابتسم بعصبية.

«سيدة.. بلاك.. لوك، أليس هذا صحيحاً؟».

أومات براسي.

«لا أفهم تمامًا.. حاول مديري الليلي أن يشرح، لكنني من أين لك ببطاقات أن بولمر الانتمانية؟ إننا نعرف أن وريتشارد تمام المعرفة، فأحياناً ما يقيمون هنا، أنت صديقة؟».

وضعت يدي فوق وجهي، وكان في استطاعتي أن أكبح التعب الذي كان يهدد بأن يغمرني.

«أنا.. إنها قصة طويلة بحق، رجاء، هل يمكنني استخدام هاتفك؟ يجب أن أتصل بالشرطة».

كنت قد عقدت العزم واتخذت قراري وأنا واقفة متعبة وأقطر الماء على مكتب الحجوزات المصقولة. على الرغم من وعدي لكاري، كانت تلك فرصتي الوحيدة لأنقذها، لم أصدق ولو لثانية واحدة أن ريتشارد سيتركها تعيش، كانت تعرف الكثير جداً، وأخفقت كثيراً جداً، وبدون غطاء الرأس ليست لدي فرصة لأعبر بصفتي أن، وبدون جواز سفر كاري لم تكن لدي فرصة لأتصرف بصفتي كاري، وكلاهما فقد في مكان ما بالخليج بالأعماق السحيقة. لم تنج إلا حقيبة أن، والتي ظلت بمعجزة ما في جيب البنطال الرياضي وأنا أصد على السلم خارج الماء.

قال إريك بتعاطف، «بالطبع، هل ترغبين في أن أتصل بهم؟ ربما ليس لديهم متحدث باللغة الإنجليزية يعمل في هذه الساعة ليلاً، وينبغي أن أحذرك إنه ليس لدينا محطة شرطة في المدينة؛ أقرب نقطة شرطة على بعد بضع ساعات في الوجهة التالية... ما الكلمة... القرية التالية. على الأرجح لن يأتي أحد قبل غد».

«رجاء أخبرهم إنها حالة طارئة على أي حال»، قلتها بتعب. «كلما أسرعوا في المجيء كان أفضل، يمكنني أن أدفع لقاء الفراش، معي المال».

«لا داعي لأن نقلق حيال هذا»، قالها بابتسامة. «هل يمكنني أن أتيك بشراب آخر؟».

«لا، لا شكراً، أخبرهم رجاء أن يأتوا سريعاً، فحياة شخص ما قد تكون في خطر».

تركت رأسي تنكفئ بثقلها على يدي وكدت أن أغمض جفوني عندما رجع لمكتب الاستقبال،

وسمعت صوت سماعة الهاتف وهي ترفع، ثم صافرات أذنت بأن المكالمة على وشك أن تجري، بدت مدة طويلة، ربما النسخة النرويجية من هاتف الشرطة مختلفة، أو ربما إنه يتصل بقسم الشرطة المحلي.

رن الهاتف، والتقط شخص ما السماعة على الجانب الآخر وبعدها تبادل لبعض الكلمات قليلاً، وعبر غمامة التعب تلك سمعت صوت إريك وهو يقول شيئاً بالنرويجية لم التقط منه إلا كلمة «فندق».. ثم سكت هنيهة وبعدها كلام سريع آخر بالنرويجية، ثم سمعت اسمي، مرتين، وبعدها اسم أن.

«جا دين كون، أن»، هكذا قال إريك وكأن الشخص على الطرف الآخر لم يسمعه جيداً أو لم يصدق ما سمعه. ثم مزيداً من النرويجية وبعدها ضحكة وفي النهاية: «تاك فارفيل ريتشارد».

رفعت رأسي من على يدي التي تسندها، وفجأة شعرت في كل جزء بداخلي بالبرودة والسكون.

نظرت إلى الخارج نحو السفن في الخليج، إلى «أرورا»، وأضواؤها تختفي في الأفق البعيد. ثم.. هل كان خيالي؟ إذ بدا لي أن السفينة توقفت.

جلست للحظة أطول وأنا أنظر إلى أضوائها في محاولة لمقارنتها بالعلامات المميزة في الخليج، وأخيراً صرت متأكدة، لم تعد «أرورا» تتجه غرباً نحو الوادي الخلالي، بل تلتف وتعود مجدداً.

أغلق إريك السماعة وكان يطلب رقماً آخر الآن.

«(بوليتيت، تاك)»، قالها عندما أجابه شخص ما.

ولوهلة لم أقو على التحرك، تجمدت في مكاني عندما أدركت ما فعلته للتو. لم أصدق تأكيد كاري

حول شبكة نفوذ ريتشارد، لم أصدقها بحق. بل رفضت ما قالته واعتبرته جنون ارتياب لامرأة مقهورة لا تؤمن باحتمالية الهروب، لكن الآن.. الآن بدت كل تلك المخاوف حقيقية جداً.

وضعت كوب القهوة بهدوء على الطاولة، وتركت البطانية تقع على الأرض، وبهدوء شديد، فتحت باب الردهة ثم اندفعت للخارج في الليل.

34

ركضت في الشوارع التي تعصف فيها الرياح بالمدينة الصغيرة، وأنفاسي تمزق صدري، والأحجار تمزق قدمي الحافيتين، ما جعلني أجفل من الألم. ضاقت الشوارع تدريجياً وبدأت الأنوار تختفي، لكني ركضت في الظلام والبرد وأنا أتعثر فوق الطين الخفي وعلى الحشائش الرطبة والممرات المليئة بالحصى، إلى أن نملت قدماي بشدة ولم أعد أقوى حتى على الشعور بالجروح والأحجار.

وحتى حينها واصلت المضي في طريقي واليأس يمتلكني بحيث أحول بيني وبين ريتشارد بولمر بأكبر قدر ممكن من الأميال. عرفت أنه ليس في وسعي مواصلة هذا، وعند مرحلة ما سينبغي علي أن أستسلم.. لكن أمني الوحيد في مواصلة السعي إلى أطول مسافة ممكنة حتى أجد لنفسي مأوى من نوع ما.

وأخيراً، لم يعد في وسعي الركض، سمحت لنفسي بالتخفيف من سرعتي بالركض الأعرج واللاهث بعض الشيء، ثم صغرت أضواء القرية أكثر فأكثر في الأفق، أبطأت المسير بمشية متعثرة ومؤلمة. بت في شارع تعصف فيه الرياح والذي يلتوي في الظلام، ويتصاعد إلى جانب الوادي الخلالي. وكل بضع مائة ياردة أنظر من خلفي، للأسفل نحو الوادي، إلى الشذرة المتضائلة لأضواء المدينة الصغيرة المطلة على الميناء، وعلى مياه الوادي الملساء والمظلمة تلالاً أضواء «أرورا» التي تقترب أكثر، فلم تعد تخطوها العين الآن، بإمكانني رؤية السفينة بوضوح وبإمكانني أيضاً رؤية الضوء وقد بدأ يبلج في السماء من فوق.

حتماً إننا شارفنا على الشروق.. يا إلهي، في أي

يوم نحن إذن؟ الاثنين؟

لكن بدا شيء ما في غير موضعه، فبعد بضع دقائق أدركت ماهيته، لم تكن الأضواء من المشرق، لكنها من الشمال. ما رأيته ليس الشروق بل أضواء الشفق الأخضر المثير للعجب وخيوط من اللون الذهبي.

جعلني هذا الإدراك أضحك.. أصبت بخنقة كئيبة ولاذعة كان صوتها عال بدرجة صادمة في هواء الليل الساكن، ما الذي قاله ريتشارد؟ إن الشفق القطبي شيء ينبغي على كل امرئ رؤيته قبل أن يموت. حسناً، ها قد رأيته، لكن على ما يبدو إنه لم يعد مهماً بعد.

توقفت للحظة، وأنا أراقب تحرك الشفق القطبي المهيّب، لكن مع تذكري لريتشارد الآن بدأت المشي مجدداً. ومع كل خطوة تذكرت حث كاري لي على أن أركض وأن أخرج.. وتأكيدات المهووسة على مدى نفوذ ريتشارد.

لم تبد مهووسة الآن.

لو أنني صدقتها فحسب.. ما كان ينبغي أن أبرز بطاقة هوية أن في الفندق أو أثق بإريك ولو حتى مع التفاصيل القليلة التي أعطيتها له. غير أنني لم أصدق أن أي شخص مهما بلغ ثراؤه يمكن أن يصل إلى هذا النوع من النفوذ، والآن أدرك أنني أخطأت.

تأوهت على غبائي، وعلى البرد الذي يتسلل إلى ملابس الخفيفة والمبتلة؛ وأهم شيء أنني تركت المحفظة على المكتب. غبية، غبية، غبية. إنها خمسة آلاف كرونة مبتلة ومنشعة بالماء غير إنها صالحة للاستخدام وقد تركتها لريتشارد كترحاب ذهبي صغير عند عودته إلى الفندق. ما الذي سأفعله؟ ليس لدي بطاقة هوية ولا مكان أوي إليه، ولا وسيلة لشراء أكثر من قالب شوكلاتة ناهيك

عن تذكرة قطار، أفضل أمل لدي أن أجد محطة شرطة، لكن كيف؟ أين؟ وهل أجروا على إخبارهم الحقيقة عندما أصل إلى هناك؟

كنت أفكر في هذا فحسب عندما سمعت هدير المحرك من خلفي واستدرت لأرى سيارة قادمة من عند المنعطف بسرعة مخيفة، من الواضح إنه لا يتوقع أي أحد بالخارج في تلك الساعة من الليل.

تلممت عند حافة الطريق سريعاً فانزلقت قدماي وسقطت، ووقعت على الحجارة التي أدمتني وخدشتني، بلي حذائي وتوقفت مع تناثر بعض الحصى عند مجرى الفلج، عند نوع من الجداول أو قناة صرف تصل إلى الوادي الخلالي بالأسفل. أما السيارة نفسها فتوقفت بصريح عالٍ على الطريق على بعد متر وخمسين أو ثمانين سنتيمتراً فوق مني، ومصابيحها الرئيسية متجهة صوب القرية، وانبعث العادم منها بلون أحمر على ضوء المصابيح الخلفية.

سمعت وطاء أقدام على الطريق من فوق. ريتشارد؟ أو أحد رجاله؟ ينبغي أن أهرب.

حاولت الوقوف على كاحلي فشعرت بأنها تخور ثم حاولت مجدداً بحرص أكثر تلك المرة، ونشجت على إثر هذا الألم.

وعلى هذا الصوت ظهر شكل رجل من خلفه الضوء فلم أر إلا شكله المظلل فحسب، والذي أمعن النظر من الأعلى على حافة الطريق، ثم قال صوت شيء ما بالنرويجية، فهزئت رأسي ويدي ترتجفان. «أنا لا.. لا أتحدث النرويجية». حاولت أن أنحي النسيج من صوتي. «هل تتحدث الإنجليزية؟». «أجل، أتحدث الإنجليزية»، قالها الرجل بصوت ثقيل اللهجة. «مدي يدك، سوف أساعدك».

ترددت، لكن محال أن أتمكن من الخروج من ذلك المصرف دون مساعدته، ولو كان في استطاعة الرجل بحق أن يؤذيني لنزل ببساطة إلى الأسفل وهاجمني متستراً بالمصرف، يستحسن بي الخروج، حيث يمكنني الركض على الأقل إن اضطررت لذلك. سلطت مصابيح السيارة في عيني فأعمتني، ورفعت يدي للأعلى لأحتمي من وهجها، كل ما استطعت رؤيته شكل مظلم وهالة من الشعر الأشقر أسفل نوع ما من القبعات، لم يكن ريتشارد على الأقل، بت متأكدة من هذا.

«مدي إلي يدك»، كررها الرجل بشيء من نفاد الصبر تلك المرة. «هل تأذيت؟».

قلت، «لا، لم أتأذ. على الأقل يؤلمني كاحلي، لكن لا أعتقد إنه مكسور».

«ضعي ساقك هنا». أشار نحو صخرة على بعد قرابة ثلاثين سنتيمتراً من المصرف «.. وسوف أسحبك».

أومأت برأسي، ومع شعوري بأني ربما أفعل شيئاً بالغ الحماسة، وضعت قدمي السليمة على الصخرة، ثم انحنيت للأعلى بيدي اليمنى.

أحسست بقبضة الرجل تمسك بمعصمي، قبضة متينة، وبدأ يسحبني بنخير، وهو يثبت نفسه على صخرة عند حافة المصرف. احتجت صارخة عضلات وأعصاب ذراعي، وعندما حاولت أن أرمي بثقلي على قدمي المصابة، صرخت، لكن أخيراً بدفعة مؤلمة ومجهدة صعدت للأعلى خارج المصرف، ووقفت وأنا مرتعشة على حافتها. المتاخمة.

قال الرجل، «ماذا تفعلين هنا بالخارج؟» لم أستطع

رؤية وجهه، لكنني شعرت بقلق في صوته. «هل أنت تائهة؟ هل أصابتك حادثة؟ هذا الطريق يؤدي مباشرة إلى أعلى الجبل، ليس بمكان للسياح». حاولت التفكير في كيفية الإجابة عندما أدركت شينين.

أولاً إنه يحمل شيئاً في قراب على فخذه، وبدأت ظلال شكله على أضواء السيارة. وثانياً أن السيارة نفسها سيارة شرطة. وبينما وقفت في مكاني متجمدة لأحاول التفكير فيما سأقوله، سمعت شخصخة جهاز الإرسال اللاسلكي يشق صمت الليل. تمكنت من قول، «أنا..».

تقدم الشرطي خطوة للأمام وهو يميل طرف قبعته حتى يراني بوضوح أكثر، ثم قطب جبينه. «ما اسمك يا سيدتي؟». «أنا». قلتها ثم توقفت.

ثم صدرت شخصخة أخرى عن اللاسلكي فرفع أصبعه وقال. «لحظة واحدة رجاء».

وضع يده على فخذه فرأيت أن ما حسبته مسدساً عبارة عن لاسلكي شرطي في قراب، يتدلى إلى جوار أصفاد. تحدث بإيجاز إلى اللاسلكي ثم تسلق نحو جانب السائق في السيارة وبدأ محادثة طويلة في لاسلكي السيارة.

سمعته يقول، «جا»، ثم انطلق بالحديث سريعاً ولم أفهم، ثم نظر للأعلى نحوي عبر الزجاج الأمامي وعينه في عيني، فتحيرت نظرته وقال مجدداً، «جا»، ثم أردف، «ديت إر ركتيج لورا بلاكوك».

بدأ لي أن كل شيء يتباطأ وعرفت بشبه يقين أن الفرصة الآن، أو لن تأتي على الإطلاق. إن ركضت الآن ربما أقترف خطأ، لكن إن لم أركض ربما لا

أعيش حتى أكتشف ولا يمكنني الإقدام على هذه المجازفة.

ترددت لثانية واحدة إضافية، ثم رأيت الشرطي يعيد اللاسلكي إلى موضعه ويمد يده في درج السيارة.

ليست لدي فكرة عما يمكنني فعله، لكنني لم أصدق كاري من قبل وقد كلفني هذا من قبل كل شيء. سحقتا لشجاعتني أمام الألم الذي عرفت إنه آت، شرعت في الركض.. ليس لأعلى الطريق كما سبق لكن للأسفل، عبر الطريق الوعر للبلدة أسفل الجانب الدوراني للوادي الخلالي.

35

انبج الفجر عندما أدركت إنه لم يعد في إمكاني المواصلة، وأن عضلاتي مجهدة فوق طاقتها، وإنها لن تطيعني ببساطة. لم أعد أمشي، بل كنت أتعثر وكأنني ثملة، وانهارت ركبتي عندما حاولت تسلق جذع شجرة ساقط.

وجب علي أن أتوقف، إن لم أفعل، فسوف أسقط حيث أقف، في أعماق الريف النرويجي إلى درجة أن جسدي قد لا يعثر عليه.

كنت بحاجة إلى مأوى، لكنني بعدت عن الطريق منذ مدة طويلة ولا منزل في مرمى بصري. ليس معي جوال، أو نقود، ولم أعرف حتى في أي وقت نحن، مع إننا حتماً شارفنا على الشروق.

تصاعد النحيب في حلقي الجاف، لكن في تلك اللحظة فحسب رأيت شيئاً يحوم من بين الأشجار المتناثرة.. شكل طويل ومنخفض. ليس بمنزل.. لكن نوع من الحظائر، ربما؟

هذا المشهد أمد قدمي بالطاقة، فانطلقت من بين الأشجار عبر مسار طيني وعبر بوابة في سياج من الأسلاك. كانت حظيرة.. مع أن اسمها بدا كبيراً جداً مقارنة بالكوخ القابع أمامي، بجدرانه الخشبية المخلع وسقفها الحديدي المثلث.

أدار حصانان صغيران كثيفا الشعر رأسيهما بفضول وأنا أمشي مجهدة إلى جوارهما، ثم عاد أحدهما للشرب مما رأيت إنه جرن ماء وطرب له قلبي، فسطحه امتزج بلونين زهري وذهبي على ضوء الشروق الرائق.

اندفعت إلى الجرن، وجثوت على ركبتي على الحشائش القصيرة إلى جواره، ثم اغترفت الماء

بيدي، ونهلت منه جرعات كبيرة. كانت مياه مطر وبدا مذاقها مثل الطين والتراب والصدأ الناتج عن الجرن المعدني، غير أنني لم أبه. شعرت بعطش شديد منعني من التفكير في أي شيء سوى روي حلقي الظمان.

عندما شربت قدر المستطاع استقمت في وقفتي ونظرت من حولي. كان باب سقيفة الحظيرة مغلقاً، لكنني وضعت يدي على المزلاج، فانفتح على مصراعيه ودخلت بحرص ثم أغلقت الباب من ورائي.

بالداخل رأيت تبنًا -أكوام وأكوام منه- وبعض الأحواض التي اعتقدت إنها للعلف أو المون وعلى الجدار علقت على أوتاد بضع أغطية للأحصنة.

بيطاء، وقد سكرت من الإعياء، سحبت أول غطاء ووضعته فوق أعرق كومة من التبن.. ولم أفكر حتى في الفرن أو البراغيث أو حتى رجال ريتشارد. فمحال أن يجدوني هنا وقد وصلت إلى المرحلة التي أكاد لا أعبأ فيها.. لو تركوني أرتاح فحسب يمكنهم الإمساك بي.

ثم تمددت على الفراش المؤقت وسحبت الغطاء الآخر فوقي.

ونمت.

«مرحباً؟» هكذا قال صوت عالٍ إلى حد مؤلم تجاه رأسي، وفتحت عيني على ضوء يعمي الأعين ووجه يحدق في وجهي. ورجل مسن بلحية طويلة بيضاء ويشبه إلى حد كبير القبطان بيردسي يحدق إلي بعينين عسليتين مغبشتين بخليط من الدهشة والقلق.

طرفت بعيني وانزويت للخلف، وقلبي يخفق بآلم، ثم حاولت النهوض على قدمي لكن التوى كاحلي

والمني بشدة فتعثرت. أخذ الرجل بذراعي وقال شيئاً بالنرويجية، وبلا تفكير شددتها بوحشية من قبضته وسقطت مجدداً على التبن.

ولبضع دقائق نظرنا لبعضنا فحسب، هو يتأمل في خدوشي وجروحي، وأنا أنظر إلى وجهه المجعد والكلب الذي ينبح ويحوم حولي.

أخيراً قال، «كوم»، ونهض بتألم من جثومه، وهو يمد يده بهدوء حريص وكأنني حيوان جريح قد يستثيره أي مناوشة، ولست بشراً على الإطلاق. نبح الكلب مجدداً، بهوس تلك المرة، وصرخ الرجل بشيء من وراء ظهره كانت تعني بوضوح اصمت أنت!

«من..». لعقت شفتي الجافتين مجدداً وحاولت مرة أخرى. «من أنت؟ وأين أنا!».

قال الرجل، «كونراد هورست»، وهو يشير إلى نفسه. أخرج محفظته وقلب فيها إلى أن وجد صورة لسيدة مسنة بخدين متوردين وكعكة شعر أبيض، وهي تداعب ولدين صغيرين شقر الشعر.

«مين كوني»، قالها الرجل وهو يلفظ الكلمات ببطء، ثم أشار إلى الطفلين، شيء من قبيل «فوري بون-بون».

ثم أشار إلى باب الحظيرة، على سيارة فولفو عتيقة جداً واقفة بالخارج.

قال، «بيلين مين»، ومرة أخرى، «كوم».

لم أعرف ما ينبغي علي فعله، فثمة شيء مطمئن حيال صور زوجته وأحفاده.. لكن حتى المغتصبين والقتلة لديهم أحفاد، أليس كذلك؟ وعلى الجانب الآخر ربما هو مجرد مسن لطيف، أو ربما تتحدث زوجته الإنجليزية، على الأقل يحتمل أن لديهم

هاتف.

نظرت للأسفل نحو كاحلي، لم يكن لدي خيارات كثيرة، فقد تورمت وصارت ضعف حجمها المعتاد، ولم أعد متأكدة إن كان في استطاعتي حتى أن أعرج وصولاً إلى السيارة، ناهيك عن الوصول إلى المطار.

مد القبطان بيردسي ذراعه وأوماً بها.

«رجاء؟» تمتم باستجواب، وكأنه يعطيني الخيار، لكن هذا وهم، ليس لدي خيار. تركته يساعدني للنهوض على قدمي ودخلت في السيارة.

لكن فقط عندما تحركنا بالسيارة أدركت إلى أي مدى ركضت في الليلة السابقة، بإمكانك حتى رؤية الوادي الخلالي من جانب التل هذا المليء بالأشجار، وحتماً أن السيارة الفولفو قطعت عدة أميال نزولاً على هذا المسار الموحد قبل أن نصل إلى ما يشبه الطريق.

انعطفنا على الطريق المعبد عندما لاحظت شيئاً في الحجيرة الصغيرة أسفل اللاسلكي.. جوال. كان قديماً جداً جداً، لكنه جوال.

مددت يدي وأنا بالكاد قادرة على التنفس.
«هل تسمح لي؟».

نظر إليه وابتسم ابتسامة عريضة، ووضع الجوال في حجري، لكن بعدها نقر على الشاشة وقال شيئاً بالنرويجية. وبمجرد أن نظرت للجوال أدركت ما يقوله، لا استقبال من الشبكة على الإطلاق.

«فينت»، قالها بصوت عال وواضح، ثم ببطء، فيما بدا وكأنه لهجة إنجليزية ثقيلة، «مهلاً».

أمسكت بالجوال في حجري وأنا أراقب الشاشة

مع غصة في حلقي بينما تمر الأشجار، لكن شيئاً ما بدا غير منطقي إذ أظهر الجوال أن تاريخ اليوم 29 سبتمبر، فإما أنني أخطأت العد أو أنه فاتني يوم. «هذا». أشرت إلى اليوم على الجوال «.. اليوم، هل هو حقًا التاسع والعشرين؟».

رمق القبطان بيردسي الشاشة بعينه ثم أوما برأسه.

«جا، تجينوندي، الث.. ثلاثاء»، قالها وهو يلفظ الكلمة ببطء شديد. الثلاثاء، اليوم هو الثلاثاء. نمت في هذا الكوخ يوماً وليلة كاملين.

كنت أحسب هذا فقط، وأحاول ألا أفكر في مقدار القلق الذي ألم بجودا ووالدي حتمًا، وإذا بنا ننعطف إلى طريق خاص بالسيارات لمنزل صغير ولطيف مطلي بالأزرق، فومض شيء على زاوية شاشة الجوال.. شريط استقبال واحد.

«رجاء؟» رفعته، وازداد خفقان قلبي فجأة في حلقي إلى درجة أن الكلمات بدت مخنوقة وغريبة في فمي. «هل يمكنني أن أتصل بعائلتي في إنجلترا؟».

قال كونراد هورست شيئاً بالنرويجية لم أفهمه، إلا إنه أوما برأسه، بأصابع مهتزة بشدة إلى درجة صعبت علي العثور على الأزرار الصحيحة، ضغطت على مفتاح إنجلترا (+44) واتصلت برقم جوال جودا.

36

لم نقل أي شيء لوقت طويل، بل وقفنا فحسب في وسط المطار كأحمقين، نحضن بعضنا، وجودا يلمس وجهي وشعري والكدمات على خدي وكأنه لا يصدق بحق إنها أنا. افترض أنني فعلت معه نفس الشيء، لا أذكر.

كل ما استطعت التفكير فيه أنني في وطني، في وطني، في وطني. ظل جودا يقول، «لا يمكنني تصديق هذا، أنت بخير».

ثم انهمرت الدموع وبدأت البكاء على الصوف الخشن والشائك لسترتة ولم يقل أي شيء على الإطلاق، بل عانقني فحسب وكأنه لن يفلتني أبداً. في البداية لم أرد أن يتصل آل هورست بالشرطة، لكنني لم أستطع إفهامهم، وبعد أن تحدثت لجودا ووعدني بالاتصال بشرطة العاصمة بسكوتلاند يارد وإخبارهم قصتي - قصة بعيدة الاحتمال إلى درجة أنني كدت ألا أصدقها بنفسي - بدأت تقبل أن حتى ريتشارد بولمر ليس في إمكانه رشوة الآخرين للخروج من هذا المأزق.

عندما وصلت الشرطة، اصطحبوني إلى مركز صحي لتلقي علاج على جرح قدمي وكاحلي الملتوي ووصفة طبية بأدويتي. بدا أن الأمر سيستغرق دهوراً، لكن أخيراً أعلن الأطباء أنني مؤهلة للمغادرة، والشيء التالي الذي عرفته بعد ذلك أنني أنقل بالسيارة إلى محطة شرطة نحو القرية حيث ينتظرنني مسؤول رسمي من السفارة البريطانية في أوصلو.

ووجدتني أحكي قصة ان وريتشارد وكاري مراراً

وتكراراً، وفي كل مرة بدت غير معقولة أكثر فأكثر على أذني.

ظلت أكرر، «يجب أن تساعدوها، كاري.. يجب أن تلاحقوا السفينة».

تبادل المسؤول البريطاني وضابط الشرطة نظرة، وقال الشرطي شيئاً بالنرويجية. عرفت فجأة إنه أيا كانت الأخبار التي يكتُمونها، فليست بالأخبار السارة.

«سألت؟» ماذا. «ما الأمر؟ ما خطبكما؟».

«عثرت الشرطة على جثتين»، هكذا قال مسؤول السفارة أخيراً، بصوت محرج ورسمي. «الأولى في الساعات البكرة من صبيحة الاثنين، التقطتها شبك مركب صيد، والثانية في وقت لاحق يوم الاثنين، والتي انتشلها غواصو الشرطة».

وضعت رأسي بين يدي، وضغطت على عيني بأصابعي، وأنا أراقب تراكم الضغط ووجهه واضطرامه واشتعاله داخل جفوني، التقطت نفساً عميقاً.

نظرت للأعلى «أخبروني، يجب أن أعرف».

«الجثة التي انتشلها الغواصون لرجل»، هكذا قال مسؤول السفارة ببطء. «أطلق النار على صدغه، وتعتقد الشرطة إنه جرح ناتج عن إيذاء للذات. لم يكن معه بطاقة هوية، لكنهم يفترضون إنها جثة ريتشارد بولمر. فقد أفاد طاقم البحارة إنه فقد من على سطح «أرورا»».

«و..». ابتلعت ريقِي. «والأخرى؟».

«المرأة الأخرى نحيفة للغاية بشعر مجزوز، سينبغي على الشرطة أن تجري تشريحاً للجثة، لكن النتائج الأولية تشير إلى إنها ماتت بالغرق. سيدة

بلاكلكوك؟» نظر حوله بتوتر، وكأنه غير متأكد مما ينبغي عليه فعله. «أنت بخير يا سيدة بلاكلكوك؟ هل يمكن لأحد أن يأتيها بمنديل رجاء؟ رجاء لا تبك يا سيدة بلاكلكوك، أنت بخير الآن».

غير أنني لم أستطع الحديث وأسوأ ما في الأمر إنه كان محققاً. كنت بخير، إلا إن كاري لم تكن بخير. كان ينبغي أن أشعر بالراحة أن بولمر قتل نفسه، لكنني لم أستطع الشعور بأي راحة. جلست فحسب هناك، وأنا أبكي في المنديل الذي أعطوني إياه وأفكر في كاري وكل شيء فعلته لي ومن أجلي. أيا كان الصواب والخطأ، فقد دفعت الثمن بحياتها، ولم أكن سريعة بما فيه الكفاية لأنقذها.

37

أقلتنا سيارة الأجرة من المطار وعدنا إلى منزل جودا، ولم نناقش الأمر بالضبط، لكن بطريقة ما لم أستطع مواجهة شقتي في القبو. فقد سنمت من أن تغلق علي الغرف عديمة الضوء، وعلى ما يبدو أن جودا أدرك هذا.

في غرفة معيشتي وضع علي بطانية بينما جلست على أريكة وكأني طفلة صغيرة أو شخص يتعافى من مرض، وقبلني بلطف شديد على جبهتي، وكأنه قد يكسرني.

قال مجدداً، «لا أصدق أنك عدت للمنزل، عندما أرسلوا لي صورة حذائك الطويل..».

اغرورقت عيناه بالدموع، وشعرت بغصة في حلقي من الدمع.

قلت بحشجة، «أخذتهما، بحيث أظهار إنني هي، إنها..».

لكني لم أستطع إتمام الجملة.

أمسك بي جودا لوقت طويل، وعندما استطاع الحديث ابتلع ريقه وقال، «أنت.. لديك كثير من الرسائل، كما تعرفين، ظل الناس يتصلون بي لأن بريدك الصوتي امتلأ، وكنت أدون أسمائهم».

تحسس جيبه، وناولني قائمة، فراجعتها، معظمها أسماء لم أكن أتوقعها: ليزي.. روان.. إيما.. جين.. وواحد أو اثنان كانا مفاجأة:

«تينا ويست.. شعرت براحة تامة أنك بأمان، لا حاجة لمعاودة الاتصال».

«كلوي جينسين؟.. أمل أنك بخير، رجاء اتصلي إن كان في استطاعتي فعل أي شيء أنا أو لارس».

«بين هوراد، لا رسالة».

«يا إلهي، بين!» شعرت بطعنة من الإحساس بالذنب. «أنا مندهشة جداً إنه مازال يتحدث إلي، فقد اهتمته تقريباً إنه وراء كل هذا، هل اتصل حقاً؟».

«ليس هذا فحسب»، قالها جودا ورأيته يمسح عينيه خلسة في قميصه. «إنه أول من أطلق صافرة الإنذار، فقد اتصل بي من بيرجن في محاولة لأن يعرف إن كنت وصلت سالمة للمنزل، وعندما قلت إنني لم أتلق منك اتصالاً أو رسالة منذ يوم الأحد، أخبرني بأن اتصل بالشرطة وأخبرهم أنه أمر طارئ. وقال إنه فتح أبواب الجحيم عليهم منذ أن كانوا في ترونديم ولا أحد من طاقم البحارة أنصت إليه». «لا تجعلني أشعر بحال أسوأ». وضعت يدي على وجهي.

قال جودا، «على رسلك، مازال حقيراً يضيف أهمية على ذاته». وهو يبتسم بعذوبة، ورأيت بغصة أن جذر سنته عاد ينبت من جديد. «وقد أجرى لقاء حقيراً جداً مع جريدة «ميل» أوهم الناس أنكما انفصلتما للتو».

«حسناً»، قلتها بضحكة مهتزة. «هذا يجعلني أشعر بحال أفضل قليلاً حيال اتهامه بالقتل».

«اسمعي، هل ترغبين في كوب من الشاي؟».

أومأت برأسي فنهض وشق طريقه إلى المطبخ. أمسكت ببضعة مناديل من الصندوق على منضدة القهوة ومسحت عيني، ثم التقطت جهاز التحكم عن بعد وفتحت التلفاز في محاولة لأن أضاهي الحياة الطبيعية قليلاً.

أخذت أقلب في القنوات فحسب وأنا أبحث عن

شيء مطمئن ومألوف -إعادة بث ربما لمسلسل (الأصدقاء) أو (كيف قابلت أمكما) - عندما تجمدت كالموتى وقلبي لدى حنجرتي.

ركزت ببصري على شاشة التلفاز.. على رجل يحدق إلي.

كان بولمر.

عيناه مثبتتان على عيني، وفمه ملتو ليشكل تلك الابتسامة غير المتجانسة، وللحظة ظننت أنني أهذي. فالتقطت نفساً استعداداً لأن أصرخ وأنادي على جودا وأسأله إن كان في استطاعته رؤية الوجه المحدث من الشاشة نحوي مثل كابوس.. لكن حينها قاطعني صوت مذيع الأخبار وأدركت ما يحدث، إنه تقرير عن وفاة بولمر.

«... خبر عاجل عن وفاة رجل الأعمال البريطاني والنبيل اللورد ريتشارد بولمر. عثر على جثة اللورد بولمر الذي يمتلك الحصة الأكبر في شركة «نورثرن لايتس» التي تمر باضطراب حالياً بعد الإبلاغ عن إنه مفقود قبل ساعات من إقلاع يخته الفاخر «أرورا» من ساحل النرويج».

انقطع المشهد مجدداً، ليتحول هذه المرة إلى ريتشارد وهو واقف على منصة ويلقي خطاباً من نوع ما، تحركت شفثاه لكن كتم الصوت بحيث يواصل مذيع النشرة القراءة من فوق الصور، ومع تقريب الكاميرا إلى وجهه، وجدت نفسي أخفض الصوت، وأدع الأريكة وأجثو على ركبتني أمام التلفاز، ووجهي على بعد بضع بوصات من وجهه.

وعندما انتهى الكلام، انحنى ريتشارد، وقربت الكاميرا إلى وجهه، ونظر مباشرة من خارج الشاشة ثم غمز لي بطريقته المميزة.. وهنا شعرت بتقلص في المعدة واقشعر بدني.

التقطت جهاز التحكم عن بعد بيد مرتجفة، استعداداً لاستئصال شافته من حياتي للأبد عندما تحركت الكاميرا ورأيت امرأة واقفة في الصف الأمامي تبسم وتصفق، وتوقفت، بينما يلوح إصبعي فوق زر «الإغلاق». كانت طاغية الجمال، ويموج رأسها بخصال شعر طويل كنهر بلون ذهبي داكن وعظام وجنتين عريضتين، وللحظة لم أستطع التفكير أين رأيته من قبل، ثم.. عرفت.

كانت أن، أن قبل أن يمل منها ريتشارد، شابة جميلة ومليئة بالحيوية.

وبينما أخذت تصفق بدت إنها استوعبت فجأة أن الكاميرات مسلطة عليها، وطرفت عيناها على عدسة الكاميرة، ورأيت شيئاً هناك، مع إنه صعب علي معرفة إن كان من وحي خيالي أم لا. بدالي إن ثمة شيء حزين في تعبيراتها، شيء مكبوت وخائف قليلاً. لكنها ابتسمت بعد ذلك ابتسامة عريضة ورفعت ذقنها للأعلى عرفت إنها من ذاك النوع من النساء اللاتي لا يستسلمن ولا يذعن، امرأة ستقاتل حتى النهاية.

ثم تغيرت الصورة وعدنا إلى غرفة الأخبار، فأطفأت الشاشة وعدت إلى الأريكة. سحبت الغطاء علي وأدريت وجهي نحو الحائط واستمعت لجودا وهو يعد الشاي في الغرفة المجاورة... وأخذت أفكر. أعلنت الساعة على منضدة فراش جواد إننا بعد منتصف الليل، كنا نتمدد سوياً وصدره ضاغط على عمودي الفقري وذراعه حولي، يحضنني ويقربني إليه وكأنه لا يثق أنني لن أختفي ليلاً.

انتظرت إلى أن اعتقدت أنه نام قبل أن أترك نفسي للبكاء، لكن عندما اهتزت ضلوعي من أحد الشهقات على وجه الخصوص، تحدث بصوت

منخفض ولطيف على أذني.

«أنت بخير؟».

«اعتقدت أنك نائم». صدر صوتي منكسراً وببحة
وسالت دموعي.

«هل تبكين؟».

أردت إنكار هذا، لكن حلقي انقفل ولم أستطع
التحدث على أية حال، لقد سئمت من الكذب
والادعاء.

أومأت برأسي ومد يده للأعلى وهو يتحسس البلل
على خدي.

«يا حبيبتي». سمعت حركة في حلقه وهو يبتلع
ريقه. «ستكون الأمور... ليس عليك أن..». توقف ولم
يستطع المواصلة.

«لا أستطيع التوقف عن التفكير فيها»، قلتها وأنا
أشعر بغصة في حلقي. كان من السهل ألا أنظر
إليه، وأتحدث إلى الظلام الساكن وأضواء القمر
الفضية على الأرض. «لا يمكنني قبول هذا، إنه خطأ
بالكامل».

قال جودا، «لأنه قتل نفسه؟».

«ليس هذا فحسب، بل أن.. وكاري أيضًا».

لم يتفوه جودا بشيء، إلا إني عرفت ما يفكر فيه.
قلت بمرارة، «قلها»، وشعرت بصدرة يصعد ويهبط
على عمودي الفقري، ونفسه دافئ على خدي.

«ما ينبغي لي قول هذا على الأرجح، لكني لا
أستطيع الشعور بشيء سوى.. السعادة».

التفت أسفل الأغطية ومد يده.

«أعرف، أعرف إن هذا خطأ، لكن ما فعلته بك..
بأمانة، لو كان الأمر بيدي لما حاولت انتشالها،
ولتركتها هناك للأسماك، فمن الجيد إنه ليس

بقراري».

شعرت بالغضب، يتصاعد داخلي، غضب بالنيابة عن كاري، التي ضربت وتعرضت للتنمر وكذب عليها. قلت، «ماتت بسببي، لم يتعين عليها أن تطلق سراحي».

«هراء، كنت هناك فحسب بسببها، لم يتعين عليها أن تقتل امرأة وتحبسك».

«أنت لا تعرف هذا، لا تعرف ما يجري في علاقات الآخرين».

فكرت في رعب كاري، وفي الكدمات حول جثتها، وفي اعتقادها بأنها لن تهرب أبداً من ريتشارد، كانت محقة.

لم يقل جودا أي شيء، لم أستطع رؤية تعبيراته في الظلام لكنني شعرت برفضه الصامت.

سألته، «ماذا؟ ألا تصدقني؟ ألا تعتقد أن الناس يمكنهم التورط في شيء بدافع الخوف أو عدم القدرة على رؤية أي طريق آخر للخروج؟».

قال جودا ببطء، «لا، ليس هذا ما في الأمر، أعتقد في هذا، لكنني ما زلت أعتقد على الرغم من كل هذا إننا مسؤولون عن أفعالنا، جميعنا نخاف، لكن لا يمكنك إخباري إنك ستفعلين هذا لشخص آخر، مهما بدت الأمور عويصة - تحبسينهم هكذا وتسجنينهم - مهما بلغ مقدار خوفك».

قلت، «لا أعرف»، فكرت في كاري، ومدى شجاعتها وهشاشتها، وفكرت في الأقنعة التي ارتدتها لتخفي الخوف في عينيها، فكرت في الكدمة على عظم الترقوة، والخوف في عينيها، فكرت في كيفية تخليها عن كل شيء لأجلي.

«اسمع»، نهضت وتلفعت بالغطاء. «تلك الوظيفة

التي كنت تتحدث عنها قبل أن أغادر، الوظيفة في نيويورك هل رفضتها؟».

«أجل، أعني، حسنًا، لا... سوف أرفضها. لم أتصل بهم بعد، فبعد فقدانك، نسيتها تمامًا نوعًا ما، لماذا؟»
بات صوت جودا منزعًا فجأة.

«لأنني لا أعتقد إنه ينبغي عليك هذا، أعتقد إنه يتعين عليك قبولها».

«ماذا؟» اعتدل في جلسته هو الآخر، وتسلط ضوء القمر على وجهه، فبدأ لي تعبيراً مليئاً بالصدمة والغضب، ولدقيقة بدا إنه لا يعرف ما يجب عليه قوله، ثم قال محتدماً. «ماذا بحق الجحيم؟ لماذا؟ من أين ينبع هذا الكلام بداخلك؟».

«حسنًا، إنها فرصة حياة، صحيح؟ إنه منصب لطالما أردته». طويت الغطاء حول أصابعي وحبست عنها الدماء إلى أن صارت خدرة وباردة. «ولنوجه الأمر، لا شيء يبقيك هنا، أليس كذلك؟».

«لا شيء يبقيني هنا؟» سمعته يبتلع ريقه، ورأيته يضم قبضته وييسطها على غطاء السرير الأبيض. «لدي كل شيء يبقيني هنا، على الأقل اعتقدت إنه لدي. أنا... أنت تنفصلين عني؟».

«ماذا؟» والآن حان الوقت الذي أشعر فيه بالصدمة، هزرت رأسي وأخذت يديه، وفركت أصابعي على أوتار وعظام براجمه، يدان عرفتهما عن ظهر قلب. تبا. «جودا، لا، ولا بعد مليون سنة، كل ما أقوله... أنا أحاول أن أطلب منك... هيا نذهب، سوياً».

«لكن - لكن «فيلوسيتي» - وظيفتك، وإجازة الأمومة لروان، هذه فرصتك الكبرى، ولا أستطيع إفساد هذا عليك».

تهدت، «إنها ليست فرصتي الكبيرة». انزلت أسفل الأغطية وأنا ما أزال أمسك بيد جودا. «أدركت هذا عندما كنت على متن السفينة، فقد أمضيت، ماذا، قرابة عشر سنوات من العمل في «فيلوسيتي»، بينما غامر بين والجميع، فانتقلوا إلى أشياء أكبر وأجمل، ولم أفعل هذا. شعرت بخوف كبير، وشعرت كأنني أدين لهم بوقوفهم إلى جوارى عندما ساءت الأحوال. لكن روان لن تغادر أبداً. تعود خلال ستة أشهر، أو ربما أقل، ولن أذهب إلى أي مكان. والحقيقة أنني حتى لو ترقيت في المناصب، فلم يعد هذا ما أريده. لم أرد هذا أبداً. أدركت هذا على متن السفينة. والرب يعلم أنني أمضيت الوقت الكافي للتفكير في هذا».

«ماذا تعنين؟ منذ أن التقينا وهذا كل ما تتحدثين عنه».

«أعتقد أنني لم أعد أعرف ما أريده، لا أريد أن ينتهي بي المطاف مثل تينا وأليكسندر، أسافر من بلدة لبلدة ولا أرى سوى الفنادق الخمسة نجوم والمطاعم المدرجة في دليل ميشلان. أجل، ارتادت روان نصف المنتجعات الفارهة في دول الكاريبي، لكن في المقابل أمضت حياتها تكتب تقاريراً يريد أناس مثل بولمر منها أن تكتبها، ولا أريد هذا، لم أعد أريده. أريد أن أكتب عن الأشياء التي لا يريد الناس معرفتها، وإن كنت سأبدأ في الترقى من القاع مجدداً، فحسناً، يمكنني البدء في العمل الحر من أي مكان، تعرف هذا».

خطرت على بالي فكرة، فصدرت عني ضحكة مهتزة لا إرادية.

«بإمكاني تأليف كتاب! سجنني العائم.. حياة حقيقية من الجحيم على البحار السبعة».

«لو». أمسك جودا بيدي، واتسعت عيناه وصارتا داكنتين على ضوء القمر. «لو، توقفي، توقفي عن المزاح، أنت جادة حيال هذا؟».

التقطت نفساً عميقاً، ثم أومأت برأسي.

«لم أكن أبداً بهذه الجدية طوال حياتي».

ثم لاحقاً، غط جودا في النوم، وعنقه على انحناءة كتفي بطريقة عرفت إنها ستصيبني بالتشنج في النهاية، غير أنني لم أستطع سحبه من أسفله.

همست، «هل أنت مستيقظ؟» فلم يجب للحظة واعتقدت إنه غلبه النعاس، بتلك الطريقة التي يغيب فيها عن الوعي بين كل نفس والتالي، إلا إنه تقلب في نومه وتحدث.

«فقط».

«لا أستطيع النوم».

«صف..». تقلب بين ذراعي ولمس وجهي. «لا بأس، مضى كل شيء إلى حاله».

«ليس هذا ما في الأمر.. ولكن..».

«هل ما زلت تفكرين فيها؟».

أومأت برأسي في الظلام وتنهدت.

«عندما رأيت وجهها»، هكذا قلت لكنه هز رأسه.

«لم أره».

«ماذا تعني؟ اعتقدت أن الشرطة أرسلت لك صوراً لتتعرف عليها؟».

«لم تكن جثة.. أتمنى لو كانت كذلك، لو رأيت جثة كاري وليس جثتك، لما أمضيت يومين في الجحيم معتقداً بأنك مت، بل كانت ملابس فحسب، صوراً لملابس».

«لماذا فعلوا هذا؟» يبدو قراراً غير حسيب..

لماذا يطلبون من جودا التعرف على ملابس وليس الجثة؟

شعرت أن كتفي جودا يرتفعان في الظلام من اهتزازهما.

«لا أعرف، حينها افترضت أن الجثة تفسخت بالكامل، غير أنني تحدثت إلى ضابطة الاتصال المسؤولة عن القضية بعد اتصالك - أردت أن أعرف كيف أمكنهم اقتراف خطأ فادح إلى هذه الدرجة - وتحدثت إلى النرويجيين وعلى ما يبدو إن هذا حدث كون الملابس وجدت منفصلة على حدة.

ماذا، تمددت هناك متحيرة وأحاول تحليل ما سمعته. هل حاولت كاري التخلص من الحذاء الطويل والقلنسوة في محاولة للسباحة، محاولة يائسة للهروب من بولمر؟

كدت أن أخشى النوم، متوقعة أن يطاردني وجه كاري المؤنب، لكن عندما أغمضت عيني أخيراً رأيت وجه بولمر يصعد أمامي، وهو يضحك وشعره الرمادي يهفهف من الرياح وينحدر أسفل سطح «أرورا».

فتحت عيني، وقلبي يخفق، في محاولة لتذكر إنه مات.. وأني بأمان وأن جودا متمدد بين ذراعي وانتهى الكابوس برمته.

لكنه لم ينته، لأنني لم أصدق فحسب ما حدث.

لم أستطع تقبل موت كاري فقط.. بل أيضًا موت بولمر. ليس لأنني اعتقدت إنه كان ينبغي له الحياة، لكن لأن موته من بين كل تلك الأحداث لم يكن منطقيًا. ربما كنت لأصدق انتحار كاري، لكن ليس انتحاره. حاولت قدر الإمكان، غير أنني لم أستطع تخيل أن هذا الرجل بعزمه البارد والشرس يمكن أن يستسلم. لقد قاتل ببسالة واستخدم بطاقات

اللعب بجسارة باردة، فهل يرفع يديه استسلاماً بهذه البساطة؟ لم يبد هذا محتملاً.

لكن هذا ما حدث، وينبغي عليّ تقبله، لقد مات. أغمضت عينيّ مجدداً، ودفعت طيفه عني، ثم ضمنت جوداً إلي وفكرت، بتركيز شديد في المستقبل، في نيويورك، وفي القفزة التي تتحلى بالإيمان وأوشك عليها.

وللحظة رأيت وميض صورة تفصيلية في الظلام منعكسة على جفون عيني: وأنا واقفة على حافة مكان شاهق الارتفاع وأحاول الاتزان على حاجز أسفل منه أمواج مظلمة.

لكني لم أخف، فقد سقطت من قبل ونجوت.

صحيفة إيفينينج ستاندارد، الخميس 26 نوفمبر

تحديد هوية المرأة الغارقة من السفينة «أرورا».

بعد قرابة شهرين على ذلك الاكتشاف الصادم لجثتين في البحر، إحداهما لرجل الأعمال والنبيل البريطاني ريتشارد بولمر، أصدرت الشرطة النرويجية بيانًا صحفيًا اليوم يحدد هوية الجثة التي انتشلها الصيادون في بحر الشمال قائلين إنها جثة زوجته آن بولمر، صاحبة ميراث لينجستاد الذي يقدر بمليار جنيه إسترليني.

عثر على جثة اللورد بولمر على بعد بضعة مئات من الأميال من غواصي الشرطة الذين فتشوا في المياه الساحلية بالقرب من بيرجن بالنرويج، وذلك بعد الإبلاغ عن فقدان النبيل من على متن سفينه، السفينة السياحية الحصرية والفاخرة، «أرورا بوريليس».

ليس انتحاراً

أكد البيان الصادر باللغة الإنجليزية الإعلان السابق من الشرطة النرويجية بأن سبب وفاة السيدة بولمر هو الغرق، في حين أن وفاة اللورد بولمر نتيجة عيار ناري في الصدغ. مع ذلك فإن ذلك البيان يعارض التقارير السابقة عن انتحار اللورد بولمر، ويفيد ببساطة أن الجرح لم يكن ناتجاً عن «إيذاء الذات» وفقاً لنتائج البحث التي توصل إليها الطبيب الشرعي المحلي.

كما أن اكتشاف مسدس انتشل مع جثة السيد بولمر ومغطى بملابس تخص الصحفية المفقودة البريطانية لورا بلاكلوك أدى إلى التوقعات المبدئية بأن وفاته مرتبطة باختفائها قبل عدة أيام.

عثر على السيدة بلاكلوك على قيد الحياة لاحقاً وبخير في النرويج، لكن طالب والداها بتحقيق من

الشرطة بعد أن ظلوا معتقدين لعدة أيام أن الجثة التي عثر عليها تخص ابنتهم المفقودة. ومن جانبها شددت شرطة العاصمة بسكوتلاند يارد على أن الجثة لم تحدد هويتها في أي مرحلة بأنها تخص السيدة بلاكلوك، لكنها اعترفت بأن العثور على ملابس السيدة بلاكلوك «لم تخبر به عائلاتها على نحو ملائم». ويلقون باللائمة على «أمور خاصة بالتواصل بين مختلف أجهزة التحقيق»، وقالوا إنهم يتواصلون مباشرة مع عائلة بلاكلوك في هذا الصدد. ورداً على أسئلة الجريدة قال المتحدث باسم الشرطة النرويجية إنه وعلى الرغم من إجرائهم مقابلة مع السيدة بلاكلوك تتعلق بالقضية، فإنهم لم يشكوا في ضلوع البريطانية بالمشاركة في أي من حالاتي الوفاة وأن تحقيقاتهم ما تزال جارية.

الردشة المباشرة مع المصرف: 6 ديسمبر، 4:15 مساءً

مرحباً بكم في الدردشة المباشرة مع خدمة العملاء.
أنت تتحدثين إلى جيش من الخدمات الشخصية المصرفية، كيف لي أن أساعدك اليوم يا سيدة بلاكلوك؟

مرحباً، أبعث هذا البريد الإلكتروني لأنني تلقيت تحويلاً مالياً غريباً على حسابي، أردت أن أراجع معكم إن كان لديكم أي معلومات بخصوص المرسل، شكراً، لو.

مرحباً يا سيدة بلاكلوك، بالطبع، يمكنني البحث في هذا الأمر.

هل يناسبك أن أناذك بلورا؟
أجل، لا بأس بهذا.

ما التحويل الذي تهتمين بمعرفة تفاصيله يا لورا؟
إنه التحويل الذي أجري منذ يومين بتاريخ الرابع
من ديسمبر بقيمة 40,000 فرانك سويسري.
دعيني أراجع هذا لأجلك.

لدي بياناتك هنا.. هل هذا التحويل معنون «شيك
أصدره ثمور»؟
أجل صحيح.

تفقدت رمز الفرز المصرفي، إنه حساب في مصرف
سويسري مقره مدينة برن. يؤسفني القول إنه ليس
عندي أي معلومات حول هوية صاحب الحساب
المصرفي، إنه حساب مصرفي مرقم، ألا يفصح
العنوان عن أي شيء؟

لا بأس، شكراً، لا داعي للقلق، أنا واثقة إنه من أحد
الأصدقاء، أردت فقط أن أراجع، شكراً للبحث عن
هذا من أجلي.

على الرحب والسعة، هل يوجد أي شيء يمكنني
مساعدتك فيه يا لورا؟
لا، سلمت، شكراً، ومع السلامة.

إقرار بالفضل

جزيل الشكر لمن ساعدوني طوال طريق الذي قطعته في تأليف «المرأة في المقصورة العاشرة». إن التأليف مسعى فردي وأحادي لكن النشر بكل تأكيد عمل جماعي، وأشعر بالامتنان الشديد أن معي هؤلاء الأشخاص اللطفاء جداً والمرحين المشاركين في روايتي.

أولاً يجب أن أقدم الشكر لشخصين باسم أليسون، أليسون هينييسي من دار نشر (هارفيل سيكر) وأليسون كالاهاان من دار نشر (سكاوت)، لكونهما محررين لبقين وجسورين ويتمتعان بالبصيرة، وأثبتنا عمومًا أن ثلاثة عقول أفضل بالتأكيد من عقلي الوحيد.

ويستحق الشكر أيضًا عديد من الأشخاص في دار نشر (فينتاج) على دعمهم وتشجيعهم، لكنني أدين بالفضل تحديداً إلى ليز فوللي وبيثان جونز وهيلين فلود وشين مولكين وراشيل كوجنوني وريتشارد كابل وكريستيان لويس وفاي بروستر وراشيل لودبروك وفيرشا لعمل التصميم الجميل، وسيمون روديس من الإنتاج وفي النهاية بالطبعة توم دراك لي وكل شخص في المبيعات لإيصال روايتي إلى يد القراء، وجين كيربي وبيني ليشتي ومونيك كورليس وسام كواتسفي على صيانة حقوق مبيعاتها بكافة أنحاء العالم. شكراً لكم لهذه العناية الشديدة بالرواية وجعلي فخورة جداً بأني أحد المؤلفين دار نشر (فينتاج)!

لطالما ساندتني وكيلتي إيف وايت وفريقها، وأشعر بالذهول دوماً والامتنان لهذا الكرم من مجتمع الكتاب اللامعين على الإنترنت وعلى أرض الواقع.

يعرف أصدقائي وعائلتي مقدار حبي لهم، لذلك لن
أكرره هنا.. لكنني أحبهم!